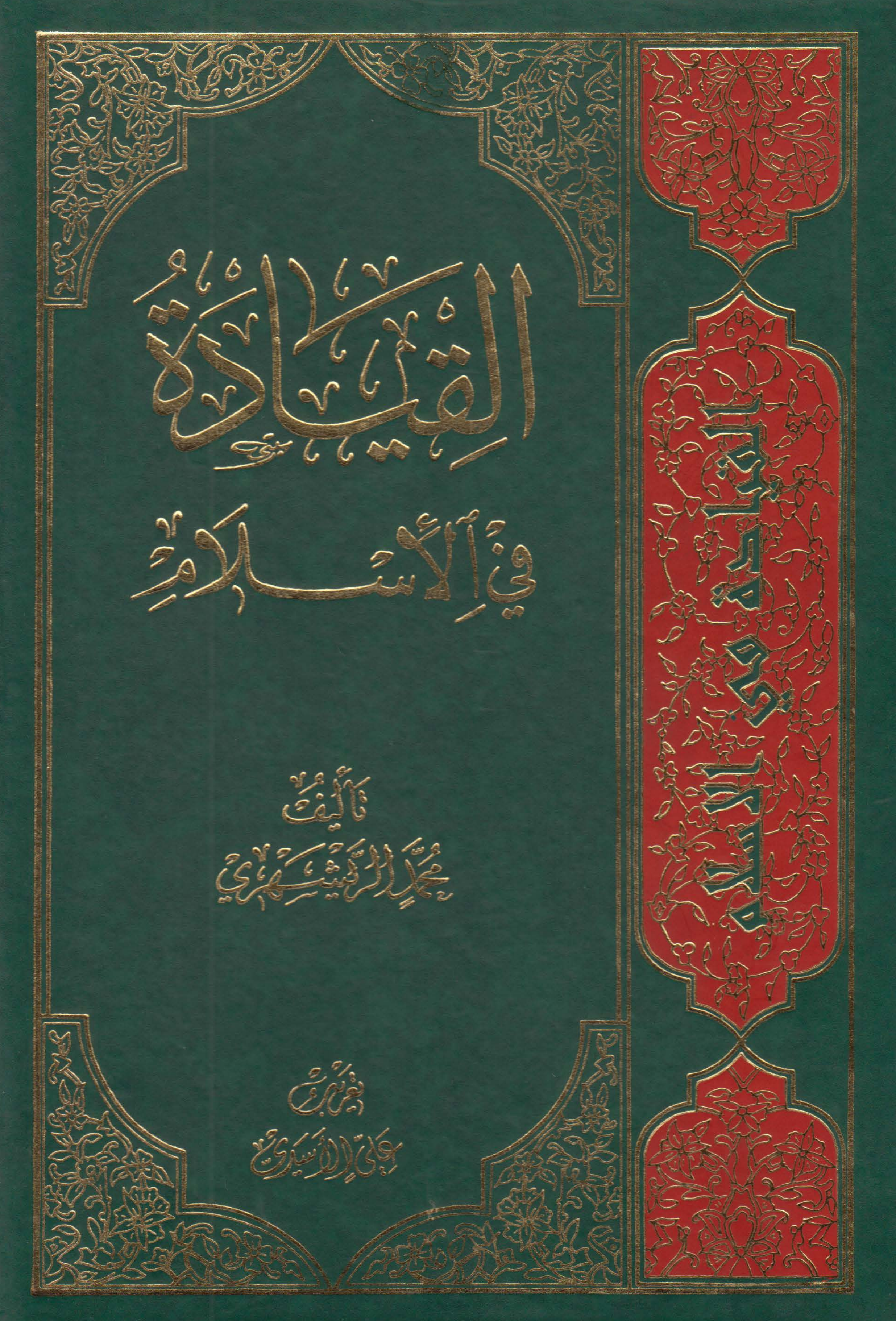

القيادة
في الإسلام
تأليف
محمد الريشهري
تعريب
علي الأسدي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

# القيـادة
# في الإسلام

تأليف : محمّد الرَّيْشهري

تعريب : عليّ الأسدي

الرَّيْشهري ، محمد ، ١٣٢٥ ـ
القيادة في الإسلام / محمّد الرَّيْشهري ، تعريب علي الأسدي . ـ قم : دارالحديث ، ١٣٧٥ .
٤٧٨ ص .
المصادر بالهامش و ص ٤٦٣ ـ ٤٧٨ .
العنوان بالانجليزية ALQIADEA FI AL_ISLAM

١. الإمامة. ٢. ولاية الفقيه. ٣. الإسلام والدولة. الف. العنوان.

BP ٢٢٣ / ٨ / ٩ ق م ٢٩٧ / ٤٥

شابِک : ٩٦٤ ـ ٥٩٨٥ ـ ٣٤ ـ X ISBN : 964 _ 5985 _ 34 _ X

الكتاب : القيادة في الإسلام
المؤلّف : محمد الرَّيْشهري
التعريب : علي الأسدي
الناشر : دارالحديث
ليتوغراف : تيزهوش
المطبعة : دارالحديث
الطبعة : الأولى
الكمية : ٣٠٠٠
السعر : ١٦٠٠ تومان

الهاتف : ٣١٥٧٥ ، ٧١٠٤٨٧ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+ ، ٩٢٩٢٢١ ـ ٢١ ـ ٩٨+ فاكس : ٧١٩١٩٠ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+ ص.ب : ٣٧١٨٥/٣٤١٨


بسم الله الرحمن الرحیم

# دليـل

# الموضوعات

# دليل الموضوعات



***القسم الأوّل : فلسفة القيادة***

## القسم الثاني : موقع القيادة

## القسم الثالث : مؤامرتان خطرتان

## *القسم الرابع : خصائص القيادة*

## القسم الخامس : آفات القيادة

***القسم السادس: الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة***

## القسم السابع: أئمّة الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله

# تمهيد

الإمامة أو القيادة ضمان لتحقّق واستمرار الإسلام الأصيل وأهدافه، بل استمرار الأديان السماويّة جميعها. ومن هنا كانت أهمّ المبادئ العقيديّة والسياسيّة والاجتماعيّة في الإسلام، وهي سرّ الحياة والتباهي في المجتمعات التوحيديّة قاطبةً.

بيد أنّ الأمّة الإسلاميّة غفلت ـ عدّة قرون ـ عن هذا السرّ الحياتيّ، وهذه الغفلة قد سلبت المجتمعات الإسلاميّة الوعي والمجد والعظمة، ممّا مهّد لاستيلاء الأجانب على المسلمين، حتّى لم يبق من الإسلام إلّا هيكل لا روح فيه.

وبانتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة العظيمة القائمة على أساس «ولاية الفقيه» بالقيادة الفريدة للعالم الربّانيّ الفقيه المجاهد الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه تهيّأت الأجواء للصحوة الإسلاميّة والنهضة العامّة في العالم الإسلاميّ من أجل بلوغ الأهداف الإسلاميّة الرفيعة، وإنّ كلّ مسلم واعٍ منصف ـ من أيّ مذهبٍ كان ـ يعلم جيّداً أنّ السبيل الوحيد لقطع يد الأجانب عن الأقطار الإسلاميّة وتطبيق الأحكام القرآنيّة النيّرة هو إقامة الحكومة الإسلاميّة على أساس القيادة الربّانيّة، ولن ينال الناس حقوقهم الواقعيّة ما لم تتخلّص المجتمعات الإسلاميّة من مثالب القيادات القائمة، وما لم يكن زمام أمورهم بأيدي الحائزين على شروط القيادة من منظور إسلاميّ.

من جانب آخر، نلاحظ أنّ أعداء الإسلام ـ الذين أدركوا القدرة الثقافيّة العظيمة للدين الإسلاميّ ـ لم يتوانوا عن بذل كلّ ما في وسعهم لشنّ الهجمات المباشرة وغير المباشرة على أسس القيادة في الإسلام، بخاصّة الأُساس المتمثّل بولاية الفقيه.

وممّا تحتاج إليه المجتمعات الإسلاميّة ـ في هذه الظروف المصيريّة الحسّاسة من تاريخ الإسلام أكثر من أيّ وقت مضى ـ هو شرح أُسس القيادة في الإسلام، والبحث في غايتها وموقعها وخصائصها وآفاتها، والحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة، وكذلك التعرّف على المؤامرات الخطرة التي كانت وما تزال تُحاك لتحريفها، وهذا من شأنه أن يضاعف مسؤوليّة العلماء الملتزمين وأصحاب الأقلام.

وهذا الكتاب هو محاولة متواضعة في هذا المضمار، فهو ـ إلى جوار معالجته الموضوعات المذكورة ـ قد تناول في القسم السابع منه بالنقد والتحليل موضوع قادة الإسلام بعد النبيّ ﷺ، ومن الجدير بالذكر أنّ الكتاب قد عرض ولاية الفقيه كفرع من الإمامة العامّة، على نحوٍ جديدٍ يفهمه جمهور الباحثين.

ونذكّر هنا أنّ قسماً من مباحث هذا الكتاب عُرضت في القناة الثانية من الإذاعة المرئيّة للجمهوريّة الإسلاميّة سنة ١٩٨٨ م تحت عنوان «دروس من أُصول العقائد الإسلاميّة»، من خلال ستّ وأربعين حلقة، ونُشرت في مجلّة «پاسدار إسلام» تحت عنوان «أُسس القيادة في الإسلام»، وها هي الآن في متناول أيدي القرّاء بعد مراجعتها وإتمامها.

ختاماً أبتهل إلى المولى القدير، بعجزي، أن يقبل منّي هذه البضاعة المزجاة، ويضاعف تأثيرها في توطيد وحدة الأُمّة الإسلاميّة، والتمهيد للحكومة الإسلاميّة العالميّة بقيادة الإمام المهديّ الموعود عجّل الله تعالى فرجه.

**محمّد الرَّيْشهري**

**غرّة ربيع الأوّل سنة ١٤١٧ هـ**

# المدخل

نلاحظ في الثقافة القرآنيّة والحديثيّة أنّ كلمة «الإمامة» ترادف كلمة «القيادة» ومن هنا كان من الضروري تفسير كلمتَي «الإمامة» و«الإمام» من أجل تعريف القيادة في الرؤية الإسلاميّة.

**«الإمامة والإمام»**[1] في الثقافة الإسلاميّة يماثلان «القيادة والقائد».

ويعرّف الراغب الإصفهانيّ[2] «كلمة الإمام» في كتابه الّذي ألّفه حول المفردات الغريبة في القرآن الكريم، فيقول:

**«والإمام المؤتمّ به، إنساناً كان يُقتدىٰ بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقّاً كان أو مبطلاً»**[3].

تمّ التركيز في هذا التعريف على نقطتين مهمّتين في معنى القيادة، وهما:

١ ـ أنّ الإمامة أو القيادة في القرآن قابلة للتعميم، لا في المجتمع الإنسانيّ فحسب،

---

(١) الإمام مشتقّ من أمام أو أَمّ أو أُمّ. فإذا كان مشتقّاً من (أمام) فهو يعني المقدّم والزعيم، وإذا كان من (أَمّ) فهو من يأتمّ به المجتمع ويتّبعه، وإذا كان من (أُمّ)، فهو القاعدة والأساس لكلّ شيء.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الإصفهانيّ من أعلام القرن الخامس الهجريّ.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٨٧، مادّة (أمّ).

بل في عالم الخليقة كلّه.

٢ـ استعملت الإمامة أو القيادة في القرآن بمفهومين متناقضين:

أحدهما: الحقّ، والآخر: الباطل.

وما نقصده هنا هو الإمامة أو القيادة في إطار المجتمع البشريّ دون سواه.

وفي ضوء ذلك تطلق الإمامة أو القيادة في الثقافة الإسلاميّة على توجيه الناس نحو نظام الحقّ ومجتمع القِيَم، أو نظام الباطل والمجتمع الخَليّ من القِيَم.

## أنواع الإمامة والقيادة

يستبين من تعريف الإمامة أو القيادة أنّها على أنواع مختلفة.

وهي في الرؤية الإسلاميّة نوعان هما: إمامة تقود الناس نحو الكمال والقيم الربّانيّة الرفيعة، وأُخرى تسوقهم إلى الدناءة والقبائح والقيم الشيطانيّة الوضيعة.

وينظر القرآن الكريم إلى إمامة إبراهيم عليه السلام على أنّها رمز القيادة الربّانيّة القِيَميّة، وإلى إمامة فرعون الطاغية على أنّها نموذج القيادة الشيطانيّة المغايرة للقِيَم.

معنىٰ هذا أنّنا يمكن أن نشير هنا في تبيين أنواع القيادة ـ حسب الرؤية القرآنيّة ـ إلى القيادة الإبراهيميّة والقيادة الفرعونيّة.

إنّ المباحث المرتبطة بأُسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبيان للخطوط الأساسيّة في سياسة القيادة الإبراهيميّة مقابل السياسة الفرعونيّة في إدارة المجتمع.

ونُلمح فيما يأتي إلى الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن نوعَي القيادة، للتعرّف على مفهوم الإمامة والقيادة في الثقافة الإسلاميّة.

## الإمامة الإبراهيمية

استعمل القرآن الكريم كلمة «الإمام» معبّراً بها عن إبراهيم الخليل عليه السلام، ليحكي

لنا أرفع درجة من تكامل الإنسان، وأعلى مرتبة من مراتب القيادة القِـيَميّة. قـال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾[١].

وقال في موضعٍ آخر حول إمامة بعض القادة الإبراهيميّين:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[٢]

**أي: يهدون الخلق إلى طريق الحقّ وإلى الدين المستقيم[٣].**

## الأمّة الإبراهيمية

إنّ الأُمّة التي تعتنق الإمامة الإبراهيميّة وتسعى ـ مـن خـلال الائـتمام العـمليّ بتوجيهات هذه القيادة ـ إلى التهيّؤ لمقارعة القيادة الفـرعونيّة، والعـمل عـلى إزالة الفساد والضياع، وتقويض دعائم الطغيان والانحطاط في العالم، إنّما هي نموذج للأمّة الإبراهيميّة.

والأُمّة الإبراهيميّة هـي الأُمّـة النمـوذجيّة التي طـلب إبـراهـيم الخـليل وابـنه إسماعيل عليهما السلام من الله تعالى ـ عند بنائهما الكعبة ـ جَعْلَها في ذرّيّتهما. قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسماعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[٤].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) انظر مجمع البيان: ٧ / ٨٩.

(٤) البقرة: ١٢٧ و ١٢٨.

إنّ إطاعة الله والتسليم لأمره يعنيان في الحقيقة تطبيق سياسة القيادة الإبراهيميّة وتوجيهاتها في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة. من هذا المنطلق، كان نبيّنا الكريمﷺ مكلّفاً أن ينهج الخطوط الأساسيّة لهذه السياسة ـ له ولأُمّته ـ مع أنّه كان سيّد الأنبياء والمرسلين وأعظمهم. قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[1].

لذلك ينبغي للمسلمين أيضاً أن يكونوا حمَلة راية المجتمع التوحيديّ والأُمّة المثاليّة النموذجيّة في العالم تبعاً لنبيّهم، وعملاً بسياسة القيادة الإبراهيميّة المحمّديّة وتوجيهاتها. قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2].

**القيادة الفرعونية**

يعبّر القرآن الكريم عن فرعون بـ «الإمام» أيضاً كتعبيره عن إبراهيمعليه السلام.

بيدَ أنّ إمامته تقوم على معاكسة القِيَم، وفرعون إمام الكفر، وإبراهيم إمام الإيمان، وفرعون يهبط بالناس إلى وهدة الهوان والرذيلة، وإبراهيم يقودهم إلى الرقيّ والفضيلة.

بعبارة أُخرى: الإمامة الإبراهيميّة تهدي المجتمع إلى جنّة الخلد، أمّا الإمامة الفرعونيّة فتسوقه إلى النار. قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[3].

---

(١) النحل: ١٢٣.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) القصص: ٤١.

**المجتمع الفرعونيّ**

إنّ المجتمع الذي يخنع لإمامة فرعون ويعدّ العدّة لمواجهة القيادة الإبراهيميّة وتقويض أركانها ـ عملاً بالسياسة الشيطانيّة لتلك الإمامة ـ إنّما هو مجتمع فرعونيّ، وليست عاقبته في هذا العالم إلّا الغرق في بحر الشهوات والضياع. وليس مآله في العالم الآخر إلّا السقوط في جحيم الخطايا.

ويصوّر القرآن الكريم مصير أتباع القيادة الفرعونيّة بالنحو الآتي:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[1].

وكذلك يبيّن عاقبة المجتمع الفرعونيّ ومواجهته قادته في النار، فيقول:

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هؤلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾[2].

ومن خلال ما مرّ ـ من تعريف القيادة وتفسير الإمام والإمامة والأُمّة في الثقافة الإسلاميّة ـ يتجلّى أنّ مؤلّف كتاب «اُمّت وإمامت» إنّما يحمل فهماً أُحاديّاً ناقصاً. قال:

**«... الأمّة مجتمع في حالة صيرورة أبديّة نحو التعالي المطلق، وإذا ما عرفنا الأُمّة فسوف نحصل بيسر على تعريف دقيق وواضح للإمامة ودورها الاجتماعيّ.**

**فالإمامة نظام يقود الأُمّة في هذا الطريق ويسيّرها فيه»**[3].

وعلى الرغم من أنّ هذا الفهم يمكن أن ينطبق على المفهوم القِيَميّ للأُمّة والإمامة، بيدَ أنّا بيّنا آنفاً أنّ مفهومها في الثقافة الإسلاميّة ليس مفهوماً قِيَميّاً

---

(١) هود: ٩٨.

(٢) الأعراف: ٣٨.

(٣) انظر: كتاب «اُمّت وإمامت».

فحسب، وإنّما لها مفهوم مضادّ للقِيَم أيضاً. وسيحوم بحثنا فيما يأتي حول أنواع القيادة القِيَميّة في الثقافة الإسلاميّة.

## أنواع القيادة القِيَمية

تقسّم القيادة القيميّة ـ من وجهٍ ـ إلى أربعة أقسام هي: القيادة السياسيّة، والأخلاقيّة، والعلميّة، والباطنيّة، وسنتوفّر على دراسة هذه الأنواع وفلسفتها في القسم الأوّل من هذا الكتاب.

# الخلاصة

◘ تُسمّى الزعامة والقيادة في الثقافة الإسلاميّة: «الإمامة»، ويسمّى الزعيم والقائد: «الإمام».

◘ الإمامة والإمام ـ كالقيادة والقائد ـ لهما مفهومان متناقضان: قِيَميّ، ومضادّ للقِيَم.

◘ الإمامة في القرآن الكريم تتخطّى نطاق الإنسان وتقبل التعميم على مستوى عالم الخليقة، ولكنّ المطروح في أُسس القيادة في الإسلام هو ما كان في إطار الإنسان.

◘ القيادة في الثقافة الإسلاميّة تسوق الناس نحو المجتمع القِيَميّ أو نحو المجتمع المضادّ للقِيَم.

◘ إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم رمز القيادة القِيَميّة، وفرعون نموذج القيادة المضادّة للقِيَم، من هنا يمكن تقسيم القيادة إلى قيادة إبراهيميّة وقيادة فرعونيّة.

◘ كان نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله مكلّفاً باتّباع الخطوط الأساسيّة لسياسة القيادة الإبراهيميّة، مع أنّه كان سيّد الأنبياء والمرسلين وأفضلهم.

◘ إنّ المباحث المرتبطة بأُسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبيين لسياسة القيادة الإبراهيميّة في مقابل سياسة القيادة الفرعونيّة في إدارة المجتمع.

◘ الأمّة الإبراهيميّة أُمّة اعتنقت القيادة الإبراهيميّة وتربّت على تقويض أساس القيادة الفرعونيّة وأُمّتها.

◙ المجتمع الفرعونيّ مجتمع خَنَع للقيادة الفرعونيّة، وانتظم للقضاء على المجتمع الإبراهيميّ القِيَميّ.

◙ استعمال كلمتي الأُمّة والإمامة في مفهومهما القِيَميّ فحسب، كما جاء في كتاب «أُمّت وإمامت» يجانب الصواب.

◙ تقسّم القيادة القِيَميّة ـ من وجهٍ ـ إلى أربعة أقسام: قيادة سياسيّة، وأخلاقيّة، وعلميّة، وباطنيّة.

# القسم الأوّل

## فلسفة القيادة

# الفصل الأوّل

# القيادة السياسيّة

يتبيّن لنا في أوّل نظرة أنّ ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع غنيّة عن البحث والدراسة، لأنّها حاجة طبيعيّة وبديهيّة. من هنا كانت للأُمم والشعوب قيادة سياسيّة على مرّ التاريخ. ومثار الخلاف في المدارس والمذاهب المتنوّعة هو مواصفات القائد السياسيّ أو أُسلوب تعيينه، بيدَ أنّ حاجة المجتمع إلى قيادة سياسيّة شيء لا ينكر، ومع ذلك تدلّ الدراسات في هذا المجال على أنّ موضوعاً بلغ من البداهة هذه الدرجة قد يُمترى فيه، بل ينكر.

## القيادة السياسية من منظار المذاهب الإسلامية

ترى أكثر المذاهب الإسلاميّة أنّ القيادة السياسيّة ضرورية وواجبة لإدارة المجتمع، ولكنّ بعض الفِرق الإسلاميّة تنكر هذه المسألة بصراحة، قال التفتازانيّ ـ بعد نقل آراء الأشاعرة والمعتزلة وأتباع أهل البيت عليهم السلام ـ في وجوب نصب الإمام وكيفيّته:

**«قالت النجدات ـ قوم من الخوارج أصحاب نجدة بن عويمر ـ: إنّه ليس**

**بواجب أصلاً. وقال أبو بكر الأصمّ من المعتزلة: لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف لعدم الاحتياج، ويجب عند ظهور الظلم. وقال هشام الفوطيّ منهم بالعكس، أي: يجب عند ظهور العدل لإظهار شرائع الشرع...»[1].**

وقال ابن حزم الأندلسي في سياق نقل كلام النجدات:

**«... وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد»[2].**

وقال ابن أبي الحديد أيضاً:

**«... فقال المتكلّمون كافّة: الإمامة واجبة، إلاّ ما يُحكى عن أبي بكر الأصمّ ـ من قدماء أصحابنا ـ أنّها غير واجبة إذا تناصفت الأُمّة ولم تتظالم.**

**وقال المتأخّرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمّة، لأنّه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أُمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كلّ حال، اللّهمّ إلاّ أن يقول: إنّه يجوز أن تستقيم أُمور الناس من دون رئيس، وهذا بعيدٌ أن يقوله»[3].**

## القيادة السياسية من منظار المذهب الماديّ

ينكر المذهب الماديّ الديالكتيكيّ حاجة المجتمع إلى القيادة. وفي ضوء ما يؤمن به هذا المذهب يتحرّك المجتمع حركة حتميّة ويطوي طريق تكامله تلقائيّاً، فلا يحتاج إلى قائد.

---

(١) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانيّ: ٥ / ٢٣٦ تحقيق عبدالرحمن عميرة، قم ـ انتشارات الشريف الرضيّ ١٩٩١م، وانظر أيضاً الملل والنحل للشهرستانيّ: ١ / ١٤٣ تحقيق أمير عليّ مهنّا وعليّ حسن فاعور، بيروت ـ دار المعرفة ١٤١٥، ومقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين لأبي الحسن الأشعري: ٤٦٠ تصحيح هلموت ريتر، ١٤٠٠، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بقسبادن.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ: ٤ / ٨٧ بيروت ـ دار المعرفة.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٣٠٨.

وعلى أساس ما يتبنّاه هذا المذهب يعمل المثقّف على توعية الجماهير ويكشف لها أشكال الشذوذ والتناقض والتمايز. وإذا ما وعت الجماهير فسوف تتحقّق الحركة الحتميّة للمجتمع نحو التكامل.

**«إنّ إحدى نتائج المنطق الديالكتيكيّ هي أنّه يلغي حاجة المجتمع إلى القيادة. والحدّ الأعلى لحاجة المجتمع إلى المثقّف والقائد ـ حسب هذا المنطق ـ هو أنّه يدلّ الجماهير على ضروب الشذوذ والتناقض والتمايز، ويشعرها بالتناقض الموجود في المجتمع لتظهر الحركة الديالكتيكيّة. ولمّا كانت الحركة حتميّة وكان اجتياز الطريحة[١] والنقيضة[٢] إلى الجميعة[٣] أمراً لا مناص منه فإنّ المجتمع يطوي طريقه وينتهي إلى التكامل تلقائياً»[٤].**

ولسنا الآن في صدد نقد هذه الفرضيّة ومناقشتها، إذ أنّ بحثنا يدور حول أُسس القيادة المستندة إلى التوحيد والنبوّة، ومع أنّ الفرضيّات الماركسيّة لا تحتاج إلى نقد في هذه المرحلة من الزمان لأنّ التاريخ نفسه قد نقدها وأثبت زيفها وقبر رماد أوهامها تحت جدران القصر الأحمر في موسكو فإنّ هذه الرؤية ـ قبل أن تكون اعتقاداً مذهبيّاً ـ إنّما هي خطّة خطرة ومعقّدة لاستقطاب المغفّلين من السياسيّين. ولمّا كانت الحاجة إلى القيادة نابعة من طبيعة الإنسان وفطرة المجتمع البشريّ فإنّ المعتقدين بالمنطق الديالكتيكيّ عجزوا عن أن يُثبتوا استغناء المجتمع عن القيادة ـ اللّهمّ إلّا في عالم الخيال ـ ولم يتمسّكوا بهذه الفرضيّة الواهية على الصعيد العمليّ لحظة واحدة، وأثبتوا بطلان عقيدتهم من خلال ممارساتهم نفسها، فساقوا المجتمع إلى الضلال بقيادة حزبهم مدّة سبعين سنة.

---

(١) هي المرحلة الأُولى من مراحل الديالكتيك (thesis).

(٢) هي المرحلة الثانية من مراحله (antithesis).

(٣) هي نتيجة الجمع بين الطريحة والنقيضة (synthesis).

(٤) امامت ورهبرى (الإمامة والقيادة) للأُستاذ الشهيد مطهّريّ: ٢٣.

والنقطة المهمّة هي أنّ نظريّة الاستغناء عن القيادة القائمة على أساس المنطق الديالكتيكيّ قد تسرّبت إلى كتابات إسلاميّة الظاهر في قالب نظريّة «تعميم الإمامة» وأمثالها.

## ما معنى تعميم الإمامة؟

صدر في بداية انتصار الثورة الإسلاميّة كرّاس بعنوان «تعميم الإمامة»[١]. وهذا الكرّاس محاولة ماكرة لتوسيع مفهوم القيادة وتعميم الإمامة لتشمل الشرائح الاجتماعيّة كلّها، فتنتفي حاجة المجتمع إلى القيادة الحقيقيّة[٢].

ونستنتج من الأدلّة الواردة في الكرّاس المذكور أنّ الكاتب يزعم أنّ الإمامة أو القيادة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان أيضاً بطريق أولى، وذكر دليلين لإثبات زعمه:

الدليل الأوّل نقليّ! وهو قوله تعالى:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٣].

وفسّره الكاتب بما يسمّى بالتفسير العلميّ البليغ الذي لم يسبق له مثل في التاريخ! بقوله:

**«في كلّ شيءٍ إمامٌ مبين!!»**[٤].

---

(١) ألّفه أبو الحسن بني صدر.

(٢) ورد في الصفحات الأخيرة من كرّاس «از كجا آغاز كنيم؟» [من أين نبدأ؟] للدكتور عليّ شريعتيّ بحث مفصّل تحت عنوان: «مهمّة المثقّف ورسالته» قال في ص ٣٩: إنّ مهمّة المثقّف ورسالته بإيجاز هي نقل الشذوذ الكامن في داخل المجتمع إلى شعور أفراده ووعيهم الذاتي، ثمّ يواصل المجتمع نفسه حركته». ونلحظ في سطور متأخرة عبارات تناقض ما تقدّم، وتؤيّد حاجة المجتمع إلى الهداية والتوجيه. (نقلاً عن كتاب «امامت ورهبرى» للأُستاذ الشهيد مرتضى مطهّريّ: ٢٤).

(٣) يس: ١٢.

(٤) تعميم إمامت (تعميم الإمامة): ٣٧.

والدليل الثاني عقليّ!

**«كلّ فرد قائد، ولولا القائد لما تسنّى للناس التواصل. وعندما نجتمع كلّنا في مكان واحد فإنّما نجتمع للقيادة...»**[١].

ويستنتج الكاتب من هذين الدليلين ـ النقليّ والعقليّ ـ ما نصّه:

**«لمّا كانت القيادة موجودة في جميع الأشياء بما فيها الإنسان فلا معنىً لقولنا إنّنا يجب أن نوجدها، بل يجب أن نحاول تصحيحها».**

إنّ سقم هذا الفهم المبتسر من الآية الكريمة هو من البداهة والوضوح إلى درجة أنّ كلّ من له أدنى اطّلاع على «أُسس القيادة» في المادّيّة الديالكتيكيّة وله شيء من المعرفة بالقرآن الكريم والمبادئ الإسلاميّة يدرك من خلال إلقاء نظرة على كتاب «تعميم الإمامة» أنّ الكاتب حاول بسذاجةٍ أن يكيّف المنطق الديالكتيكيّ في مجالس أُسس القيادة مع القرآن الكريم، وأن يستحوذ بمكيدته هذه على انتباه المغرورين والمغفّلين، في تنظيره هذا لأُسس القيادة في الإسلام.

لقد عمد الكاتب إلى جملة «**أَحْصَيْنَاهُ**» في الآية الكريمة المتقدّمة فأغفلها ولم يذكرها في ترجمته للآية، ثمّ حذف كلمة «**في**» قبل عبارة «**إمامٍ مبين**» وجعلها قبل عبارة «**كلّ شيء**». وهكذا ترجم الآية الكريمة بقوله:

«**في كلّ شيء إمام مبين**»!!.

في حين أنّ منطوق الآية هو أنّ الله تعالى أحصى كلّ شيء في إمامٍ (كتابٍ) مبين، لا أنّ «في كلّ شيء إمام مبين»[٢]، كما وهم الكاتب المذكور.

---

(١) نفسه: ٣٨.

(٢) المقصود من الإمام المبين الذي انعكس فيه كلّ شيء وأُحصي بقدرٍ معلوم ـ كما جاء في التفاسير الموثوقة ـ أنّه كتاب يشتمل على القضاء المحتوم، ولعلّ تسميته إماماً إنّما هي لاتّباع المخلوقات مقدّراته وقوانينه ⟺

وأمّا هدفه من ترصيف هذه الصغرى والكبرى وهذا الاستنتاج القائل «إنّ الإمامة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان بطريق أولى» فهو غامض تماماً[١].

فإذا كان هدفه وجود الهداية الربّانيّة في الظواهر كافّة فكلامه صحيح[٢]. ولكنّ هذا لا علاقة له بإمامة الإنسان وقيادته وفرضيّة تعميم الإمامة.

أمّا إذا كان هدفه هو أنّ الإنسان وجد طريق تكامله وأنّه يستطيع أن يصلح شذوذه الفكريّ والعلميّ والعمليّ من خلال تواصل الأفكار ونقد الآراء فهذا يفيد أنّ نظريّة «تعميم الإمامة» تعني إنكار الحاجة إلى الوحي، وأنّها تريد أن تضفي على المنطق الديالكتيكيّ طابعاً إسلاميّاً في موضوع أُسس القيادة، لأنّ القيادة إذا كانت موجودة في طبيعة الإنسان بهذا المعنى ـ كسائر الظواهر التي قيادتها ورسالة تكاملها تكوينيّة ـ فإنّ الإنسان لا يحتاج إلى الوحي والقيادة السماويّة. ولمّا كنّا نرى أنّ للناس قدرة على التواصل والترابط فلا يمكن أن نستنتج أنّهم كلّهم عرفوا طريق تكاملهم، وأنّهم يستطيعون أن يمسكوا بزمام أُمورهم بأيديهم[٣].

ودحضاً لنظرية تعميم الإمامة وعقيدة من يلغي الحاجة إلى الإمامة أو القيادة يلفت نظرنا كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، فيقول صلوات الله عليه في هذا

---

↔ المذكورة في القرآن الكريم باسم «اللوح المحفوظ» أو «أُمّ الكتاب» أو «الكتاب المبين». أمّا حقيقة هذا الكتاب وماهيّته وكيفيّته فأُمور غير واضحة لنا.

قال العلّامة الطباطبائيّ في تفسير «الميزان» ـ بعد نقل الروايات التي تبيّن أنّ المقصود من الإمام المبين هو أميرالمؤمنين عليه السلام ـ: الحديثان لو صحّا لم يكونا من التفسير في شيء، بل مضمونهما من بطن القرآن وإشاراته، ولا مانع من أن يرزق الله عبداً وحّده وأخلص العبوديّة له العلم بما في الكتاب المبين. وهو عليه السلام سيّد الموحّدين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله. (الميزان: ١٧ / ٧٠).

(١) يبدو أنّ الكاتب لا يهدف إلّا إلى إلغاء «ولاية الفقيه».

(٢) ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه: ٥٠.

(٣) للتعرّف على تفصيل هذا الموضوع انظر كتابنا فلسفة وحى (فلسفة الوحي): الدرس ١ ـ ٥.

المجال:

**«مَفْزَعُهُم في المُعضلاتِ إلى أنفُسِهِم، وتعويلُهم في المُهمّات على آرائهم، كأنّ كُلَّ امرئٍ مِنهم إمامُ نَفْسِهِ»[١].**

## القيادة السياسية من منظار إسلاميّ

إذا ألقينا نظرةً فاحصة على النصوص الإسلاميّة نجد أنّ الإسلام ـ في الوقت الذي يرىٰ فيه أنّ أعلى درجات الإمامة أو القيادة ضروريّة لكمال الإنسان والمجتمع البشريّ ـ يؤكّد ضرورة القيادة السياسيّة على نحوٍ مطلق في الظروف التي لا تتمهّد فيها الأرضيّة للقيادة السياسيّة المطلوبة.

وبعبارة أُخرى: مع أنّ الإسلام فرض على الجميع أن يهيّئوا الأجواء المناسبة للقيادة الكفوءة والحكومة الصالحة بيدَ أنّه لا يُلغي ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع مهما كانت الأحوال، ولا يسمح للمسلمين أن يعيشوا حالة الفوضىٰ، أو أن لا يشعروا بالمسؤوليّة حيال إقامة الحكومة وتكوين القيادة السياسيّة.

## ضرورة القيادة السياسية

**... وإنَّهُ لابُدَّ للنَّاسِ مِنْ أميرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ...[٢].**

هذه هي كلمة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في جواب المارقين المنحرفين، عندما كانوا يزعقون بشعارهم المعروف: «لا حُكمَ إلّا لله» الذي يستند إلى الآية القرآنيّة الكريمة:

**﴿إِنِ الحُكْمُ إِلّا لِلّهِ﴾[٣].**

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

(٣) الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠ و ٦٧، وتدلّ آيات أُخرى على هذا المعنىٰ أيضاً.

في ضوء الآيات التي تجعل الحُكم حقّاً خاصّاً لله، أو تقصد الحكم التكوينيّ ـ أي: إنّ الله يخلق في العالم كلّ ما يريد، وليس لأحدٍ أو شيءٍ أن يحول دون إرادته ﴿يَفْعَلُ اللهُ ما يشاءُ﴾[1] و ﴿يَحكُمُ ما يُرِيدُ﴾[2] ـ أو تريد الحكم التشريعيّ... نلاحظ أنّ التشريع والأمر إنّما هو لذاته المقدّسة وحده، ولا ينبغي لأحدٍ أن يشرّع قانوناً في مقابل قانونه. ولا يحقّ لأحدٍ ـ غير ذات الحقّ المقدّسة ـ أن يصدر أمراً للآخرين.

ومن البديهيّ أنّ القوانين الحكوميّة المدوّنة على أساس حُكم الله تكسب شرعيّتها واعتبارها من القوانين الإلهيّة الكلّيّة، وأنّ حُكم القائد أو الإمام الذي فرض الله طاعته هو حُكم الله نفسُه.

وكان المارقون قد خالفوا أميرالمؤمنين عليه السلام في حرب صفّين بعد مكيدة التحكيم، بسبب غرورهم وجمودهم الفكريّ وجهلهم وفتن العدوّ المدروسة.

ثمّ أصبحوا ـ تدريجاً ـ جماعةً منظّمةً، وكياناً مناوئاً متطرّفاً قويّاً ناهض حكومة الإمام عليه السلام، ورفعوا شعار «لا حُكمَ إلّا لله» ليسجّلوا بزعمهم مؤاخذةً على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وقيادته، وشعارهم المذكور ذو جذر قرآنيّ، لذلك لم يسع أحد إنكاره. وعرض الإمام عليه السلام في سياق تأييده للشعار نقاطاً مهمّة حول الحكومة والقيادة السياسيّة من منظور الإسلام، وأبدى تقويماً للشعارات المفرطة المتطرّفة المطالبة بالحقّ في ظاهرها، المطروحة من قِبل المتظاهرين بالروح الثوريّة في المجتمع، قال عليه السلام:

**«كلمة حقّ يراد بها باطل، نعم إنّه لا حُكمَ إلّا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلّا لله، وإنّه لابدّ للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به**

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) المائدة: ١.

**السُبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ، حتّى يستريح بَرّ، ويستراح من فاجر»[١].**

وكان الإمامﷺ ذات يوم جالساً مع جماعة في المسجد، فدخل أحد الخوارج وصاح: لا حُكمَ إلّا لله، فقلق الحاضرون، وانتظروا ليروا ماذا يفعل أميرالمؤمنينﷺ، ولعلّ فيهم من ظنّ أنّ الإمام سيغضب ويعامل الرجل بعنف. بيدَ أنّهم رأوه قد أعاد بطمأنينة الشعار نفسه وعضَده بآية قرآنيّة كريمة يؤكّد فيها الله تعالى لنبيّه الأكرمﷺ أنّ وعده تعالى في مقابلة أعداء الإسلام حقّ، وأنّ على النبيّ أن لا يستسلم لأذاهم، وأن لا يتضعضع وقاره وثباته في مواجهتهم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ولايَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[٢].

ثمّ التفتﷺ إلى الناس وقال:

**«فما تدرون ما يقول هؤلاء؟ يقولون: لا إمارة. أيّها الناس، إنّه لا يصلحكم إلّا أمير برّ أو فاجر».**

وكان غريباً جدّاً على الناس أن يسمعوا عليّاًﷺ يذكّر بحاجة المجتمع إلى القائد مطلقاً حتّى لو كان فاجراً، لذلك سألوه مندهشين:

**«هذا البرّ قد عرفناه، فما بال الفاجر؟!».**

فقالﷺ:

**«يعمل المؤمن، ويملىٰ للفاجر، ويبلّغ الله الأجل، وتؤمّن سبلكم، وتقوّم أسواقكم، ويقسّم فيئكم، ويجاهَد عدوّكم، ويؤخذ للضعيف من القويّ»[٣].**

نلاحظ أنّ الإمامﷺ يعلّم أتباعه في هذا الكلام النفيس المهمّ عدداً من القضايا

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

(٢) الروم: ٦٠.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ٨ / ٧٤١ / ٥١.

الأساسيّة في حقل القيادة:

### ١ ـ قول الحقّ شيء والاعتقاد بالحقّ شيء آخر

إنّ شعار جميع المتظاهرين بالثورة والأنانيّين المترائين بحماية النـاس ومـناصرة الحقّ على مرّ التاريخ هي كلمة حقّ أُريد بها الباطل، وإنّ سرّ نجاح الأفكار الباطلة وسيطرة القادة المفسدين هو غفلة الناس عن هذه القضيّة البالغة الأهمّيّة، وهي أنّ قول الحقّ شيء والاعتقاد به شيء آخر!

يجـيب الإمامعليه السلام أُولئك الذين يزعمون الدفاع عن الإسلام القـويم زوراً، وقـد اتّخذوا موقفاً عدائيّاً من القيادة. ويكشف لنا في جوابه أنّهم اسـتغلّوا كـلمة الحـقّ وسيلةً لتحقيق أهدافهم الباطلة، وعصوا أمر القائد الذي فرض الله طاعته، بذريعة اتّباع أمر الله، وداسوا حتّى على المبدأ المتمثّل بضرورة الحكومة والقيادة السـياسيّة للمجتمع الإسلاميّ، ورفعوا لواء الفوضىٰ بعملهم هذا.

### ٢ ـ أُسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة

القضيّة الثانية في كلام الإمام عليّعليه السلام هي أُسلوب مواجهة المتظاهرين بـالثورة الذين يقولون الحقّ في الظاهر ولكن هدفهم في الحقيقة هو الباطل، على عكس الذين يهاجمون بسذاجة شعار الحقّ الذي يرفعه معارضوهم السياسيّون، فالإمامعليه السلام يواجه أصحاب الشعار لا الشعار ذاته، وهو في موقفه لا يناقش شعار المارقين بل يناقش المارقين أنفسهم ودوافعهم على طرح ذلك الشعار، إنّه لا يقول لهم: لمّا كان هدفكم من هذا الشعار هو الباطل فلا قيمة له حتّى يطرح في المجـتمع، بل هو نفسه يكـرّر الشعار ويؤيّده، مشيراً إلى أنّنا ينبغي أن نقبل كلام الحقّ مـن أيّ شـخص يـقوله، ولكن لا نغفل عن هدف قائله ودافعه.

## ٣ـ ضرورة إقامة الحكومة

القضيّة الثالثة في كلامه عليه السلام هي أنّ الحكمة من وراء الضرورة المطلقة للقيادة السياسيّة هي ضمان الحدّ الأدنى من حقوق الناس، ولبلوغ هذا الهدف غدت الحكومة بأيّ شكل كانت ضرورةً لا مناص منها.

إنّ الإسلام لا يلغي ضرورة القيادة السياسيّة مهما كانت الظروف، حتّى لو كان القائد فاجراً آثماً. وفي توضيح هذا المعنى يؤكّد الإمام عليه السلام أنّ الحكومة الفاجرة أيضاً تجمع العائدات الوطنيّة في ظلّها وتوزّع، وتؤمّن السبل، وتُجرى النشاطات الاقتصاديّة، بل إنّ الحكومة الفاجرة تجاهد عدوّ الشعب، وتأخذ للضعيف حقّه من القويّ.

بعبارة أُخرى: على الرغم من أنّ الشعب يفقد قسطاً كبيراً من حقوقه في ظلّ الحكومة الفاجرة بيدَ أنّ الفائدة من وجود تلك الحكومة هي أنّها تذلّل مصاعب الحياة. ومن جانب آخر، لا سبيل للحكومة الفاجرة إلّا تحقيق الأمن الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمجتمع من أجل المحافظة على وجودها، وهذا الأمن يضمن ديمومة الحياة للأخيار والفجّار على حدٍّ سواء، من هنا فإنّ حكومة الأمير الفاجر أفضل من حكومة تسودها الفوضى والفتنة والشغب، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

**«الإمام الجائر خيرٌ من الفتنة»**[1].

وأثر عن أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

**«أسد حطوم خيرٌ من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خيرٌ من فتنٍ تدوم»**[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ: ٢ / ١٠٣.

(٢) كنز الفوائد: ١ / ١٣٦، بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٥٩ / ٧٤.

## فلسفة ولاية الفقيه

تبيّن لنا في ضوء الدراسات المنجَزة أنّ الإسلام يؤيّد حاجة المجتمع إلى القيادة، على عكس مذهب الخوارج في الماضي والمذهب الديالكتيكيّ في عصرنا الحاضر، وهذا لا يعني أبداً أنّ القيادة مطلقاً تكفي لتكامل المجتمع، بل يعني أنّه إذا عُدّ الإمام الفاجر خيراً من الفتنة فإنّ هدفه إنقاذ المجتمع من حالة الشذوذ والفوضىٰ لكن ينبغي الالتفات إلى أنّ تكامل المجتمع ـ من منظور إسلاميّ ـ لا يتيسّر إلّا عن طريق تطبيق الدين في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وإلّا عن طريق الرسالة المشتملة على منهج التكامل المادّيّ والمعنويّ للإنسان. من هذا المنطلق ليس لأحدٍ أن يقود المجتمع نحو الكمال إلّا الخبير في الدين. وهنا تكمن الحكمة من ولاية الفقيه.

في ضوء هذا تقوم فلسفة ولاية الفقيه على دعامتين:

١ ـ التكامل المادّيّ والمعنويّ للإنسان، الذي يمثّل الهدف من خلقه، وهذا لا يتحقّق إلّا عبر منهج يأتي به رُسل خالق الوجود[1].

٢ ـ إنّ الأكفأ للقيادة هو الأعلم بمنهاج تكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه في المجتمع.

ونقرأ للإمام الرضا عليه السلام كلاماً في فلسفة الإمامة يمكن أن يبيّن فلسفة ولاية الفقيه أيضاً:

**«فإن قال: فَلِمَ جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعللٍ كثيرة، منها: أنّ الخلق لمّا وقفوا على حدٍّ محدود وأمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحدّ لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلّا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدّي والدخول فيما حظر عليهم، لأنّه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذّته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيّماً يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود**

---

(١) انظر كتابنا فلسفة وحی (فلسفة الوحي): الدرس السادس.

**والأحكام.**

**ومنها: أنّا لا نجد فرقةً من الفرق ولا ملّةً من الملل بقوا وعاشوا إلاّ بقيّم ورئيس، ولمّا لابدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لا بدّ له منه، ولا قوام لهم إلاّ به، فيقاتلون به عدوّهم ويقسمون به فيئهم ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم»**[1].

أجل، هذه هي الأسباب التي تثبت الضرورة المطلقة للإمامة أو القيادة. وهكذا كان جواب أميرالمؤمنينعليه السلام للخوارج، وقد مرّ بنا آنفاً، ويتلخّص كلامهعليه السلام في أنّ المجتمع يحتاج إلى القانون، وتطبيق القانون يحتاج إلى الحكومة أو القيادة. وعلى هذا الأساس لا يتيسّر استمرار الحياة الدينيّة والدنيويّة لأيّ مجتمع وشعبٍ بلا قيادة وحكومة.

بيدَ أنّ الدليل الذي ذكره الإمامعليه السلام في سياق كلامه يمكن أن يبيّن لنا الحكمة من ولاية الفقيه أيضاً، وفيما يأتي نصّه:

**«ومنها: أنّه لو لم يجعل لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملّة وذهب الدين وغيّرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبّهوا ذلك على المسلمين»**[2].

ويمكن أن نوجز فلسفة الإمامة في هذا القسم من كلام الإمام الرضاعليه السلام بحراسة الدين والحؤول دون تحريف الأحكام الإلهيّة.

ولا يخالجنا الشكّ في أنّ القائد من أجل تحقيق الهدف المذكور يتحتّم أن يكون خبيراً متخصّصاً في الشؤون الإسلاميّة أو فقيهاً، كما تصطلح عليه الحوزة العلميّة.

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢ / ١٠٠ / ١، علل الشرائع: ٢٥٣، بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٢ / ٥٢.

(٢) علل الشرائع: ٢٥٣، عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢ / ١٠١، وما يماثلهما.

وفي ضوء ما تقدّم يتسنّى لنا أن نلخّص ما جاء في علل الشرائع حول فلسفة الإمامة والقيادة بما يأتي:

أ ـ القيادة السياسيّة.

ب ـ تنفيذ القانون الإلهيّ.

ج ـ صيانة الدين من التحريف.

وأكّدت أحاديث وروايات أُخرى هذه الاستنتاجات أيضاً بتعابير متنوّعة ستأتينا، وهي تذكر على أنّها فلسفة الإمامة، ومن هذه التعابير: نظام الإسلام، نظام المسلمين، ونظام الأُمّة.

وهي عناوين وردت في توجيهات النبيّ الأكرمﷺ وأئمّة الهدى عليهم السلام في تبيين فلسفة الإمامة، فقد قال النبيّﷺ في وجوب طاعة وليّ أمر المسلمين:

**«إسمعوا وأطيعوا لمن ولّاه الله الأمر، فإنّه نظام الإسلام»**[١].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في ذلك:

**«الإمام زمام الدين، ونظام أُمور المسلمين»**[٢].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً:

**«فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك... والإمامة نظاماً للأُمّة»**[٣].

والنظام في اللغة العربيّة الخيط الذي يمرّ من وسط خرز السبحة أو حبّات القلادة وينظمها[٤].

---

(١) أمالي المفيد: ١٤ / ٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٢٤٦.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٢، نزهة الناظر: ٤٦ / ١٤، غرر الحكم: ٦٦٠٨.

(٤) نظام العقد هو الخيط الجامع له. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩ / ٩٦). والنظام: الخيط الذي يُنظم فيه اللؤلؤ ونحوه. (تاج العروس: ١٧ / ٦٨٩).

قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في كلام يمكن أن نعدّه تفسيراً للروايات السابقة:

**«مكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز[١]، يجمعه ويضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً»[٢].**

من هنا نفهم أنّ فلسفة الإمامة ـ حسب هذه الروايات ـ هي المحافظة على النظام الإسلاميّ، وأنّ الإمام كالخيط الذي يرتبط به شمل الأُمّة من أجل تنفيذ المناهج الإسلاميّة الصانعة للإنسان، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وهذا كلّه ضامن لتكامل المجتمع البشريّ مادّيّاً ومعنويّاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام مبيّناً الحكمة من وجود الإمام:

**«إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام، كي ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم»[٣].**

وهذه الرواية أيضاً ـ كذيل الرواية الواردة في علل الشرائع ـ ترى أنّ فلسفة الإمامة حراسة الإسلام القويم وصيانته من التحريف.

ومع أنّ الروايات المذكورة تدور حول فلسفة ولاية المعصوم كما سنوضّح، لكن لا شكّ أنّ ما ورد فيها ـ دليل على ضرورة القيادة الربّانيّة ـ يمكن أن يكون دليلاً على لزوم ولاية الفقيه في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً.

إنّ الفقيه الحائز على شروط القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام يضطلع بنفس المسؤوليّة التي يضطلع بها الأئمّة المعصومون عليهم السلام في حياتهم، من أجل إقامة الحكومة وتطبيق القوانين الإلهيّة وصيانة الإسلام الأصيل من التحريف. وإنّ نجاحه

---

(١) الخرز ما ينظم في السلك كالجزع، والخرزة المصنوعة من الزجاج والطين والصدف وغيرها. (فرهنگ معين: ١ / ١٤١٠).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٦.

(٣) الكافي: ١ / ١٧٨ / ٢.

في تحقيق الأهداف الحكوميّة للإسلام أو إخفاقه في ذلك منوطان بالظروف الزمانيّة والمكانيّة، مثله في ذلك مثل الإمام المعصومعليه السلام.

وبيّن القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه ـ وكان أعظم فقيه جامع لشروط القيادة ـ الفلسفة العمليّة للفقه في ندائه التاريخيّ الذي وجّهه إلى علماء البلاد سنة ١٤٠٩ هـ فقال:

**«الحكومة من منظور المجتهد الحقيقيّ هي الفلسفة العمليّة للفقه التامّ في ميادين الحياة البشريّة جميعها، وهي تعبّر عن الجانب العمليّ للفقه في مواجهة المشاكل الاجتماعيّة والسياسيّة والعسكريّة والثقافيّة كلّها. والفقه هو النظريّة الحقيقيّة التامّة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد. والهدف الأساس هو أنّنا كيف نريد أن نطبّق المبادئ الرصينة للفقه في عمل الفرد والمجتمع، فنستطيع أن نجد علاجاً للمشاكل القائمة. ولا يخاف الاستكبار إلّا إذا اتّخذ الفقه طابعاً عمليّاً ومكّن المسلمين من المواجهة»**[1].

إنّ الثورة الإسلاميّة العظيمة في إيران تجربة ثمينة لتحقيق الفلسفة العمليّة للفقه وولاية الفقيه، من أجل القيادة السياسيّة وتنفيذ القوانين الإلهيّة، ومقارعة المحاولات الرامية إلى تشويه الإسلام الأصيل.

إنّ أهمّ سرّ في انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وديمومتها هو ما كان يتمتّع به مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة من قدرة وصلابة، هذا الوليّ الفقيه فريد عصره ونسيج وحده في عرض الإسلام الأصيل، ومكافحة تشويهه مكافحةً جادّة، وهذا من أهمّ الأركان الأصليّة في فلسفة ولاية الفقيه.

وكان قصارى جهده أن يعرض للمجتمع ما يراه إسلاماً أصيلاً من منظاره الفقهيّ والتخصّصيّ، ولم يخش لوم اللائمين وضجيج المناوئين في هذا الطريق.

---

(١) من نداء الإمام رضوان الله عليه إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩هـ.

وعندما كتب إليه أحد علماء قمّ رسالة، قبل أن تعرج روحه الطاهرة إلى الملكوت الأعلى بشهور، واستفتاه عن الشطرنج وآلات الموسيق رغبةً منه في النصح ومبادرةً منه في الحؤول دون ضوضاء المناوئين، واقترح عليه قائلاً:

**«أُفضّل أن تترفّع ساحتكم المقدّسة عن مثل هذه المسائل، ولا أرى ضرورة لنشرها».**

أجابه ذلك الفقيه العظيم الذي لم يخش إلّا الله فقال:

**«أنت تعلم أنّي أُحبّك وأراك نافعاً، ولكنّي أنصحك نصيحةً أبويّة أن تجعل الله تعالى وحده نصب عينيك، ولا تبالِ بما يقوله المنافقون المتظاهرون بالتقوىٰ والهمج الرعاع من المعمّمين، إذ لو قدّر أن تتزعزع مكانتنا عند هؤلاء الحمقىٰ الرعاع بسبب نشر حكم الله تعالى فلتتزعزع أكثر فأكثر»**[1].

إنّ أخطر تشويه يهدّد كيان الإسلام العظيم في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي واجهه الإمام الراحل رضوان الله عليه بكلّ اقتدار، وعانى كثيراً في هذا المجال، وقال؈ في ندائه المهمّ الذي وجّهه إلى المراجع والمدرّسين وطلّاب الحوزات العلميّة وأئمّة الجمعة والجماعة:

**«عندما يئس الاستكبار العالميّ من إبادة العلماء والحوزات الدينيّة اختار أُسلوبين لإنزال ضربته، الأوّل: أُسلوب القوّة والترهيب، والآخر: أُسلوب الخداع والتغلغل. ولمّا فقد الأُسلوب الأوّل بَريقه في عصرنا هذا نشط الأُسلوب الثاني، وإنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق وأهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة.**

**ومن المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمائيّ إلى حدّ ما، حتّى خُيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، وأنّ ممارسة النشاط السياسيّ**

---

(١) رسالة الإمام؈ إلى حجّة الإسلام والمسلمين قديري بتاريخ ١٢ صفر ١٤٠٩ هـ.

**يعني العمالة للأجانب.**

**لا جرم أنّ العلماء المجاهدين قد اكتووا بنار هذا التوجّه أكثر من غيرهم، ولا تحسبوا أنّ الأعداء وحدهم هم الذين ألصقوا بنا تهمة العمالة والمروق من الدين، فالعلماء غير الواعين ووعّاظ السلاطين قد فعلوا ذلك أيضاً، وتلقّينا منهم ضربات أشدّ من ضربات الأعداء... واعلموا أنّ معاناة أبيكم الشيخ الكبير من هؤلاء المتحجّرين تفوق كلّ معاناة.**

**وحينما رسخ شعار «فصل الدين عن السياسة» وأصبح الفقه في منطق غير الواعين هو الانهماك في الأحكام الفرديّة والعباديّة وأُرغم الفقيه على أن لا يتجاوز هذا النطاق ولا يتدخّل في السياسة وشؤون الحكومة... عدّ تعلّم اللغة الأجنبيّة كفراً، ومزاولة الفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً. وصادف ذات يوم أن شرب ولدي المرحوم مصطفى ـ وكان صغيراً ـ ماءً من كوز في المدرسة الفيضيّة، فطهّروه لأنّي كنت أدرّس الفلسفة. ولا يداخلني الشكّ أنّ هذا التوجّه لو استمرّ على هذه الحالة لأصبح وضع حوزاتنا العلميّة كوضع الكنائس في القرون الوسطىٰ. لكنّ الله منّ على المسلمين وعلمائهم بحفظ كيانهم ومجدهم الحقيقيّ»[1].**

## فلسفة إمامة المعصوم

إنّ أهمّ مسألة في الفصل المرتبط بفلسفة القيادة السياسيّة هي ضرورة إمامة المعصوم، وفي ضوء عقيدة أتباع أهل البيت يحتاج الإنسان إلى قيادة المعصوم كي يطوي الطريق إلى تكامله، ويتعذّر تحقّق المجتمع الإلهيّ الإنسانيّ المثاليّ بدون إمامته وقيادته.

وإذا أردنا أن نثبت ذلك فعلينا أن نتعرّف على معنىٰ المعصوم في البداية، ثمّ نجيب

---

(١) نداء الإمام الخميني ﷺ إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩هـ.

عن السؤال الآتي: لماذا لا تُغني قيادة الفقيه (الجامع لشروط القيادة) عن قيادة الإمام المعصوم؟

## تعريف المعصوم

«المعصوم» و«العصمة» من مادّة «عَصَمَ» بمعنى الإمساك، والمنع، والاستمساك[١].

وفي ضوء هذا المعنى نلاحظ أنّ المعصوم هو المصون من الذنب والمعصية، والعصمة ملَكة اجتناب الذنوب، فالمعصوم والعصمة من جذر واحد، وهو المصونيّة.

والمعصوم ـ في مباحث أُصول العقائد ـ هو المنزّه من الخطأ والذنب.

وبعبارة أُخرى: هو الذي لا يذنب، ولا يرتكب خطأً في الآراء والعقائد والأعمال، بل هو المصون من الذنب والخطأ دائماً.

## الفرق بين المعصوم والمجتهد

يختلف المعصوم عن المجتهد اختلافاً مبدئيّاً، بحيث لا يمكن المقايسة بينهما، وإن كان كلّ واحد منهما خبيراً في الدين حارساً له. والفرق بينهما أنّ المعصوم هو الذي ضمن الله تعالى معرفته بالدين، وصحّة آرائه وأعماله، وكلّ ما قاله هو في الحقيقة قول الله سبحانه، وتصرّفاته وممارساته الفرديّة والاجتماعيّة هي التي يريدها الله تعالى. أمّا المجتهد فقد يخطئ في بعض آرائه وقراراته لافتقاده صفة العصمة والمصونيّة من الخطأ، ذلك أنّ مدارك استنباط الأحكام في طائفة من المسائل ليست بنحوٍ يستطيع الفقيه فيه معرفة الواقع كما هو أهله، فيتّخذ قراراً بشأنه، ومن هنا ينشأ اختلاف الآراء بين الفقهاء.

---

(١) مفردات الراغب: ٥٦٩، مجمع البحرين: ٢ / ١٢٢٥.

## أعلى درجات القيادة

ذكرنا سابقاً أنّ القائد في النظام الإسلاميّ يضطلع بثلاث مهمّات أساسيّة هي:

١ـ المحافظة على نظم المجتمع عبر القيادة السياسيّة.

٢ـ تطبيق القوانين الإلهيّة.

٣ـ صيانة الدين من التحريف.

ولاريب أنّ الشخص الوحيد القادر على القيام بهذه المهامّ ـ بنحوٍ دقيق كامل مجرّد عن كلّ نقصٍ وخطأ ـ هو المصون من الخطأ في معرفة الأحكام والقوانين الإلهيّة وفي تطبيقها. من هنا فإنّ أرفع القيادات درجةً هي قيادة المعصوم.

وقد اقتضت الحكمة الإلهيّة أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسيّة المنزّهة عن كلّ نقصٍ وخطأ.

ويعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام ـ استناداً إلى الأدلّة القاطعة ـ أنّ الأنبياء ومَن يصطفيهم الله تعالى بنحوٍ خاصّ ويعيّنهم للناس أئمّةً وقادةً بواسطة أنبيائه هم الحائزون على أرفع درجات القيادة.

وقد تكفّل الله تعالى تنزيههم عن الذنب والخطأ[1]. من هنا عندما يفوز المجتمع الإسلاميّ بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعيّةً لقيادة سواه.

---

(١) انظر كتابنا فلسفهٔ وحى ونبوّت (فلسفة الوحي والنبوّة): القسم الخامس «دراسة تحليليّة لعصمة الأنبياء».

# الخلاصة

◙ حاجة المجتمع إلى القيادة السياسيّة حاجة فطريّة، ولذلك كانت لجميع الأُمم والشعوب قيادة سياسيّة على مرّ التاريخ.

◙ تعتقد عامّة الفِرق الإسلاميّة ـ إلاّ فئة من الخوارج وجماعة من المعتزلة ـ بوجوب القيادة السياسيّة للمجتمع.

◙ يعدّ المنطق الماديّ الديالكتيكيّ حركة المجتمع حتميّة، فهو يطوي طريق تكامله تلقائيّاً، ولا حاجة به إلى القيادة، وقد أثبت أنصار هذه النظريّة بطلانها عمليّاً.

◙ نظريّة تعميم الإمامة محاولة ساذجة جدّاً لفرض المنطق الماديّ على أُسس القيادة في الإسلام.

◙ في الوقت الذي يرى فيه الإسلام أنّ أرفع درجات القيادة ضروريّة للمجتمع يؤكّد ضرورة القيادة السياسيّة على نحوٍ مطلق عندما لا تتهيّأ الأرضيّة للقيادة السياسيّة المطلوبة.

### فلسفة ولاية الفقيه

◙ تقوم فلسفة ولاية الفقيه على قاعدتين:

١ ـ أنّ تكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً ـ وهو الذي يمثّل الحكمة ممّن خلقه ـ لا يمكن أن يتحقّق إلاّ عبر منهاج يضعه الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ أنّ الشخص الأكفأ لقيادة المجتمع هو الأعرف بالمنهاج الربّانيّ لتكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه.

◙ تدلّ الروايات الإسلاميّة على أنّ فلسفة القيادة السياسيّة في الإسلام ـ الرامية إلى المحافظة على النظام الإسلاميّ، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وصيانة الدين من التحريف ـ لا يمكن أن تحقَّق في غيبة الإمام المعصوم إلاّ بقيادة الفقيه الحائز على شروط القيادة.

◙ يضطلع الفقيه الحائز على شروط القيادة ـ من أجل إقامة الحكومة، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وصيانة الإسلام الأصيل من التحريف في عصر غيبة الإمام المعصوم ـ بنفس المسؤوليّة التي يضطلع بها الإمام المعصوم عند حضوره.

◙ تتمثّل فلسفة الفقه العمليّة بقيادة الفقيه السياسيّة لعلاج جميع مشاكل المجتمع على أساس المبادئ الإسلاميّة.

◙ إنّ أخطر تشويه يهدّد الإسلام في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي وقف الإمام الراحل رضوان الله عليه أمامه بكلّ صلابة، وعانى ما عانى بسببه.

**فلسفة إمامة المعصوم**

◙ «العصمة» و «المعصوم» من جذرٍ واحد، بمعنى المصونيّة، والمعصوم في المباحث العقيديّة هو المصون من الخطأ والذنب.

◙ شاءت حكمة الله تعالى أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسيّة المنزّهة عن كلّ نقصٍ وخطأ.

◙ يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام بعصمة الأنبياء والقادة الذين يصطفيهم الله وينصبهم للناس. وعلى هذا عندما يفوز المجتمع بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعيّةً لقيادة سواه.

# الفصل الثاني

# القيادة الأخلاقيّة

الأخلاق أساس السلوك الإنسانيّ، والقِيَم الأخلاقيّة عماد المجتمع الإبـراهـيميّ المثاليّ والأُمّة المحمّديّة النموذجيّة.

إنّ الحكمة والهدف النهائيّ من الوحي والنبوّة إحياء القِـيَم الأخـلاقيّة وإعـداد الصالحين، والارتفاع بهم نحو المقام الرفيع للإمامة الأخلاقيّة، كما قال نبيّنا الكـريم محمّدﷺ:

**«بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»**[1].

وكانﷺ نفسُه نموذجاً كاملاً للقائد الأخلاقيّ، كما قال تعالى في كتابه الحكيم:

**﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**[2].

---

(١) السنن الكبرى: ١٠ / ١٩٢، إتحاف السادة: ٦ / ١٧١، المعجم الكبير: ٢٠ / ٦٦ / ١٢٠، ومثله فـي النـهاية: ٢ / ٧٠، مكارم الأخلاق: ١ / ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٢١.

من هنا فإنّ الصالحين يحاولون دائماً أن يقتربوا من هذه الأُسوة الأخلاقيّة العظيمة ويقتدوا بها في حياتهم.

ونقرأ في آخر سورة الفرقان اثنتي عشرة خصلة يتّسم بها أُولئك الصالحون، منها الصفة الآتية:

**﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلمتَّقِينَ إماماً﴾**[1].

وتؤول فلسفة القيادة السياسيّة في الإسلام إلى فلسفة الوحي والنبوّة في آخر المطاف، أي: ارتقاء الإنسان إلى القيادة الأخلاقيّة، بعبارة أُخرى: فلسفة القيادة الأخلاقيّة انعكاس لفلسفة القيادة السياسيّة، وقد مرّ شرح ذلك في الفصل الأوّل. يضاف إلى ذلك، أنّ القيادة الأخلاقيّة شرط للقيادة السياسيّة، أي: ما لم يتمتّع الإنسان بالقيادة الأخلاقيّة فلا يصلح ـ في منظار الإسلام ـ للقيادة السياسيّة للمجتمع الإسلاميّ.

## درجات القيادة الأخلاقية

يبدو في أوّل نظرة أنّ درجات القيادة الأخلاقيّة تبدأ من القيادة القوليّة بلا عمل، ثمّ بالقيادة العمليّة، وتنتهي بالقيادة القوليّة والعمليّة معاً. وبقليل من التأمّل نجد أنّنا لا نستطيع أن نعدّ القيادة القوليّة بلا عمل من درجات القيادة الأخلاقيّة المثاليّة، لأنّ الإمام والقائد الأخلاقيّ للمجتمع ـ من منظور إسلاميّ ـ ينبغي أن يكون قدوةً للناس في سلوكه وعمله قبل أن يدعوهم إلى القِيَم بأقواله. قال أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

**«مَن نَصَب نفسَهُ للناس إماماً فليبدأ بتعليمِ نفسِه قبلَ تعليمِ غيره، ولْيَكُن**

---

(١) الفرقان: ٧٤.

**تأديبُهُ بسيرَتِهِ قَبْلَ تأديبِه بِلسانِه، ومُعَلِّمُ نَفْسِهِ ومُؤَدِّبُها أحقُّ بالإجلال من معلِّمِ النّاسِ ومُؤَدِّبِهم»**[١].

القيادة الأخلاقيّة بلا عمل لا تمثّل قيمة معيّنة، بل هي منافية للقِيَم.

ويتحدّث الشاعر حافظ الشيرازيّ عن القائلين الحقّ المنحرفين عنه في العمل فيقول ما ترجمته:

ـ هؤلاء الوعّاظ الذين يتبدّون بمثل هذا القدر (من القداسة) فوق المنبر وأمام المحراب يفعلون الأفاعيل إذا ما انفردوا في خلوة.

ـ إنّي لحائر! فَسَل عالِمَ المجلس: ترىٰ... ما بال الآمرين بالتوبة لا يتوبون هم أنفسهم إلّا في الندرة؟!

ـ كأنّما هم لا يؤمنون بيوم الحساب، فيرتكبون كلّ هذا الغشّ والتزوير مع الله المحاسب!

ويوبّخ القرآن الكريم بشدّة الأشخاص الذين يدعون الناس إلى التحلّي بالفضائل، وهم لا يتحلّون بها. قال تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**[٢].

ولعن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مثل هؤلاء القادة الأخلاقيّين بقوله:

**«لَعَنَ اللهُ الآمرينَ بالمعروفِ التاركينَ لَه، والناهينَ عن المنكرِ العاملينَ به»**[٣].

وروي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

(٢) الصفّ: ٢ و ٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩.

**«أتيتُ ليلة أُسري بي على قومٍ تقرض شفاههم بمقاريض من نارٍ، كلّما قُرضت وفت (أي: تمّت وطالت) فقلت: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: خطباء أُمّتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به»**[1].

في ضوء ذلك، تبدأ درجات القيادة الأخلاقيّة من القيادة القوليّة والعمليّة، وفي أعلى درجاتها يسبق عمل الإنسان قوله، ويصبح باطنه أفضل من ظاهره، أي: يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وهكذا يحظى بأجمل الفضائل الأخلاقيّة. يقول سيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

**«زيادةُ الفعل على القول أحسنُ فضيلة، ونقصُ الفعل عن القول أقبحُ رذيلة»**[2].

## ولاية القادة الأخلاقيّين

يرى القرآن الكريم أنّ جميع المؤمنين يتّسمون بالقدرة على القيادة الأخلاقيّة، وما عليهم إلّا أن يهيّئوا أنفسهم لهذه القيادة. قال تعالى:

**﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[3].

إنّ هذه الولاية التي منحها الله كافّة المسلمين ليست قيادة سياسيّة، بل هي قيادة وولاية أخلاقيّة، إذ من حقّ المسلم ـ بل من واجبه ـ في نشر القِيَم الأخلاقيّة في المجتمع الإسلاميّ وتطهيره من الرذائل، أن يخطو هو في هذا السبيل، وأن يأمر به الآخرين.

---

(١) شُعب الإيمان: ٢ / ٢٨٣ / ١٧٧٣؛ كنز العمّال: ١١ / ٣٩٨ / ٣١٨٥٦.

(٢) غرر الحكم: ٥٤٥٩.

(٣) التوبة: ٧١.

## نموذج القيادة الأخلاقية

يمكننا أن نجد أبرز نموذج للقيادة الأخلاقيّة في نهج البلاغة. حيث يصف الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام أحد إخوانه في الله، بدون أن يصرّح باسمه، لما نال من أرفع درجات القيادة الأخلاقيّة، ويؤكّد في آخر كلامه أنّ التحلّي بهذه الصفات ضروريّ للجميع، وإذا تعذّر على أحد أن يبلغ تلك الدرجة الرفيعة من الفضائل الأخلاقيّة فعليه أن يسعى بمقدار جهده ليحظى بقسمٍ منها. قالعليه السلام:

**«كان لي فيما مَضَىٰ أخٌ في الله، وكان يُعْظِمُهُ في عيني صِغَرُ الدُّنيَا في عَينِه. وكانَ خارجاً من سُلطانِ بَطنِه، فلا يشتهي ما لا يَجِدُ، ولا يُكثِرُ اذا وجَدَ. وكانَ أكثَرَ دَهرِهِ صَامِتاً، فإن قال بذّ[1] القائلين، ونَقَعَ غليلَ[2] السّائلين. وكانَ ضَعيفاً مُستضعَفاً، فإن جاء الجِدُّ فهو ليثُ غابٍ وصِلُّ[3] وادٍ، لا يُدلي بِحُجّةٍ حتّىٰ يأتيَ قاضياً. وكانَ لا يلومُ أحداً على ما يَجِدُ العُذرَ في مثلِهِ حتّىٰ يَسمَعَ اعتِذارَه. وكانَ لايشكو وجَعاً إلاّ عند بُرئه. وكانَ يقولُ ما يفعلُ ولا يقولُ ما لا يفعل. وكانَ إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت. وكانَ على ما يَسمَعُ أحرَصَ منهُ علىٰ أن يتكلّم. وكان إذا بَدَهَهُ أمران ينظر أيُّهما أقرَبُ الى الهَوىٰ فيُخالِفُه. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإنّ لم تستطيعوها فاعلَموا أنَّ أخذَ القليلِ خيرٌ مِن تركِ الكثير»[4].**

---

(١) أي سبقهم وغلبهم. (لسان العرب).

(٢) أي أزال العطش.

(٣) الصِلّ ـ بالكسر ـ: الحيّة التي تقتُل إذا نهشت من ساعتها. (لسان العرب).

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢٨٩. وروي هذا الكلام باختلاف يسير عن الإمام الحسن المجتبىعليه السلام كما في بحار الأنوار: ٦٩ / ٢٩٤ / ٢٤.

# الخلاصة

◘ الأخلاق أساس السلوك الإنسانيّ، والغاية النهائيّة من الوحي، والنبوّة إحياء القِيَم الأخلاقيّة، والارتفاع بالإنسان إلى القيادة الأخلاقيّة.

◘ القيادة الأخلاقيّة أحد شروط القيادة السياسيّة في الإسلام.

◘ القيادة الأخلاقيّة بلا عمل لا تمثّل قيمة معيّنة، بل هي منافية للقِيَم.

◘ ينبغي أن يكون القائد الأخلاقيّ قدوة في سلوكه قبل أن يدعو الناس إلى القِيَم.

◘ في أعلى درجات القيادة الأخلاقيّة يصبح باطن الإنسان أفضل من ظاهره. وهذه الفضيلة من أجمل الفضائل الإنسانيّة.

◘ المؤمنون كافّة يتمتّعون بالقدرة على الولاية الأخلاقيّة، وما عليهم إلاّ أن يعدّوا أنفسهم للقيادة الأخلاقيّة.

◘ القدرة على الولاية الأخلاقيّة ليست اقتداراً سياسيّاً، بل هي حقٌّ يمارسه الإنسان من أجل اجتثاث الرذائل، وبثّ الفضائل.

◘ أُشير في الحكمة ٢٨٩ من حِكَم نهج البلاغة إلى أبرز نموذج للقادة الأخلاقيّين، وينبغي للجميع أن يستنيروا بها فيجدّوا ليقتربوا من تلك الدرجة الرفيعة للقيادة الأخلاقيّة.

# الفصل الثالث

# القيادة العلميّة

إنّ التعرّف على حقائق الوجود من أهمّ أُسس تكامل الإنسان، وكلّما زاد وعي الإنسان زادت كرامته وزاد كماله الإنسانيّ.

ولا ريب أنّنا لا يمكن أن نُلمّ بالحقائق التي تُعرِّف الإنسان على منهاج تكامله بدون قيادة علميّة، فالمجتمع إذن يحتاج إلى القيادة العلميّة لا محالة كحاجته إلى القيادة الأخلاقيّة والسياسيّة.

والنقطة اللافتة للنظر ـ من منظار عامّ ـ هي أنّ العلوم التي يحتاج إليها الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: العلوم التي يحصل عليها الإنسان بجهوده وتجاربه.

الثاني: العلوم التي لا يمكن الحصول عليها إلّا عن طريق الاتّصال بمبدأ الوحي وبارئ الوجود.

ولا يحتاج المجتمع إلى قيادة إلهيّة من أجل الحصول على القسم الأوّل من العلوم المذكورة، لأنّه يستطيع أن يحصل عليها وحده، وما دور القيادة الإلهيّة هنا إلّا

التخطيط لتسيير هذه العلوم باتّجاه سعادة الإنسان الدائمة. أمّا القسم الثاني منها ـكالحقائق المتعلّقة بالمبدأ والمعاد ممّا لا يتسنّى إحرازه بالدراسة والبحث والتجربة ـ فلا جرم أنّ المجتمع يحتاج إلى قيادة إلهيّة بغية كسبها. ولا تتحقّق هذه الأُمور إلّا عبر القيادة التي ينبغي أن تكون آراؤها مصونة من الخطأ، كي تحول دون بروز خلاف في تحديد الحقائق التي عرضها الوحي.

## قيادة القرآن العلميّة

بعد رحيل الرسول الأكرم محمّدﷺ زعم البعض أنّ القرآن الكريم وحده يكفي لقيادة العالم علميّاً، وطرح هؤلاء شعارهم المعروف «حسبنا كتاب الله» لإلغاء حاجة المجتمع الإسلاميّ إلى المرجعيّة العلميّة لأهل بيت النبوّةعليهم السلام، بيدَ أنّ التاريخ الإسلاميّ أثبت بوضوح أنّ هذا الشعار ليس سديداً، وأنّ القرآن الكريم وحده لا يلبّي حاجة المجتمع الإسلاميّ بدون قيادة إلهيّة.

وحينما أوفد أميرالمؤمنينعليه السلام عبدالله بن عبّاس لمناظرة المتمرّدين في النهروان، قال له:

**«لا تُخاصِمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حَمَّالٌ ذُو وجوهٍ، تَقولُ ويقولونَ، ولكنْ حاجِجهم بالسُّنّة، فإنّهم لن يَجدُوا عَنها محيصاً»**[1].

القرآن دستور الإسلام، ولا شكّ أنّه يحتاج إلى مفسّرين مصونين من الخطأ، يستطيعون أن يهدوا المجتمع الإسلاميّ إلى حقائقه ومفاهيمه، وإلى ما يحتاجون إليه من برامج في حياتهم. من هنا قرن الرسول الأعظمﷺ أهل بيته بالقرآن بوصفهم هُداة الأُمّة الإسلاميّة وقادتها، وذلك في حديث الثقلين المتواتر الذي اتّفق عليه الفريقان (الشيعة والسنّة). وعلى هذا الأساس أصبحت القيادة السياسيّة والقيادة العلميّة في

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٧٧.

المجتمع الإسلاميّ جنباً إلى جنب، لتكون المرجعيّة العلميّة لأهل البيت تمهيداً لقيادة المسلمين السياسيّة، لكن واحسرتاه...!

## قيادة المعصوم العلمية

إنّ قيادة المعصوم العلميّة في علاج المشاكل العلميّة وتشخيص الحقائق التي جاء بها الوحي من المسائل التي استند إليها الأئمّة المعصومون وأصحابهم في مناظراتهم مع مناوئيهم لإثبات ضرورة قيادة المعصوم.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام أوّل من تمسّك بهذا البرهان.

فقد انتقد بعض العلماء المعاصرين له الذين كانوا يختلفون في استنباط الأحكام الإلهيّة، وأعلن مستنكراً: لماذا لا يريدون أن يقرّوا بهذه الحقيقة وهي أنّ الله تعالى عيّن لهم مرجعاً لعلاج الاختلاف في استنباط الأحكام؟! ثمّ قال:

**«تَرِدُ على أحدهم القضيّةُ في حُكْمٍ مِن الأحكام فيحكُمُ فيها برأيه، ثمَّ تَرِدُ تِلك القضيّةُ بِعَينها على غيره فيحكُم فيها بخلافه، ثمَّ يَجتَمِعُ القُضاةُ بذلك عند الإمام الّذي استَقْضَاهُم فَيُصَوِّبُ آراءَهُم جَميعاً، وإلٰهُهُم واحدٌ، ونبيُّهم واحدٌ، وكتابُهم واحدٌ!»**.

وواصل الإمام عليه السلام كلامه، فطرح أسئلة حول اختلافهم في تعيين الحكم الواقعيّ للإسلام، وترك جوابها للسامع كي يستنتج بشكل طبيعيّ أن لا سبيل لرفع الاختلاف في استنباط الأحكام إلّا الرجوع إلى المعصوم، وليس لأيّ فقيه وعالم أن يملأ الفراغ الناتج عن غياب القائد المعصوم، قال عليه السلام:

**«أفَأمرهمُ اللهُ تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نَهاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوهُ؟! أمْ أنْزَلَ اللهُ ديناً ناقصاً فَاسْتَعانَ بهم على إتمامه؟! أمْ كانوا شُرَكاءَهُ فَلَهُمْ أنْ يقُولُوا وَعَلَيهِ أنْ يرضى؟! أمْ أنْزَلَ اللهُ سُبحَانَهُ ديناً تامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عن تبليغِهِ وأَدائِه، واللهُ**

**سُبحانَهُ يقول: ﴿ما فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ﴾[1] وفِيهِ تبيَانٌ لِكُلِّ شَيءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الكتابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وأَنَّهُ لااخْتِلافَ فِيهِ[2].**

في ضوء ذلك، إذا كان محالاً على الله أن يصدر تعاليم متناقضة، وهو كذلك حقّاً، وإذا كان دينُ الله كاملاً، وهو كذلك لا محالة، وإذا كان الله تعالى لم يستعِن بأحد لإكمال دينه، وهو كذلك قطعاً، وإذا كان الله لا كفو له فيحقّ له التشريع، وهو كذلك حتماً، وإذا كان النبيّ لم يقصّر في إبلاغ دين الله الكامل، وهو كذلك حقّاً، وإذا كان الله تعالى قد بيّن كلّ شيء في القرآن الكريم، وهو كذلك قطعاً، إذا كان ذلك كلّه فمن أين نشأ الاختلاف؟

محصّلة ما ذكرناه هو أنّه لابدّ أن يخلف النبيّ ﷺ مَن له القدرة على استنباط الأحكام الإلهيّة جميعها من القرآن الكريم، ويكون مصوناً من الخطأ والطيش في تشخيصه، ويمثّل الملاذ الفكريّ والمرجع العلميّ للأُمّة الإسلاميّة.

## مناظرة عمر بن أُذينة مع قاضي الكوفة

على أساس هذا البرهان المتين كانت هناك مناظرة رائعة حول مرجعيّة المعصوم العلميّة في الأحكام الإلهيّة، جرت بين عمر بن أُذينة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وعبدالرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة.

يقول عمر: دخلتُ يوماً على عبدالرحمن بن أبي ليلى بالكوفة وهو قاضٍ، فقلتُ: أردتُ ـ أصلحك الله ـ أن أسألك عن مسائل وكنتُ حديث السنّ.

فقال: سل، يابن أخي عمّا شئت!

قلت: أخبرني عنكم معاشر القضاة، ترد عليكم القضيّة في المال والفرج والدم،

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨.

فتقضي أنت فيها برأيك، ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على قاضي مكّة، فيقضي فيها بخلاف قضيّتك، ثمّ ترد على قاضي البصرة، وقاضي اليمن، وقاضي المدينة، فيقضون فيها بخلاف ذلك، ثمّ تجتمعون عند خليفتكم الذي استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضاياكم، فيصوّب رأي كلّ واحد منكم، وإلهكم واحد، ونبيّكم واحد، ودينكم واحد!

أفأمركم الله عزّوجلّ بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه؟ أم كنتم شركاء الله في حكمه فلكم أن تقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بكم في إتمامه؟ أم أنزله الله تامّاً فقصّر رسول الله ﷺ عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟

(ولمّا كانت هذه الأسئلة جديدة على عبدالرحمن، فإنّه أراد أن يعرف السائل)، فقال: من أين أنت يا فتى؟

قلتُ: من أهل البصرة.

قال: من أيّها؟

قلت: من عبدالقيس.

قال: من أيّهم؟

قلت: من بني أُذينة.

قال: ما قرابتك من عبدالرحمن بن أُذينة؟

قلت: هو جدّي.

فرحّب بي وقرّبني، وقال: أي فتى، لقد سألت فغلّظت، وانهمكت فتعوّصت، وسأخبرك إن شاء الله، أمّا قولك في اختلاف القضايا، فإنّه ما ورد علينا من أمر القضايا ممّا له في كتاب الله أصل أو في سنّة نبيّه ﷺ فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنّة، وأمّا ما ورد علينا ممّا ليس في كتاب الله ولا في سنّة نبيّه فإنّا نأخذ فيه برأينا.

قلت: ما صنعت شيئاً! لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ

شَيءٍ﴾[١]، وقال فيه: ﴿تِبياناً لِكُلِّ شَيءٍ﴾[٢].

...قال:... فتقول أنت: إنّ كلّ شيء في كتاب الله عزّوجلّ؟

قلت: الله قال ذلك، وما من حلالٍ ولا حرام ولا أمر ولا نهي إلّا وهو في كتاب الله عزّوجلّ، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله.

ولقد أخبرنا الله فيه بما لا نحتاج إليه، فكيف بما نحتاج إليه؟

قال: كيف قلت؟

قلتُ: قوله: ﴿فأصبح يُقلِّبُ كفّيه على ما أنفق فيها﴾[٣].

قال: فعند مَن يوجد علم ذلك (أي علم ما في القرآن)؟

قلت: عند مَن عرفت!

قال: وددت لو أنّي عرفته فأغسل قدميه وآخذ عنه وأتعلّم منه!

قلت: أُناشدك الله، هل تعلم رجلاً كان إذا سأل رسول الله ﷺ شيئاً أعطاه، وإذا سكت عنه ابتدأه؟

قال: نعم، ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قلت: فهل علمت أنّ عليّاً سأل أحداً بعد رسول الله ﷺ عن حلال أو حرام؟

قال: لا.

قلتُ: هل علمت أنّهم (أي الصحابة) كانوا يحتاجون إليه ويأخذون عنه؟

قال: نعم.

قلت: فذلك عنده.

قال: فقد مضى، فأين لنا به؟!

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الكهف: ٤٢.

قلت: تسأل في ولده، فإنّ ذلك العلم عندهم.

قال: وكيف لي بهم؟

قلت: أرأيت قوماً كانوا بمفازة من الأرض ومعهم أدلّاء، فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم وجافوا بعضهم، فهرب واستتر مَن بقي لخوفهم، فلم يجدوا من يدلّهم، فتاهوا في تلك المفازة حتّى هلكوا؟ ما تقول فيهم؟

قال: إلى النار. واصفرّ وجهه، وكانت في يده سفرجلة، فضرب بها الأرض فتهشّمت، وضرب بين يديه، وقال: ﴿إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[1][2].

### مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد

إنّ أروع مناظرة حول ضرورة قيادة الإمام المعصوم ومرجعيّته العلميّة هي المناظرة التي دارت بين هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد[3] رئيس فرقة من فِرق المعتزلة.

وصفوة القول فيهاأنّ شابّاً من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام البارزين غلب مناظره الذي كان عالماً معروفاً وإماماً لأهل البصرة، وتناقلت الأوساط العلميّة يومئذٍ خبر هذه المناظرة حتّى رغب الإمام الصادقعليه السلام أن يسمعها على لسان تلميذه الفتى، وفيما يأتي نصّ ما جاء فيها:

كان عند أبي عبداللهعليه السلام جماعة من أصحابه منهم... هشام بن الحكم وهو شابٌّ، فقال أبو عبداللهعليه السلام: يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟ وكيف سألته؟

---

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) دعائم الإسلام: ١ / ٩٢، بحار الأنوار: ١٠٤ / ٢٧٠ وما بين القوسين توضيحٌ منّا أضفناه.

(٣) وكان من شيوخ المعتزلة المعروفين بالتقشّف والزهد.

فقال هشام: يابن رسول الله، إنِّي أُجلّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليَّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة.

فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقةٍ كبيرةٍ فيها عمرو بن عبيد وعليه شملةٌ سوداء متّزر بها من صوف، وشملةٌ مرتدٍ بها، والناس يسألونه.

فاستفرجتُ الناس، فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتيّ.

ثمّ قلت: أيّها العالم، إنّي رجل غريب، تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟

فقال: يا بنيّ، أيّ شيء هذا من السؤال؟! وشيء تراه كيف تسأل عنه؟!

فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يا بنيّ، سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قلت: أجبني فيها.

قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة.

قلت: ألك فم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أذوق به الطعم.

قلت: فلك أُذن؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الصوت.

قلت: ألك قلب؟[1]

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواسّ.

قلت: أوَليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟

فقال: لا.

قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بنيّ، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ.

قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟

قال: نعم.

قلت: لابدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟

قال: نعم.

---

(١) المقصود من القلب هنا مركز التعقّل والإدراك.

فقلت له : يا أبا مروان ، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ما شكّ فيه ، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟!

قال : فسكت ، ولم يقل لي شيئاً ، ثمّ التفت إليّ ، فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟

فقلت : لا .

قال : أمِن جُلَسائه ؟

قلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذاً هو !

ثمّ ضمّني إليه ، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه[1] ، وما نطق حتّى قمت !

قال : فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال : يا هشام من علّمك هذا ؟

قلت : شيء أخذته منك وألّفته .

فقال : هذا والله مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى[2] .

---

(١) أي : تزحزح عن مكانه الذي كان يجلس فيه وأجلس هشاماً تعظيماً له .

(٢) الكافي : ١ / ١٦٩ / ٣ .

# الخلاصة

▣ العلم أهمّ دعامة للتكامل، ويتعذّر التعرّف على الحقائق التي تُطلع الإنسان على مناهج التكامل ما لم تكن هناك قيادة علميّة.

▣ يحتاج المجتمع الإسلاميّ إلى قيادة الإمام المعصوم العلميّة في جميع العصور، للحؤول دون بروز الخلاف في تشخيص الحقائق التي جاء بها الوحي. وعلى أساس هذه الحاجة جعل النبيّ الأكرمﷺ أهل بيتهعليهم السلام عِدل القرآن الكريم إلى يوم القيامة.

▣ كان أميرالمؤمنينعليه السلام أوّل من تمسّك بالبرهان على ضرورة قيادة الإمام المعصوم لعلاج الخلافات الطارئة في تشخيص الحقائق الإسلاميّة.

وتمسّك به أيضاً عمر بن أذينة وهشام بن الحكم ـ وهما من أصحاب الإمام الصادقعليه السلام ـ بأُسلوبٍ جميلٍ دلّت عليه مناظراتهما مع الخصم.

# الفصل الرابع

# القيادة الباطنيّة

وهي أحد الأقسام الأربعة للقيادة وأكملها. ولا تعني القيادة الباطنيّة سلطة سياسيّة أو هداية أخلاقيّة أو زعامة علميّة، بل تعني نوعاً من الهداية التكوينيّة بين القائد والمقود في مسار تكامل الإنسان. وفي ضوء ذلك، لا يتهيّأ هذا اللون من العبادة إلّا لمن له ولاية تكوينيّة.

### تعريف الولاية التكوينيّة

وهي ضرب من القدرة المعنويّة التي يتمتّع بها الإنسان بإرادة الله ونتيجة العمل بالتعاليم والأحكام الإلهيّة.

قال العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في تفسير كلمة «الولاية»، والفارق بينها وبين النبوّة:

**«النبوّة حقيقة حصلت على الأحكام الدينيّة والنواميس الإلهيّة المرتبطة بالحياة وأبلغتها الناس، والولاية حقيقة تظهر في الإنسان نتيجة العمل بتعاليم**

**النبوّة والنواميس الإلهيّة»**[١].

بعبارة أوضح: النبوّة تعرض منهاجاً لتكامل الإنسان، والتكامل الذي يناله الإنسان بتطبيقه هذا المنهاج حقيقة تمنحه طاقة وقدرة معنويّة يغدو معها قادراً على التصرّف في عالم الوجود، بما يناسب قدرته وطاقته.

من هنا تسمّى هذه الحقيقة وهذه القدرة «ولاية تكوينيّة» أو «ولاية معنويّة».

وكلّما ازدادت فاعليّة ثمرات النبوّة في حياة الإنسان ازدادت درجات ولايته التكوينيّة حتّى يصل إلى درجة «الولاية الإلهيّة الكلّيّة» أي: درجة الإنسان الكامل.

ويمكننا أن نستنتج إذن أنّ الولاية كالإمامة لها مراتب ودرجات.

## درجات الولاية التكوينيّة

ذكروا لها خمس درجات هي[٢]:

### ١ ـ السيطرة على النفس

يكسب الإنسان في هذه الدرجة من التكامل قوّةً أمام رغباته النفسانيّة والحيوانيّة، فيتغلّب على نفسه الأمّارة، ويسخّر ميوله النفسيّة، ويمسك بزمام حكومته على نفسه، ويصبح في آخر المطاف قائداً كفوءً في نطاق وجوده.

وآية الوصول إلى هذه الدرجة من التكامل هي البصيرة. أي: يصبح الإنسان ذا بصيرة نتيجة السيطرة على ميوله ورغباته النفسيّة، تلك السيطرة التي سمّاها القرآن الكريم: التقوى. وحينئذٍ يستطيع في ضوئها أن يرى الحقائق العقليّة كما هي عليه،

---

(١) خلافت وولايت: مجلّة حسينيّة الإرشاد، سنة ١٣٩٠ هـ نقلاً عن مجلّة «مكتب تشيّع»، العدد ٢ / ١٧٢ ـ ١٨٠ بقلم الأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه.

(٢) نفسه: مقالة الأُستاذ الشهيد مطهّري، ص ٣٨٣ـ٣٩٣.

وأن يميّز الحقّ من الباطل. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾[١].

ووعد سبحانه عباده الذين يجاهدون في سبيله بقوله:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢].

## ٢ ـ التغلّب على الخيال

قوّة الوهم والخيال من أعجب القوى البشريّة الخارجة عن إرادة الإنسان، بل المسيطرة عليه من هنا، قلّما يستطيع الإنسان أن يركّز على موضوع معيّن، مثلاً عند الصلاة تتقاذفه هذه القوّة وتميل به يميناً وشمالاً، فلا يحضر قلبه فيها حضوراً تامّاً.

ويتغلّب الإنسان على هذه القوّة ـ في الدرجة الثانية من تكامله ـ بواسطة الولاية التكوينيّة. بعد ذلك كلّما اشتاقت الروح إلى العروج نحو معشوقها الحقيقيّ على أساس فطرتها الإلهيّة تفقد قوّة الخيال قدرتها على العمل، فلا يسعها أن تحول دون عروج العاشق، قال الشاعر جلال الدين الروميّ في شرح الحديث النبويّ القائل:

«تنام عيناي ولا ينام قلبي»[٣] ما ترجمته:

قال النبيّ ﷺ: «تنام عيناي ولا ينام قلبي عن ربّ الأنام».

عينك ساهرة وقلبك نائم، وعيني غافية وقلبي في (مقام) فتح الباب (باب الر‍
والتقرّب إلى الحقّ).

أنا لست جليسك بل ظلّي هو من يُجالسك، وإنّ مقامي يفوق الأفكار
بل عبرتُ الأفكار، وأعرج باحثاً فيما وراء الأفكار
أنا حاكم على الفكر ولست محكوماً، كما انّ البنّاء حاكم على بنائه.

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) الصراط المستقيم: ٣ / ٧، مناقب آل أبي طالب: ١ / ١٤٣ وفيه: «تنام عيني ولا ينام قلبي».

الناس جميعهم مسخّرون للأفكار، لذلك تراهم مرهقين مغمومين.

أنا كالطائر المحلّق في أعالي الجوّ والفكر ذُبابة، فمتى تستطيع الذبابة أن تدركني؟

### ٣ـ القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادّيّة

يتمتّع الإنسان في الدرجة الثالثة من التكامل بقدرة تمكّنه من القيام بأعمال معيّنة دون الحاجة إلى الوسائل والآلات المادّيّة. أي: تستغني الروح عن أجهزة الجسم في بعض نشاطاتها. على سبيل المثال، يستطيع الإنسان أن يرى الأشياء من غير استعانةٍ بالعين، ويستطيع أن يسمع من غير استعانة بالأُذن، أو من غير أن يكون حاضراً. حضوراً مادّيّاً، ويتحقّق هذا الاستغناء لعدد من اللحظات حيناً، ولعدد من المرّات حيناً آخر، وعلى الدوام حيناً ثالثاً، وهو ما يعرف بالتجرّد.

### ٤ـ السيطرة التامّة على الجسم

يسيطر الإنسان على جسمه سيطرةً تامّةً في الدرجة الرابعة من تكامله. أي: يخضع الجسم لإرادة الإنسان من كلّ الجهات بحيث يفعل الإنسان الخوارق في حيّز جسمه.

### ٥ـ السيطرة على الكون

في أعلى درجة من درجات التكامل وفي خامس مرتبة من مراتب الولاية التكوينيّة يتمتّع الإنسان بقدرة تجعله يتصرّف في الكون ويفعل ما يشاء، مضافاً إلى سيطرته التامّة على نطاق وجوده الشخصيّ.

جاء في الحديث النبويّ الشريف أنّ أهل الجنّة عندما يدخلونها يؤمر مَلَك أن يناولهم كتاباً من عند الله، فيدخل عليهم بعد أن يستأذن ويسلّم عليهم، فيناولهم الكتاب، وفيه:

**«من الحيّ القيّوم الّذي لايموت إلى الحيّ القيوم الّذي لايموت. أمّا بعد، فإنّي**

**أقول للشيء: كن فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء: كن فيكون».**

قال ﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنّة للشيء: كن إلّا ويكون[١].

والإنسان الكامل يتمتّع بتلك القدرة في هذا العالم، كما يتمتّع أهل الجنّة في جنّتهم.

روي أنّ الله تعالى يخاطب الإنسان قائلاً:

**«يابن آدم، أنا حيٌّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك حتّى أجعلك حيّاً لا تموت.**

**يابن آدم، أنا أقول للشيء: كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء: كن فيكون»[٢].**

ومن هذا السنخ معجزات الأنبياء والأولياء الصالحين وكراماتهم.

فقد وهبهم الله قدرةً وإرادةً يستطيعون من خلالها التصرّف في الكون بإذن الله، فيقلبون العصا حيّةً تسعى، ويبرئون الأكمه، ويحيون الميّت، وهذه القدرة هي نتيجة الائتمار بأمر الله، وطيّ صراط التقرّب بالحقّ، واقتراب الإنسان من مركز القدرة في الكون.

## بضع ملاحظات

ونظراً إلى ما عرضناه في مفهوم الولاية التكوينيّة ودرجاتها، يبدو أنّ الاهتمام بعدد من الملاحظات ضروريّ:

١ـ من الثابت أنّ نقطة البداية في الولاية التكوينيّة هي سيطرة الإنسان على نفسه وتألّق بصيرته، وفي أعلى درجاتها تصبح له قدرة على التصرّف في الكون،

---

(١) تفسير القرآن الكريم: ٥ / ١٥ للملّا صدرا نقلاً عن الفتوحات المكّيّة لابن عربي: ٣ / ٢٩٥ / الباب ٣٦١ دار صادر ـ بيروت.

(٢) مستدرك الوسائل: ١١ / ٢٥٨ / ١٢٩٢٨، ميزان الحكمة: ٣ / ١٧٩٨ / ١١٦١٨.

ونيل الولاية المطلقة.

لكن لو سألت عن المسافة بين البداية والنهاية، وهل تنحصر درجات الولاية التكوينيّة بما ذكرناه؟ فلا يتسنّى لنا الجواب بدقّة ووضوح. بيدَ أنّا يمكن أن نقول مجملاً: إنّ عدد درجات الولاية الإلهيّة يساوي عدد منازل السلوك إلى الله ومراتب تكامل الإنسان.

٢ ـ إنّ مطلق القدرة الروحيّة للإنسان لا يدلّ على تكامله، لأنّ التمتّع بهذه القدرة يمكن أن يحصل عبر الرياضة أيضاً، لكن من الواضح أنّ جميع درجات الولاية التكوينيّة ـ في ضوء التعريف المارّ ذكره ـ تترجم السَير التكامليّ للإنسان وتقرّبه إلى الله تعالى.

٣ ـ إنّ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة في الإنسان الكامل، وقد عدّها الكلام الإلهيّ أعلى من النبوّة أيضاً، إذ وصف القرآن الكريم السَير التكامليّ لإبراهيم عليه السلام، فقال:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1].

وقد بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام مقام الولاية الإلهيّة المطلقة والإمامة في شيخوخته بعد النبوّة واجتياز الاختبارات المصيريّة الصعبة، وطيّ درجات التكامل. ووصف الإمام الباقر عليه السلام السَير التكامليّ لذلك النبيّ العظيم، مستلهماً من القرآن الكريم، فقال:

**«إنّ اللهَ تبارك وتعالى اتّخذَ ابراهيمَ عبداً قبل أن يتّخِذَهُ نبياً، وإنّ الله اتّخذَهُ نبياً قبل أن يتّخِذَهُ رسولاً، وإنّ اللهَ اتّخذَهُ رسولاً قبل أن يتّخِذَهُ خليلاً، وإنّ اللهَ اتّخذَه خليلاً قبل أن يجعله إمَاماً. فلمّا جَمَعَ له هذه الأشياء ـ وقبض يده ـ قال له: يا**

---

(١) البقرة: ١٢٤.

إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[١].

## فلسفة الولاية التكوينية

ينبغي لنا ـ بعد تبيين مفهوم الولاية التكوينيّة ودرجاتها ـ أن نتعرّف على فلسفتها، وكيف يحتاج المرء إلى الهداية المعنويّة للإنسان الكامل، والقيادة الباطنيّة للإمام.

إنّ دراسة دقيقة للروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تدلّ على أنّ الإسلام يرى أنّ الإنسان والمجتمع البشريّ بحاجة إلى إشراف الإنسان الكامل وهدايته وقيادته الباطنيّة والارتباط التكوينيّ به، من أجل نضجهما وبلوغهما الكمال المطلوب. وليس هذا فحسب، بل إنّ بقاء نظام العالم المادّيّ رهينٌ بالبقاء العنصريّ للإنسان الكامل في جميع الآباد. وتنقسم الروايات الإسلاميّة في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الروايات التي ترى أنّ الإنسان يحتاج إلى القيادة الباطنيّة للإمام في مسار تكامله المعنويّ.

٢ ـ الروايات التي تذهب إلى أنّ بقاء نظام الأرض بدون بقاء الإمام محال.

٣ ـ الروايات التي تبيّن دور الإمام الخاصّ في بقاء النظام الكونيّ.

## دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً

يرشدنا البحث في القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة في مجال الإمامة والقيادة إلى أنّ دور الإنسان الكامل أو الإمام في هداية الناس يتخطّى إراءة الطريق. فالإمام ـ مضافاً إلى هدايته العامّة ـ يُعين المؤهّلين والكفوئين على طيّ الطريق وبلوغ ما يطمحون إليه، وهو الكمال المطلق.

---

(١) الكافي: ١ / ١٧٥ / ٢.

بعبارة أُخرى: لا يقتصر دور الإمام في تكامل الإنسان على إراءة طريق التكامل، بل يربّي الأرواح المؤهّلة تكوينيّاً ـ في ظلّ أنواره الباطنيّة ـ ويقتادها نحو الكمال المطلق.

ونقل الشيخ الكلينيّ رضوان الله عليه في كتابه الثمين «الكافي» باب «أنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّوجلّ» ستّ روايات عن أئمّة الهدى عليهم السلام فسّرت فيها كلمة «النور» الواردة في بعض الآيات القرآنيّة بالإمام، نكتفي بذكر أُولاها:

عن أبي خالد الكابليّ، قال: سألت أبا جعفر (أي الإمام الباقر) عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ:

﴿فآمِنوا بِاللهِ وَرسُولِهِ والنّورِ الّذي أنْزَلْنَا﴾[1].

فقال عليه السلام:

**يا أبا خالد، النور والله نور الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة. وهم واللهِ نور الله الذي أُنزل. وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض. والله يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّوجلّ نورهم عمّن يشاء فتُظْلَم قلوبُهم**[2].

نلحظ من منظار هذه الرواية أنّ الإمام في مقام الولاية التكوينيّة شمسٌ متألّقة أسطع من الشمس المحسوسة، تضيء باطن العالم اللامحسوس، وتنير ملكوت السماوات والأض وضمائر المؤمنين الذين لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانيّة في ظلّ هذا النور فحسب، بل يظفرون بهذا الهدف أيضاً.

بعبارة أُخرى: تؤثّر الشمس المعنويّة للإمام في تكامل الإنسان المعنويّ تكوينيّاً

---

(١) التغابن: ٨.

(٢) الكافي: ١ / ١٩٤ / ١.

ـ مضافاً إلى إنارتها طريق هذا التكامل ـ كما تؤثّر شمسنا المحسوسة في تكامله المادّيّ تكوينيّاً، مضافاً إلى إضاءتها الظاهريّة.

قال العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه في دور الإمام التكوينيّ في هداية الإنسان ـ بعد تعريف الولاية التكوينيّة بالتفصيل الذي ذكرناه ـ:

**«أطلق القرآن الكريم كلمة «الإمام» على مَن له درجات القرب، وكان أميراً لقافلة أهل الولاية، وحافظاً لارتباط الإنسانية بهذه الحقيقة. فالإمام هو الذي اصطفاه الله سبحانه للسير بصراط الولاية قُدماً، وهو الذي أمسك بزمام الهداية المعنويّة، وعندما تشعّ الولاية في قلوب العباد فإنّها أشعّة وخطوط ضوئيّة من منبع النور الذي عنده، والمواهب المتفرّقة روافد متّصلة ببحره اللامتناهي»**[1].

وقال ﷺ في المفهوم القرآني للإمامة ما نصّه:

**«... فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتيّ يصاحبه. فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إيّاهم إلى المطلوب بأمر الله، دون مجرّد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ والرسول وكلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة»**[2].

وقال في الفصل السادس من قسم معرفة الإمام، من كتاب «الشيعة في الإسلام»، تحت عنوان: «الإمامة في باطن الأعمال» وهو يثبت كلامه:

**«للإمام ملَكةٌ توجيهيّة قياديّة على باطن أعمال الناس، كما له تلك الملَكة على ظهرها، وهو رأس القافلة، الذي يسير إلى الله عن طريق الباطن.**

**ولابدّ أن نلفت الأنظار إلى المقدّمتين الآتيتين من أجل تبيان هذه الحقيقة:**

**الأُولى: لا ريب أنّ الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان أو شقائه الأبديّ ـ من**

---

(١) خلافت وولايت (الخلافة والولاية): ٣٨٠.

(٢) تفسير الميزان: ١ / ٢٧٢.

منظار الإسلام والأديان السماويّة الأخرى ـ هي أعماله الصالحة أو السيّئة، إذ يتكفّل الدين السماويّ بتعليمه، وهو أيضاً يدرك صلاحها وسوءها عبر الفطرة المودعة فيه...

ولا شكّ أنّ خالق الوجود ـ الذي يفوق تصوّرنا من كلّ الجهات ـ ليس له تفكير اجتماعيّ مثلنا: وهذا التنظيم العُرفيّ للربوبيّة والعبوديّة وإصدار الأوامر وطاعتها والأمر والنهي والثواب والعقاب لا وجود له خارج حياتنا الاجتماعيّة. والنظام الإلهيّ هو النظام الكونيّ نفسه الذي يرتبط فيه وجود كلّ شيء وظهوره بصنع الله تعالى، حسب العلاقات الحقيقيّة وكفى...

وينبغي أن نستنتج من هذا أنّ علاقةً حقيقيّةً قائمة بين الأعمال الصالحة والسيّئة وبين ما هو موجود في عالم الأبد من الحياة وخصائصها. فسعادة الحياة القادمة وشقاؤها وليدا ذلك بإذن الله.

وبعبارة أبسط: تظهر في باطن الإنسان حقيقة في كلّ عمل من الأعمال الصالحة والسيّئة، فتصبح حياته القادمة رهينةً بها...

وملخّص الكلام أنّ للإنسان في باطن هذه الحياة الظاهريّة حياةً باطنيّةً أُخرى «حياة معنويّة» تنبع من أعماله وتنمو فترتبط بها سعادته وشقاؤه في ذلك العالم ارتباطاً تامّاً...

الثانية: يحدث كثيراً أنّ أحدنا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو لا يعمل بما يأمر به أو ينهى عنه، بيدَ أنّا لا نجد ذلك أبداً عند الأنبياء والأئمّة الذين تتحقّق هدايتهم وقيادتهم بأمر الله. فهم يعملون بالدين الذي يهدون إليه ويضطلعون بقيادته، ويتمتّعون بالحياة المعنويّة التي يقودون الناس إليها. ذلك أنّ الله لا يخوّل أحداً هداية الآخرين ما لم يهد نفسه. وهداية الله الخاصّة متحقّقة لا محالة.

ويمكن أن نحصل من هذا البحث على النتائج الآتية:

١ ـ النبيّ أو الإمام في كلّ أُمّة يحرز المقام الأوّل في كمال الحياة المعنويّة

**الدينيّة التي يدعو ويهدي إليها، لأنّه يعمل بدعوته، ويتمتّع بحياتها المعنوية كما ينبغي.**

**٢ـ [النبيّ أو الإمام] هو أفضل من الآخرين لأنّه الأوّل والرائد والقائد.**

**٣ـ أنّ من يتولّى قيادة الأمّة بأمر الله فهو قائد لها في مرحلة الحياة المعنوية وتجري حقائق الأعمال بقيادته، كما هو قائد لها في مرحلة الأعمال الظاهرية»**[١][٢].

ولسنا هنا في صدد التحليل الموسّع لكلام الأُستاذ، لكنّا نستطيع أن نقول: إنّ ما جاء في كلامه تبويب للآيات والروايات التي يستنبط منها دور الإمام في هداية الإنسان الباطنيّة.

أجل، إنّ الولاية والهداية الباطنيّة والنورانيّة التي تحصل للإنسان نتيجة قيامه بالواجبات الإلهيّة تُفاض عليه عن طريق الإمام، فالإمام واسطة فيض الولاية حقّاً، من هنا لا تتيسّر الولاية المعنويّة للإنسان دون الاعتقاد بالإمام والاتّصال به.

وهذه هي الحقيقة التي أكّدتها الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام من أنّه لا تُقبَل الأعمال إلّا بالولاية[٣]. وفيما يأتي نموذج منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

**«والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو أنّ رجلاً لقي اللهَ بعملِ سبعين نبيّاً ثمّ لم يأت**

---

(١) ﴿وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ الأنبياء: ٧٣.

﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لمّا صبروا﴾ السجدة: ٢٤.

يستفاد من مثل هاتين الآيتين أنّ للإمام هداية معنويّة من سنخ عالم الأمر والتجرّد، كما له هداية ظاهريّة، وهو يؤثّر في القلوب المؤهّلة ويتصرّف فيها ويجذبها نحو مرتبة الكمال وغاية الإيجاد، بواسطة حقيقة ذاته ونورانيّتها وباطنها. (منه رحمه الله).

(٢) الشيعة في الإسلام: ٢٥٦، ٢٦.

(٣) انظر بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٦ـ٢٠٧.

**بولاية أُولي الأمر منّا أهلَ البيت ما قَبِلَ اللهُ منهُ صرفاً ولا عدلاً»[١].**

## عرض أعمال الأمّة على الإمام

إذا أنعمنا النظر فيما ذُكر حول ولاية الإمام على أعمال الأمّة أمكننا الكشف عن سرّ العرض الملكوتيّ لأعمال الأُمّة على الإمام، كما جاء في النصوص الإسلاميّة، وقد أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة جليّة أيضاً، فقال عزّ من قائل:

**﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمؤمِنُون﴾[٢].**

وجاء في الحديث النبويّ الشريف:

**«... فإنّ أعمالَكُم تُعرَضُ علَيَّ كلَّ يوم. فما كان من حَسَنٍ استزدتُ الله لكم، وما كان من قبيحٍ استغفرتُ الله لكم»[٣].**

وتدلّ دراسة الأحاديث المأثورة في هذا المجال على أنّ أعمال الأُمّة الإسلاميّة تُعرض على النبيّ الأكرمﷺ بمقتضىٰ مقام إمامته لا بمقتضىٰ مقام نبوّته، ويجري هذا في الأئمّة المعصومين أيضاً. من هنا قال الإمام الصادقؑ في تفسير كلمة «المؤمنون» في الآية ١٠٥ من سورة التوبة ـ وقد مرّت بنا ـ: إيّانا عنى[٤].

بعبارة أُخرى: إنّ الإشراف على أعمال الأمّة من شؤون القيادة الباطنيّة للأئمّة المصطفَين. وكان هذا من خصائص الرسول الأكرمﷺ في عصره، ثمّ اختصّ به أميرالمؤمنينؑ من بعده، ثمّ صار للأئمّة المعصومين الذين أعقبوه، وها هي أعمالنا وأعمال الناس جميعهم تُعرض على سيّدنا ومولانا إمام العصر والزمان أرواحنا لتراب

---

(١) أمالي المفيد: ١١٥/٨.

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١ / ١٩١ / ٥٨٢.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٢٧ / ١، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٠٠، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٩١ / ٢٠.

مقدمه الفداء.

ومن هذا المنطلق، ذكر الشيخ الطوسيّ في أماليه أنّ داود الرقّيّ ـ أحد أصحاب الإمام الصادقعليه السلام ـ قال: كنت جالساً عند أبي عبداللهعليه السلام إذ قال لي مبتدئاً من قبل نفسه:

**«يا داود، لقد عُرضت عليَّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت فيما عُرض عليَّ من عملك صلتك لابن عمّك فلان، فسرّني ذلك، إنّي علمت أنّ صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله».**

قال داود: وكان لي ابن عمّ معانداً ناصباً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حاله، فصككت له بنفقة قبل خروجي إلى مكّة، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبداللهعليه السلام بذلك[1].

ونقرأ نموذجاً آخر عن عبدالله بن أبان، قال: قلت للرضاعليه السلام: إنّ قوماً من مواليك سألوني أن تدعو الله لهم، فقال:

**«والله إنّي لأعرض أعمالَهم على اللهِ في كلّ يوم»**[2].

نفهم من هذه الرواية أنّ الإمام ـ مضافاً إلى إشرافه على أعمال الأُمّة ـ له وساطته المؤثّرة في الإفاضات التي يمنّ بها الله تعالى على عبده العامل بتكاليفه.

وهكذا يمكن القول: إنّ القيادة الباطنيّة للإمام في الإشراف على أعمال الأُمّة أمر يتيسّر استيعابه بوضوح في ضوء الرواية المذكورة.

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٣١ / ٩٢٩، الخرائج والجرائح: ٢ / ٦١٢ / ٨، بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٣٩ / ٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٤٩ / ٥٦ نقلاً عن بصائر الدرجات: ٤٣٠ / ١١ وفيه: «فقالعليه السلام: والله إنّي لتعرض عليَّ في كلّ يوم أعمالهم»، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٩٢ / ٢٥.

## دور الإمام في نظام الأرض

ترى الروايات الإسلاميّة أنّ الولاية التكوينيّة للإنسان الكامل لا تقتصر على القيادة الباطنيّة لأعمال الإنسان، بل إنّ بقاء النظام الطبيعيّ للأرض رهينٌ بوجود الإنسان الكامل، بحيث إنّ الأرض إذا خلت منه لحظةً واحدة فإنّ نظمها الطبيعيّ يتخلخل. قال الإمام الباقر عليه السلام:

**«جَعَلَهُم اللهُ عزّ وجلّ أركان الأرض أن تميد بأهلها»**[1].

وقال عليه السلام أيضاً:

**«لو أنّ الإمام رُفِعَ من الأرض ساعةً لمَاجَتْ بأهلها كما يموجُ البحرُ بأهله»**[2].

وقال الحسن بن عليّ الوشّاء: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: إنّا نروي أنّها لا تبقى إلّا أن يسخط الله عزّوجلّ على العباد، قال: لا تبقى، إذاً لساخت[3].

## دور الإمام في النظام الكونيّ

تدلّ روايات متعدّدة على أنّ دور الولاية التكوينيّة للإمام أكبر من دوره في القيادة الباطنيّة لأعمال الإنسان، كما تدلّ على تأثيره في إقرار النظم الطبيعيّ للأرض، وتشير بصراحة إلى أنّ النظام الكونيّ رهينٌ بوجود الإمام وحياته على الأرض، ونحن نخاطب الأئمّة المعصومين عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام ونقول:

**«بِكُم يُنزِّل الغيثَ، وبِكُم يُمسِك السماءَ أن تقعَ على الأرض»**[4].

---

(١) الكافي: ١ / ١٩٨ / ٣.

(٢) الكافي: ١ / ١٧٩ / ١٢.

(٣) نفسه: ح ١٣.

(٤) من لايحضره الفقيه: ٢/٦١٥/٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ٦/٩٩/١٧٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٧٦ / ١.

وروى الإمام الصادقﷺ عن رسول اللهﷺ أنّه قال: قال الله عزّوجلّ:

**«... لو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلاّ مؤمن واحد مع إمامٍ عادل لاستغنيتُ بعبادتهما عن جميع ما خلقتُ في أرضي ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما...»**[١].

وهكذا يستبين أنّ فلسفة الإمامة من منظار أهل البيتﷺ لا تنحصر بزمان حضور الإمام وقيادته العلميّة والأخلاقيّة والسياسيّة، بل لها غايتان أُخرَيان أيضاً، الأُولى: القيادة الباطنيّة، والثانية: حفظ النظام الكونيّ. من هنا يعتقد أتباع أهل البيتﷺ أنّ النظام الكونيّ في عصرنا هذا رهينٌ بحياة الإمام الثاني عشر من أهل بيت رسول اللهﷺ.

وهو الآن حيّ يُرزَق، ويستمتع الناس المؤهّلون ببركات قيادته الباطنيّة، عجّل الله تعالى فرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره.

---

↔ كمال الدين: ٢٠٧ / ٢٢، والرواية فيه عن الإمام الصادق عن الإمام زين العابدين ﷺ أنّه قال: «...نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض... وبنا ينزّل الغيث ...».

(١) الكافي: ٢ / ٣٥٠ / ١، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٥٢ / ٢٢، و: ٦٧ / ١٤٩ / ٩.

# الخلاصة

◘ القيادة الباطنيّة أكمل أنواع القيادة، وهي لا تعني سلطة سياسيّة أو هداية أخلاقيّة وعلميّة، بل تعني نوعاً من العلاقة التكوينيّة بين القائد والمقود باتّجاه تكامل الإنسان.

◘ لا تتهيّأ القيادة الباطنيّة لأحد إلّا إذا كانت له ولاية تكوينيّة.

◘ الولاية التكوينيّة قدرة معنويّة ينالها الإنسان نتيجة عملٍ بالفرائض الإلهيّة.

◘ للولاية التكوينيّة خمس درجات:

١ـ السيطرة على النفس.

٢ـ التغلّب على الخيال.

٣ـ القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادّيّة.

٤ـ السيطرة التامّة على الجسم.

٥ـ السيطرة على النظام الكونيّ.

◘ لم نجد دليلاً على حصر درجات الولاية التكوينيّة بهذه الدرجات الخمس المذكورة. بيدَ أنّ الثابت هو أنّ الولاية التكوينيّة تبدأ من السيطرة على النفس الأمّارة وتنتهي بالولاية المطلقة.

◘ يتكافأ عدد درجات الولاية التكوينيّة مع عدد منازل سلوك الإنسان الكامل ومراتبه.

◘ مطلق القدرة الروحيّة للإنسان لا تكشف عن تكامله، لأنّ التمتّع بهذه القدرة يتيسّر عبر الرياضة أيضاً.

◙ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة للإنسان الكامل. وقد عدّها القرآن الكريم أعلى من درجة النبوّة.

◙ للإمام أو الإنسان الكامل دوران أساسيّان آخران في باطن النظام الكونيّ، مضافاً إلى قيادته السياسيّة والأخلاقيّة والعلميّة للمجتمع:

الأوّل: قيادته الباطنيّة للناس الموهّلين.

◙ الإمام في موقع الولاية التكوينيّة شمسٌ أسطع من الشمس المحسوسة في سمائنا، وهي تشعّ على باطن العالم اللّامحسوس، وتُضيء ملكوت السماوات والأرض وضمائر المؤمنين، والمؤمنون الأبرار لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانيّة في ظلّ نور الإمام فحسب، بل يبلغون هذا الهدف أيضاً.

◙ إنّ الولاية والهداية الباطنيّة والنورانيّة التي تتهيّأ للإنسان بفعل قيامه بالفرائض الإلهيّة تُفاض عليه عن طريق الإمام، فالإمام واسطة فيض الولاية.

ولا يمكن أن تؤدّي الأعمال الصالحة دورها في تكامل الإنسان دون الارتباط المعنويّ به، وما عرض أعمال الأُمّة على إمام كلّ زمان إلّا من هذا القبيل.

الثاني: الركن المعنويّ للنظام الكونيّ.

◙ الإمام في موضع الولاية التكوينيّة هو الركن الباطنيّ للنظام الكونيّ.

وبقاء نظام الطبيعة رهينٌ بالوجود المادّيّ للإنسان الكامل، وبدونه ينهار نظام السماء والأرض.

◙ للإمامة ـ من منظار أهل البيت عليهم السلام ـ أربع غايات:

١ـ القيادة السياسيّة.

٢ـ القيادة الأخلاقيّة.

٣ـ القيادة العلميّة.

٤ـ الولاية التكوينيّة (المتضمّنة للقيادة الباطنيّة وحفظ نظام الطبيعة). والغاية الرابعة هي وحدها الباقية في عصر الغيبة.

# القسم الثاني

# موقع القيادة

# تمهيد

سنتوفّر على دراسة موقع الإمامة من منظار القرآن الكريم، والنبيّ الأعظمﷺ وأهل بيته عليهم السلام في ثلاثة فصول، من أجل أن ندلّ على مكانة الإمامة والقيادة في الإسلام.

وسنوضّح في الفصل الرابع تحت عنوان «القيادة من منظار أتباع أهل البيت» أنّ الإمامة والقيادة من أُصول الدين الإسلاميّ.

# الفصل الأوّل

# القيادة من منظار القرآن الكريم

عرَض القرآن الكريم تعبيرين دقيقين حول الإمامة، إذا أنعمنا الفكر فيهما عرفنا الدور الحسّاس الذي تقوم به القيادة في تطبيق الأهداف الإسلاميّة، وأدركنا مكانتها من منظور قرآني.

## أ: عهد الله

عبّر القرآن الكريم عن هداية الإنسان الكامل للأُمّة وقيادته لها بعهد الله، نقرأ ذلك في سورة البقرة، قال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

نلحظ في هذه الآية الشريفة أنّ الله تعالى جعل الإمامة أعلى من النبوّة، وعرضها على أنّها عهد الله، وأكّد أنّ من لم يتدنّس طول حياته بأيّ لونٍ من ألوان

---

(١) البقرة: ١٢٤.

الظلم هو وحده من يمكن أن يكون أميناً على هذا العهد[١].

وعلينا أن نعرف: ما هو الهدف من تسمية قيادةالإنسان الكامل في القرآن الكريم بـ «العهد»؟ وكيف يتحقّق عهد الله الذي جعل الإنسان الكامل إماماً؟ ومع مَن؟

يمكن أن يكون طرف العهد الإمام أو الأُمّة أو كلاهما، ولعلّ الاحتمال الثالث هو الأنسب، فالإمامة من جانب هي عهد الله مع الإمام، إذ يحقّق غاية النبوّة في المجتمع، وهي عهد الله مع الأمّة من جانب آخر، للاستمداد من غير الوحي أكثر، وإنّ تكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً ـ وهو يمثّل فلسفة النبوّة أيضاً ـ رهينٌ بوفاء الأُمّة بهذا العهد الإلهيّ. أي: إذا أوفى الناس بالعهد الإلهيّ وسلّموا للإمام المؤيَّدة إمامته من الله فإنّ الله تعالى يوفي بعهده أيضاً، ويتفضّل عليهم بنعمة السعادة والهناء، والرفاهيّة والرخاء دنياً وآخرة[٢].

## ب: سبيل الله

لم يسأل الأنبياء أجراً على ما كانوا يقومون به من أعمال لهداية المجتمع البشريّ وصلاحه وانعتاقه. إنّهم خدمة بلا أجر ولا منّة، وهذه نقطة شديدة الأهمّيّة في قيادة القادة الربّانيّين، وطالما أكّدها القرآن الكريم في آيه.

نقرأ فيه أنّ أوّل الأنبياء من أُولي العزم ـ وهو نوح عليه السلام ـ كان يقول بصراحة إنّه يقدّم خدماته للمجتمع بلا عوض ولا أجر، وهكذا اقتدى به من جاء بعده منهم كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام جميعاً[٣].

---

(١) انظر الفصل الثاني من القسم الرابع في هذا الكتاب: «العدالة والقيادة».

(٢) ﴿اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾. البقرة: ٤٠.

(٣) انظر سورة الشعراء: الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

والنقطة الأهمّ اللافتة للنظر هي أنّ نبيّنا الكريم محمّداًﷺ تفرّد عن غيره من الأنبياء بأنّه طلب من الناس مودّة قرباه ومحبّتهم أجراً على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفّعه عن أيّ مطلب ماديّ في مقابل خدماته. قال جلّ اسمه:

﴿قُلْ لا أسْألُكُم عَلَيهِ أجْراً إلّا المَوَدّةَ فِي القُرْبَىٰ﴾[1].

ويثار هنا عدد من الأسئلة، من بينها:

١ـ لماذا طلب نبيّنا الكريمﷺ المودّة في القربى أجراً على رسالته؟

٢ـ كيف تكون هذه المودّة أجراً على خدماتهﷺ في نبوّته ورسالته؟

٣ـ من هم هؤلاء القربى الذين جعل الله سبحانه مودّتهم أجراً على رسالة نبيّه العظيمﷺ؟

ويجيب القرآن الكريم عن هذه الأسئلة قائلاً:

﴿قُلْ مَا سَألْتُكُم مِن أجرٍ فَهُوَ لَكُمْ إنْ أجرِيَ إلّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيد﴾[2].

يوضّح نبيّنا المصطفىﷺ للناس بأمر الله أنّه لم يُرد ولن يريد منهم شيئاً لمصلحته الخاصّة، فهو كغيره من الأنبياء لا يسأل أجراً ولا يطلب عوضاً، فما أراده لم يُرده لنفسه، وهو ليس شيئاً يضمن مصالحه الخاصّة، بل يضمن مصالح الناس الفرديّة والاجتماعيّة، وهذا التعبير تأكيد على أهمّيّة الموضوع.

وجاء في سورة الفرقان توضيح أكثر لهذا الموضوع. قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أسألُكُمْ عَلَيهِ مِن أجرٍ إلّا مَن شَآءَ أنْ يتّخِذَ إلَىٰ رَبّهِ سَبِيلاً﴾[3].

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) الفرقان: ٥٧.

وإذا ضممنا هذه الآيات الثلاث النازلة في أجر الرسالة النبويّة بعضها إلى بعض فإنّنا نستنتج بسهولة أنّ القرآن الكريم عرّف أفراداً معيّنين من قرابة النبيّ ﷺ بوصفهم الأدلّاء على طريق الله الذي هو طريق تكامل الإنسان، وأوصى المسلمين مؤكّداً أن يعقدوا معهم عهد المودّة، حفظاً لمصالحهم الفرديّة والاجتماعيّة.

وهذا الموضوع يشبه أن يقال لأحد: إذا أردت أن تصل إلى مقصودك سالماً فاعرف أدلّة الطريق وأحبّهم، فإنّ ذلك في مصلحتك، لأنّ هذه المعرفة سبب يجعلك لا تضلّ الطريق، فتتخلّف عن مقصدك.

نلحظ في ضوء ذلك أنّ قصد القرآن الكريم ممّن أوجب مودّتهم هم قرابة النبيّ ﷺ، أوكل الله تعالى إليهم هداية المجتمع الإسلاميّ وتوجيهه وقيادته. وينبغي أن لا نغفل عن هذه الحقيقة وهي أنّ القيادة الربّانيّة وحدها هي التي تعرف صراط الله كما هو، وتستطيع أن تهدي المجتمع إليه، وهؤلاء الأدلّاء الهادون هم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كما يُستشفّ من الأحاديث المتواترة المأثورة عن رسول الله ﷺ.

روى المحدّثون من أهل السنّة[1] عن ابن عبّاس أنّ آية «مودّة القربى» حين نزلت قال الصحابة:

**«يا رسول الله، مَنْ قَرابَتُكَ الّذينَ وجَبَتْ علينا مودَّتهم؟»**

قال ﷺ:

**«عَليٌّ وَفَاطمةُ وَابناها عليهم السلام»**[2].

---

(١) انظر أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنّة: ٣٦٣ الفصل الثالث من فصول القسم الثامن «المودّة» من منشورات دار الحديث.

(٢) فضائل الصحابة: ٢/٦٦٩/١١٤١، تفسير ابن كثير: ٤ / ١٣٦ و ١٣٧، صحيح البخاري: ٣ / ١٢٨٩ / ٢٣٠٦، ومثله سنن الترمذي: ٥ / ٣٧٧ / ٣٢٥١، ومثله مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٤٩٣ / ٢٠٢٤، ومثله المعجم ⟸

وجاءت هذه الحقائق كلّها بصراحة في تعبير موجز من تعابير دعاء الندبة، إذ نناجي ربّنا جلّ شأنه متضرّعين إليه ونحن نقول:

**«ثمّ جعلتَ أجرَ محمّدٍ صلواتك عليه وآله مودّتهم في كتابك فقلتَ: ﴿قُلْ لا أسألُكُم عَلَيهِ أجْراً إلّا المَوَدّةَ فِي القُرْبَىٰ﴾ وقلتَ: ﴿ما سألتُكُم من أجرٍ فَهُوَ لكُم﴾ وقلتَ ﴿قُلْ مَا أسألُكُمْ عَلَيهِ مِن أجرٍ إلّا مَن شَآءَ أنْ يتَّخِذَ إلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ فكانوا هُمُ السبيلَ إليك والمَسلكَ إلى رضوانك»[1].**

إنّ النقطة الجديرة بالاهتمام هي أنّ القرآن الكريم لا يعدّ الأئمّة من أهل بيت الرسالة أدلّة على سبيل الله فحسب، بل يعدّهم سبيل الله نفسه، فهو لا يقول: الإمام دليل موجّه فقط، بل يقول: الإمام هو السبيل نفسه، ويؤكّد أن لا طريق لتكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً وبلوغه الغاية من خلقته إلّا طريق إمامة القادة الربّانيّين وقيادتهم.

---

↔ الكبير: ٣/ ٤٧/ ٢٦٤١، و: ١١/ ٣٥١/ ١٢٢٥٩، تفسير الكشّاف: ٣/ ٤٠٢، و: ٤/ ١٤٥/ ٣٥٠، المناقب لابن المغازلي: ٣٠٩/ ٣٥٢، الدرّ المنثور: ٧/ ٣٤٨، سعد السعود: ١٤٠، كفاية الطالب: ٩١، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٢٩/ ١١٣٢٦، و: ٩/ ٢٦٦/ ١٤٩٨٢، كشف الغمّة: ١/ ٥٤ و١٠٦ و٣٢٤، الطرائف: ١١٢/ ١٦٧، الصراط المستقيم: ١/ ١٨٩، دلائل الصدق: ٢/ ٧٥، بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٣٣.

(١) بحار الأنوار: ١٠٢/ ١٠٥.

# الخلاصة

▣ يرى القرآن الكريم أنّ الإمامة عهد لا يبلغ الإنسان ـ بدون الوفاء به ـ غاية التوحيد والنبوّة، ومن ثمّ غاية خلقته التي تمثّل تكامله. وهي طريق لا يتسنّى للإنسان أن يبلغ هذا الهدف إلاّ بعد طيّه.

▣ إنّ الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون أميناً على عهد القيادة الربّانيّة هو المصون من دنس الظلم طول حياته.

▣ لم يطلب الأنبياء من الناس أجراً على خدماتهم لهم. وطلب نبيّنا الكريمﷺ من أُمّته مودّة قرباه أجراً على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفّعه عن كلّ طلب مادّيّ.

▣ إنّ الآيات النازلة في أجر رسالة نبيّناﷺ تدلّ بوضوح على أنّ القرآن الكريم لا يرى القادة من بيت الرسالة أدلّة على طريق الله فحسب، بل يراهم عين الطريق، وفي الحقيقة جعل نبيّناﷺ اختيار هذا الطريق واستمرار القيادة الربّانيّة أجراً على رسالته.

# الفصل الثاني

## القيادة من منظار النبيّ صلى الله عليه وآله

أُثر عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله كلامٌ نفيس كثير حول القيادة، نشير فيما يأتي الى قسمين منه في مجال موقع القيادة:

### أـ القيادة الربّانية محور الثورة الإسلامية:

إنّ الأحاديث التي ترى أنّ الحياة المقرونة بالالتزام باتّباع القيادة وأنّ الموت بدون هذا الالتزام هو موت الجاهليّة... تعرض القيادة الربّانيّة على أنّها محور ثورة الإسلام العالميّة، وننقل فيما يأتي عدداً من تلك الأحاديث لإثبات هذه الرؤية:

١ ـ قال الفُضيل بن يسار: ابتدأنا أبو عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام يوماً وقال:

**«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ماتَ وليس عليه إمامٌ فميتَتُه ميتةً جاهليّة».**

ـ هذه الكلمات التي وردت حول المكانة الرفيعة للإمامة في الإسلام قد أثارت دهشة الفُضيل، لذلك سأل الإمام مستغرباً ـ: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ـ فأجابه الإمام عليه السلام ـ: إي والله قد قال، ـ فأعاد الفُضيل سؤاله بشكل آخر وقال ـ: فكلّ من

مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة؟ قال‌عليه‌السلام: نعم[1].

٢ ـ قال بشير الدهّان: قال أبو عبدالله‌عليه‌السلام:

**«قال رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: من ماتَ وهو لا يعرف إمامَهُ ماتَ ميتةً جاهلية».**

ثمّ قال‌عليه‌السلام في توضيح هذا الكلام والهدف من نقل هذا الحديث:

**«فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب عليّ، وأنتم تأتمّون بمن لا يعذر الناس بجهالته»**[2].

٣ ـ قال عبدالله بن عمر: سمعتُ رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول:

**«من ماتَ بغير إمام ماتَ ميتةً جاهلية»**[3].

ويتّفق المسلمون على مضمون هذه الأحاديث، ولم يتردّد أيّ محدّث في صدورها عن النبيّ الأعظم‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، بيدَ أنّ هناك رؤىً متنوّعة حيال القصد منها. واستغلّها الأُمراء الذين تسلّطوا على رقاب المسلمين باسم الإسلام استغلالاً سياسيّاً سيّئاً من خلال تحريفها.

قال العلّامة الأمينيّ‌رحمه‌الله ـ بعد نقل هذا الحديث من كتب أهل السنّة بألفاظ مختلفة ـ:

**«هذه حقيقة راهنة أثبتها الصحاح والمسانيد، فلا ندحة عن البخوع لمفادها. ولا يتمّ إسلام مسلم إلّا بالنزول لمؤدّاها. ولم يختلف في ذلك اثنان، ولا أنّ أحداً خالجه في ذلك شكّ. وهذا التعبير ينمّ عن سوء عاقبة من يموت بلا إمام وأنّه في منتأىً بعيد عن أيّ نجاح وفلاح؛ فإنّ ميتة الجاهليّة إنّما هي شرُّ ميتةٍ، ميتة كفر وإلحاد»**[4].

---

(١) الكافي: ١ / ٣٧٦ / ١.

(٢) المحاسن: ١ / ٢٥١ / ٤٧٤.

(٣) مسند الطيالسي: ٢٥٩ / ١٩١٣، حلية الأولياء: ٣ / ٢٢٤.

(٤) الغدير: ١٠ / ٣٦٠.

ومن المناسب أن نتحدّث قليلاً عن العصر الجاهليّ والقصد من الجاهليّة، من أجل تفسير هذا الحديث الشريف وتبيين المقام الرفيع للإمامة والقيادة في الإسلام.

### عصر العلم وعصر الجاهلية

يرى القرآن الكريم والأحاديث النبويّة أنّ عصر الرسالة هو عصر العلم، والعصر الذي سبق البعثة النبويّة الشريفة هو عصر الجاهليّة.

وهذا يعني أنّ الناس ـ قبل المبعث النبويّ ـ لم يجدوا سبيلاً لمعرفة حقائق الوجود بسبب التحريف الذي نال الأديان السماويّة.

وإنّ ما كان يحكم المجتمعات البشريّة المختلفة باسم الدين لم يكن غير خرافات وأوهام. والواقع أنّ الأديان المحرّفة والعقائد الوهميّة قد أمست وسيلةً للتسلّط على الإنسان. وهذه حقيقة أيّدها تاريخ ما قبل الإسلام أيضاً.

وكان المبعث النبويّ المبارك بدايةً لعصر العلم. وكانت المسؤوليّة الأساسيّة التي اضطلع بها الرسول الأعظم ﷺ هي مكافحة الخرافات وضروب التحريف وكشف الحقائق للناس، وهو ﷺ كان يرى نفسه كالأب للناس يربّيهم ويعلّمهم. قال ﷺ:

**«إنّما أنا لكم مثل الوالد، أُعلّمكم»**[١].

وكان ﷺ يعرض نبوّته على أنّها ظاهرة منطبقة مع الموازين العقليّة والعلميّة، ولو حاول العلماء معرفتها لأدركوا بسهولة صدقها في اتّصالها بمبدأ الوجود. قال تعالى:

**﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ ربِّكَ هُوَ الحَقّ﴾**[٢].

وكان يحذّر الناس أيضاً من اتّباع كلّ ما لا يقرّه العلم، ويتلو عليهم قوله

---

(١) مسند ابن حنبل: ٣ / ٥٣ / ٧٤١٣، سنن النسائي: ١ / ٣٨، سنن ابن ماجة: ١ / ١١٤ / ٣١٣، الجامع الصغير: ١ / ٣٩٤ / ٢٥٨٠.

(٢) سبأ: ٦.

سبحانه:

﴿وَلا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلم﴾[١].

الكلام في هذا الموضوع كثير، ولا مجال لدينا للحديث أكثر[٢]، ونهدف من وراء هذه الإشارة المقتضبة إلى أن نعرض المغزى من تسمية عصر ما قبل الإسلام بالعصر الجاهليّ، وعصر البعثة النبويّة بعصر العلم، ليتسنّى لنا أن ندرك عمق هذه الكلمة: «الموت بلا اعتقادٍ وتمسّكٍ بالإمام موت جاهليّ»

يستبين من هذه المقدّمة أنّ المقصود من ضرورة معرفة الإمام في كلّ عصر هو أكثر من مسألة فرديّة خاصّة. وهي لا تعني فقط أنّ المسلم إذا لم يعرف إمامه فهو ليس مسلماً حقيقيّاً، ومن ثمّ يكون إسلامه مساوياً للكفر.

بل المسألة الأهمّ التي ينبّه عليها الحديث هي أنّ عصر العلم الذي بدأ مع البعثة النبويّة يمكن أن يستمرّ فيما إذا عرف المسلمون في كلّ عصر إمام زمانهم واتّبعوه.

وبعبارة واحدة: الإمامة رصيدٌ لعصر العلم أو عصر الإسلام القويم وضامنةٌ لديمومته، وبدون هذا الرصيد يعود المجتمع الإسلاميّ إلى الجاهليّة الأُولى.

وقد استوحى هذا الحديث مضمونه ـ في الحقيقة ـ من استشراف الآية الكريمة الآتية للمستقبل.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[٣]

ويبيّن النبيّ ﷺ في الحديث الّذي يؤكّد ضرورة معرفة الإمام، كيف يمكن أن يرجع المجتمع الإسلاميّ القهقهرى ويعود إلى الجاهليّة الأُولى، ويعبّر عن حقيقة

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) سنتحدّث عن هذا الموضوع بعون الله في الكتاب الذي سنصدره عن النبيّ الأكرم ﷺ.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

تتمثّل في أنّ هذه الظاهرة الخطرة متوقّعة إذا اُلغيت الإمامة والقيادة.

## أيّ إمام تجب معرفته؟

إنّ يسيراً من التأمّل في مضمون الحديث ـ خاصّةً مع التوجّه إلى ما تقدّم من شرح ـ من شأنه أن يغنينا عن الإجابة عن هذا السؤال: من هو الإمام الذي تضمن إمامته استمرار الإسلام الحقيقي؟ ومن هو الإمام الذي إذا اُلغيت إمامته عاد الناس إلى جاهليّتهم؟

هل يمكن أن نخال أنّ النبيّ ﷺ يريد أنّ معرفة كلّ من ولّي أمر الاُمّة واجبة على جميع المسلمين؟! وإذا لم يعرف أحد هذا القائد فهل يموت ميتةً جاهليّة، دون الالتفات إلى أنّه يمكن أن يكون ظالماً أو من «أئمّة النار» على حدّ تعبير القرآن الكريم[1]؟!

ومن البديهيّ أنّ كافّة الولاة المفسدين في التاريخ الإسلاميّ قد تمسّكوا بهذا الحديث الثابت، بغية البرهنة على أحقّيتهم، ووجوب طاعة الناس لهم، وترسيخ دعائم حكومتهم. من هنا نجد أنّ معاوية بن أبي سفيان كان في عداد رواته أيضاً[2]! ومن الطبيعيّ أنّ وعّاظ السلاطين انطلقوا من هذا المنطلق نفسه فأوّلوه بما يخدم أئمّة الجور، بيدَ أنّ الواضح هو أنّ هذا استغلال للحديث، لا سوء فهم لمعناه.

ولا يمكن أن نصدّق أبداً أنّ عبدالله بن عمر ـ على ما نقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ـ لم يبايع أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بسبب اعوجاج فكره وضعف نظره، لكنّه يتمسّك بالحديث المذكور الذي نقله هو نفسه، فيذهب إلى الحجّاج بن يوسف ليلاً ليبايع سلطان زمانه عبدالملك بن مروان! لأنّه لم يُرد أن يبيت

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وجعلناهُم أئمّةً يدعونَ إلى النار ويومَ القيامة لا يُنصَرون﴾. القصص: ٤١.

(٢) مسند ابن حنبل: ٦ / ٢٢ / ١٦٨٧٦.

ليلته تلك بلا إمام! قال ابن أبي الحديد:

**... فإنّه (عبدالله بن عمر) امتنع من بيعة عليّ‏ﷺ، وطرق على الحجّاج بابه ليلاً ليبايع لعبد الملك، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام!! زعم لأنّه روى عن النبيّ‏ﷺ أنّه قال: «من مات ولا إمام له مات ميتةً جاهليّةً». وحتّى بلغ مِن احتقار الحجّاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش، فقال: «أصفق بيدك عليها»**[1].

أجل، إنّ من لا يرى أميرالمؤمنين عليّاً‏ﷺ إماماً ولا يبايعه فإنّه يرى في عبدالملك بن مروان إماماً يوجب ترك بيعته الكفر والعودة إلى الجاهليّة، وما عليه إلّا أن يطرق باب عامله السفّاك ليلاً ليبايع رِجْله صاغراً ذليلاً! وقد بلغ بعبد الله بن عمر الأمر أنّه عدّ يزيد بن معاوية مصداقاً للإمام الوارد في الحديث! وأنّ مخالفته كفر وارتداد، وهو الذي ارتكب ما ارتكب من الجرائم بحقّ الإسلام وأهل البيت النبويّ الكريم.

ذكر المؤرّخون أنّ أهل المدينة ثاروا سنة ٦٣هـ بعد واقعة الطفّ المفجعة، فكانت واقعة الحَـرَّة[2]. وذهب عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن المطيع الذي تولّى قيادة قريش في تلك الواقعة، فأمر ابن المطيع أن تطرح له وسادة ليجلس. فقال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأُحدّثك حديثاً سمعت رسول الله‏ﷺ يقوله، سمعت رسول الله يقول:

**«من خلع يداً من طاعة لقي اللهَ يوم القيامة لا حجّة له، ومن ماتَ وليس في**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٤٢.

(٢) تولّى مسلم بن عقبة في تلك الواقعة الرهيبة قمع الثورة بأمر يزيد، وبعد أن تمّ له ما أراد أباح لأهل الشام دماء أهل المدينة وأموالهم وأعراضهم ثلاثة أيّام... قال الطبريّ ما مضمونه: لقد أفسدوا ثلاثة أيّام بلياليها فساداً لم يعهد مثله في الجاهليّة والإسلام. (لغت نامه دهخدا «معجم دهخدا»).

قال أنس بن مالك: قُتل يوم الحرّة سبعمائة رجل من حملة القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب النبيّ‏ﷺ.

(إعلام الورى: ٤٥، بحار الأنوار: ١٨ / ١٢٥ / ٣٦، و: ٣٨ / ١٩٣ / ٢، سفينة البحار: ٢ / ١٤٦).

**عُنقه بيعة ماتَ ميتةً جاهلية»**[1].

أرأيت كيف يؤوّلون كلام رسول الله ﷺ بما يخالف قصده، بأُسلوبٍ ماكر؟! وهذه هي الظاهرة الخطرة التي حذّر منها رسول الله ﷺ في هذا الحديث وعشرات الأحاديث الأُخرى، ودعا الأُمّة إلى طاعة أئمّة الحقّ للوقاية منها، وتجنّي أصحاب اللُعَب السياسيّة المتظاهرون بالإسلام وعملاؤهم فحرّفوا ذلك التحذير النبويّ، وهكذا يستغلّ الحديث أداةً ضدّ الحديث، ويستخدم الإسلام وسيلةً ضدّ الإسلام، وأخيراً ينقضي عصر العلم والإسلام في الأُمّة الإسلاميّة، ويتحقّق الرجوع إلى الكفر والجاهليّة، من خلال تجاهل مكانة الإمامة في المجتمع الإسلاميّ وتناسي الوصايا النبويّة الحكيمة.

## ب ـ القيادة الربانية شرط لقبول الأعمال الصالحة:

القسم الثاني من الأحاديث النبويّة التي تحدّد موقع القيادة ـ من المنظار النبويّ ـ هي الأحاديث التي جعلت مودّة أهل البيت عليهم السلام والالتزام العمليّ بولايتهم وقيادتهم شرطاً في قبول الأعمال لصالحة.

ترى هذه الأحاديث أنّ الالتزام بالقيادة الربّانيّة شرط مضمون لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه، أي: إنّ الأعمال الصالحة لا تؤثّر قيد أنملة في تكامل الإنسان والمجتمع البشريّ ما لم يكن هناك تمسّك بالقيادة الربّانيّة، وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث:

١ ـ روى الطبرانيّ في المعجم الأوسط عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال:

**«الزمُوا مَودَّتنا أهلَ البيت فإنّه مَنْ لَقِيَ الله عزّوجلّ وَهو يوَدّنا دخلَ الجنّة بِشفاعتِنا، والّذي نفسي بِيدَه لايَنفعُ عبداً عملُه إلاّ بمعرفةِ حقِّنا»**[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٨ / ١٨٥١.

(٢) المعجم الأوسط: ٢ / ٣٦٠ / ٢٢٣٠، أمالي الطوسي: ١٨٧ / ٣١٤، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٧٠ / ١٠.

ورواه علماء أهل السنّة كالهيثمي في «مجمع الزوائد»، وابن حجر في «الصواعق المحرقة»، ومحمّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت»، والنبهانيّ في «الشرف المؤبّد»، والحضرميّ في «رشفة الصادي»[١].

٢ـ وروى الخوارزمي في مناقبه عن نبيّنا صلى الله عليه وآله أنّه خاطب أميرالمؤمنين عليه السلام قائلاً:

**«يا عليّ، لو أنّ عبداً عَبَدَ الله عزّوجلّ مِثل ما قامَ نُوح في قومِهِ وكان له مثل أُحدٍ ذهباً فأنْفقه في سَبيل اللهِ ومُدّ لَه في عُمره حتّى حَجَّ ألفَ عامٍ علىٰ قَدميْه ثُمّ قُتِلَ بَينَ الصّفا والمَروةِ مَظلوماً ثُمّ لَمْ يُوالِكَ يا عليّ لم يَشُمَّ رائحةَ الجنّة ولَمْ يَدْخُلْها»**[٢].

٣ـ ومرّ أميرالمؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقنبر معه، فرأى رجلاً قائماً يصلّي فقال: يا أميرالمؤمنين، ما رأيت رجلاً أحسن صلاة من هذا! فقال عليه السلام موضّحاً ومؤكّداً أنّ كلّ عمل لا يُقبل وليس له أدنى دورٍ في تكامل الإنسان دون الإقرار بأصل الولاية والقيادة الربّانيّة:

**«يا قنبر، فوالله لَرجُلٌ على يقين مِنْ ولايتنا أهلَ البيت خيرٌ من عبادة ألف سنةٍ، ولو أنّ عبداً عَبَدَالله ألف سنة لا يقبلُ الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهلَ البيت، ولو أنّ عبداً عَبَدَ الله ألف سنة وجاء بعمل اثنتين وسبعين نبيّاً ما يقبلُ الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهلَ البيت...»**[٣].

٤ـ وقال أبو سعيد الخدريّ: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

**«لو أنّ عبداً عَبدَالله ألف عامٍ ما بين الركن والمقام ثمّ ذُبح كما يُذبح الكبش**

---

(١) لمزيد الاطّلاع على أحاديث الفريقين في هذا المجال انظر الغدير: ٢ / ٣٠١ ـ ٣٠٥، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٦، باب «أنّه لا تُقبل الأعمال إلّا بالولاية»، أهل البيت في الكتاب والسنّة: ٣٦٣ الفصل الثالث من فصول القسم الثامن «المودّة»، من منشورات دارالحديث.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٦٧ / ٤٠، الغدير: ٢ / ٣٠٢.

(٣) جامع الأخبار: ٥٠٤ / ١٣٩٣، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٩٦ / ٥٧.

**مظلوماً لَبعثَهُ اللهُ مع النفر الّذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم ويسير بسيرتهم، إن جنّةً فجنّة وإن ناراً فنار»**[١].

هذهالأحاديث وأمثالها هي فيالحقيقة بيانٌ آخر لحديث الثقلين المتواتر من جانب، وتبيين وتفسير له من جانب آخر، فالعترة والقرآن لا يفترقان أبداً. وإنّ الشرط الأساس للاستهداء السديد بالقرآن الكريم وتوجيهاته وهو اتّباع إمامة القادةالربّانيّين، وبدون هذا الشرط لايمكن للعقائد والأخلاق والأعمال الصالحة التي يدعو القرآن الكريم الناس إليها أن تؤدّي دورها في تكامل الإنسان.

وعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة بنحوٍ جميلٍ وطريف. قال تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهتَدَىٰ﴾[٢]

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

**«ألَا ترىٰ كيف اشترط ولم ينفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتّى اهتدىٰ، والله لو جهد أن يعمل بعمل ما قُبِلَ منه حتّى يهتدي».**

قال الحارث راوي الحديث: إلى من؟ جعلني الله فداك، قال عليه السلام: إلينا[٣].

قال الطبرسيّ في مجمع البيان: قال أبو جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

**«ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أنّ رجلاً عَبَدَ اللهَ عُمْرَه ما بين الركن والمقام ثمّ ماتَ ولم يجئ بولايتنا لأكبّه الله في النار».**

وأضاف المرحوم الطبرسيّ قائلاً: رواه الحاكم أبو القاسم الحسكانيّ بإسناده، وأورده العيّاشي في تفسيره من عدّة طرق[٤].

---

(١) المحاسن: ١ / ١٣٤ / ١٦٦، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٨٠ / ٢٩.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) تفسير القمّيّ: ٢ / ٦١، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٩ / ٧.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٧ / ٣٩.

وقال العلّامة الطباطبائي، بعد نقل هذا الرواية من تفسير مجمع البيان:

**«ورواهُ في الكافي بإسناده عن سدير عنه. وفي تفسير القمّي بإسناده عن الحارث بن عمر عنه. وفي مناقب ابن شهرآشوب عن أبي الجارود وأبي الصباح الكناسيّ عن الصادق، وعن أبي حمزة عن السجّاد مثله، ولفظه: إلينا أهل البيت.**

**والمراد بالولاية في الحديث ولاية أمر الناس في دينهم ودنياهم. وهي المرجعيّة في أخذ معارف الدين وشرائعه، وفي إدارة أُمور المجتمع. وقد كانت للنبيّ كما ينصّ عليه الكتاب، في أمثال قوله: ﴿النبيُّ أَولى بالمُؤمنينَ من أَنفسهم﴾[١].**

**ثمّ جُعلت لعترته أهل بيته بعده في الكتاب بمثل آية الولاية، وبما تواتر عنه من حديث الثقلين وحديث المنزلة ونظائرهما»[٢].**

ولعلّ هناك من يسأل: ما هو سبب هذا الاشتراط؟ ولماذا تكون الولاية شرطاً أصليّاً في تكامل الفرد والمجتمع؟ وكيف يتسنّى لنا أن نحلّل عدم فائدة العمل الصالح للإنسان بدون قبول القيادة الربّانيّة؟

لقد مرّت بنا أجوبة هذه الأسئلة مفصّلاً في بيان فلسفة القيادة[٣].

ونشير هنا إلى ملاحظتين مقتضبتين:

الأولى: إنّ القيادة الربّانيّة للإنسان الكامل توجّه الأعمال الصالحة للإنسان، وتجعل أسباب الكمال في مسار تكامل الإنسان.

ومن البديهيّ أنّ وسائل التكامل لا تكون عمليّة إلّا إذا كانت سليمة. ويفاد منها

---

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) الميزان: ١٤ / ١٩٩. ينظر هذا المصدر لمزيد الاطّلاع.

(٣) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب: «دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً».

في مسار التكامل، وإلّا فلا تعطي الثمار المطلوبة.

ومن أجل ذلك تصبح قيادة الإنسان الكامل ضروريّة لا مناص منها.

ويتعذّر التكامل الفرديّ والاجتماعيّ للإنسان في ظلّ العمل الصالح بلا قيادة كفوءة حائزة على الشروط المطلوبة لهداية الإنسان، كما أنّ حبّة القمح لا تنمو ولا تبلغ نضجها اللازم إلّا إذا كانت تتمتّع برعاية المزارع الخبير وتوجيهه، مضافاً إلى الإمكانيّات الطبيعيّة، وربّما تستغلّ الإمكانيّات الموجودة التي يمكن أن تصبّ في خدمة تكامل الإنسان باتّجاه حاكميّة القادة المفسدين، وانحطاط الإنسان، وإقصاء الإسلام والقرآن عن الحياة. قال الإمام الخميني ﵀ في هذا المجال:

**«قامت القوى الشيطانيّة الكبرى أخيراً بطبع القرآن طبعة جميلة وإرساله إلى شتّى أرجاء العالم ـ بواسطة الحكومات المنحرفة البعيدة عن الإسلام التي لصقت نفسها بالإسلام زوراً ـ من أجل القضاء على القرآن وتثبيت الأهداف الشيطانيّة للقوى الكبرى، وهي تنوي إقصاء القرآن عن ميدان الحياة بهذه المكيدة الشيطانيّة، وكلّنا رأينا القرآن الذي طبعه محمّد رضا خان بهلوي فاستغفل به بعض الناس، وأثنى عليه عدد من المعمّمين غير الواعين»**[1].

وفي ضوء ذلك ـ كما قلنا ـ تتعذّر الإفادة من الأعمال الصالحة لتنضيج قابليّات الإنسان ما لم نستضئ بأنوار هداية القيادة الربّانيّة.

بعبارة أُخرى: إنّ الاستهداء بقبس الوحي والبصيرة ـ بالتفصيل الذي مرّ في مبحث شروط المعرفة[2] ـ مشروط بالاستضاءة بنور قيادة الإمام، وإلّا ظلّ الإنسان في ظلمة الضلال والغيّ والتيه. قال تعالى:

**﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**

---

(١) الوصيّة الإلهيّة السياسيّة للإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه.

(٢) مبانی شناخت «أُسس المعرفة»: ٤٠١ و ٤٢٠.

كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾؟![1]

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة:

**«مَيْت: لا يعرف شيئاً (ويجهل الحقائق التي يعدّ الاطّلاع عليها أرضيّة لتكامل الإنسان). و نوراً يمشي به في الناس: إماماً يؤتمّ به (وقائداً ربّانيّاً يجب على الإنسان اتّباعه). كمن مَثَله في الظلمات ليس بخارج منها: الذي لا يعرف الإمام»[2].**

الثانية: تؤثّر قيادة الإنسان الكامل تكوينيّاً في توجيه المواهب الإنسانيّة وتنضيجها وتفتّحها، مضافاً إلى أنّها تجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان[3]. وفي هذا المجال يرى المرحوم العلّامة الطباطبائيّ أنّ فعّاليّة الإيمان والعمل الصالح مشروطة بالاستهداء بالولاية، فقد قال في ذيل الحديث الذي نقله عن مجمع البيان والوارد في تفسير الآية ٨٢ من سورة طه[4]:

**«ولولاية أهل البيت عليهم السلام معنىً آخر ثالث، وهو أن يلي الله أمر عبده فيكون هو المدبّر لأُموره والمتصرّف في شؤونه لإخلاصه في العبوديّة، وهذه الولاية هي لله بالأصالة، فهو الوليّ لا وليّ غيره، وإنّما تُنسب إلى أهل البيت عليهم السلام لأنّهم السابقون الأوّلون من الأمّة في فتح هذا الباب...**

**فتلخّص أنّ الولاية في حديث المجمع بمعنىً ملك التدبير، وأنّ الآية الكريمة عامّة جارية في غير بني إسرائيل كما فيهم، وأنّه عليه السلام إنّما فسّر الاهتداء إلى الولاية من جهة الآية في هذه الأمّة، وهو المعنى المتعيّن»[5].**

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الكافي: ١ / ١٨٥ / ١٣، ما بين القوسين ليس من الرواية.

(٣) مرّ توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع من القسم الأوّل.

(٤) وهي قوله سبحانه: ﴿وإنّي لَغفّارٌ لِمَن تابَ وآمَنَ وعمِلَ صالحاً ثُمَّ اهتدى﴾.

(٥) الميزان: ١٤ / ٢٠٠.

# الخلاصة

◘ القيادة ـ من منظار النبيّ الأكرمﷺ ـ محور الثورة الإسلاميّة، وبدونها يؤول مصير الثورة إلى الرجعيّة.

◘ المبعث النبويّ الشريف ـ من منظور إسلاميّ ـ بداية لعصر العلم وخاتمة لعصر الجاهليّة.

◘ يواصل عصر العلم ـ الذي بدأ مع المبعث النبويّ ـ مسيرته إذا عرف المجتمع الإسلاميّ إمام زمانه واتّبعه، من هنا فإنّ الموت بدون معرفة الإمام هو موت جاهليّ.

◘ التمسّك بالقيادة الربّانيّة ـ من منظار الرسول الأعظمﷺ ـ شرط ثابت لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه.

◘ التمسّك بالقيادة الربّانيّة يجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان، وبدون ذلك لا تؤثّر الأعمال الصالحة في تكامل الإنسان والمجتمع البشريّ قيد أنملة، وربّما يسفر عن ذلك انحطاط الإنسان ودمار الإسلام.

◘ تؤثّر قيادة الإنسان الكامل في توجيه المجتمع وتنمية وتنضيج مواهبه تكوينيّاً.

# الفصل الثالث

# القيادة من منظار أهل البيت

لقد عرض أهل البيت النبويّ الكريمعليهم السلام نقاطاً جديدة مشرقة حول مكانة القيادة القِيَميّة، وخطر القادة المناوئين للفضائل والقِيَم، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم وتعاليم جدّهم المصطفىصلى الله عليه وآله.

## أ ـ موقع القيادة القيمية

من النقاط المهمّة في كلام أهل البيتعليهم السلام حول القيادة القِيَميّة هي آصرة التوحيد والإمامة، فمن منظارهم ترتبط معرفة الله بالقيادة الربّانيّة ارتباطاً وثيقاً لا يتزعزع، ولا يتسنّى لأحد أن يكون موحّداً حقّاً بدون معرفة إمامالحقّ والعدل.

### ١ ـ آصرة التوحيد والإمامة

روى سلمة بن عطا عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: خرج الحسين بن عليّعليه السلام على أصحابه فقال:

**«أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ إلاّ لِيَعْرِفُوهُ، فَإذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ،**

**فإذا عَبَدُوهُ استغنَوا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِواه».**

فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله (التي هي الغاية من خلق الإنسان)؟ قال:

**«مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِم طَاعَتُهُ»**[1].

يكمن في هذا الكلام الموجز كنز من المعارف الربّانيّة الرفيعة. فالإمام عليه السلام يؤكّد في مستهلّ كلامه أنّ فلسفة خلق الإنسان ليست إلّا معرفة الله سبحانه، لأنّ الإنسان يستطيع في ظلّ المعرفة المذكورة أن يتحرّر من نير الرقّ والعبوديّة، ويحظى بالحرّيّة الحقيقيّة التي هي عبادة الله، ويضمن حاجاته المادّيّة والمعنويّة من خلال عبادة الله.

ونلاحظ في آخر كلام الإمام أنّ رجلاً يسأله: فما معرفة الله التي تمثّل فلسفة خلق الإنسان؟ فيجيبه الإمام بصراحة تامّة: معرفة الله هي معرفة الإمام. أي: يتعرّف الناس في كلّ زمان على القائد الذي يجب عليهم أن يطيعوه، ليبلغوا معرفة الله الحقيقيّة.

أشار الإمام الحسين عليه السلام في هذا الكلام الموجز إلى عدد من النقاط الجوهريّة السامقة:

أ ـ استمرار القيادة الربّانيّة على مرّ التاريخ البشريّ.

بعث الله تعالى في كلّ زمان رجلاً لهداية الناس وقيادتهم، كما خاطب القرآن الكريم نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله قائلاً:

**﴿إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**[2]

---

(١) علل الشرائع: ١/باب ٩/ ١، بحار الأنوار: ٢٣/ ٨٣/ ٢٢.

(٢) الرعد: ٧.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

**«كُلُّ إمامٍ هادٍ لِكلِّ قومٍ في زمَانِهِم»**[١].

وقال صلوات الله عليه أيضاً:

**«... كُلُّ إمامٍ هَادٍ لِلقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِم»**[٢].

وكذلك نُقلت أحاديث نبويّة كثيرة في كتب الشيعة والسنّة[٣] تذهب إلى أنّ الهادي في الآية الكريمة المتقدّمة هو أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ب ـ وجوب معرفة الإمام في كلّ زمان.

يجب على أتباع الإسلام الحقيقيّين في كلّ زمان أن يعرفوا إمامهم وهاديهم، ويطيعوه في أعمالهم الدينيّة والدنيويّة، ويعتقدوا أنّه إمامهم وقائدهم، ويستهدوا به في حياتهم، وتستشفّ هذه النقطة من الآية الكريمة المذكورة والأحاديث المأثورة عن النبيّ وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين.

إنّ أدقّ نقطة في كلام الإمام عليه السلام هي أنّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك فلسفة خلقه ـ ومن ثَمّ توحيد الله ـ بدون قيادة الإنسان الكامل.

إنّ كلامه عليه السلام في الحقيقة عرض آخر لأوّل تعبير قرآنيّ في تبيين مكانة القيادة. فالقرآن يرى أنّ الإمام سبيل الله[٤].

ذلك السبيل الذي لا يمكن للإنسان أن يبلغ تكامله ـ الذي هو فلسفة خلقه ـ

---

(١) كمال الدين: ٦٦٧ / ٩، تفسير نور الثقلين: ٢ / ٤٨٣ / ١٩.

(٢) الكافي: ١ / ١٩١ / ١، بصائر الدرجات: ٣٠ / ٦، غَيبة النعماني: ١١٠ / ٣٩.

(٣) الكافي: ١ / ١٩٢ / ٢ ـ ٤، بصائر الدرجات: ٢٩ / ١ ـ ٨، غَيبة النعماني: ١١١ / ٤٠، كمال الدين: ٦٦٧ / ١٠، بحار الأنوار: ٢٣/٣ و ٥ و ٥٤، تفسير الطبريّ: ١٠٨/١٣/٨، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٤٠ / ٤٦٤٦، كنزالعمّال: ١١ / ٦٢٠ / ٣٣٠١٢، الدرّ المنثور: ٤ / ٦٠٨.

(٤) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب.

بدون طيّه.

لقد فسّر الإمام عليه السلام معرفة الله بمعرفة الإمام.

أي: إنّ التوحيد والإمامة متلازمان لا يقبلان الانفصال، وتتعذّر معرفة الله معرفة حقيقيّة بدون معرفة الإمام معرفة دقيقة.

ونقرأ في رواية أُخرى أنّ من يجعل لإمام الحقّ شريكاً فكأنّما جعل لله تعالى شريكاً. قال الإمام الصادق عليه السلام:

**«من أشرك مع إمام إمامته من عند الله مَن ليست إمامته من الله كان مشركاً بالله»**[1].

أجل، إنّ التوحيد والإمامة اللّذَين كان يروّج لهما الأمويّون والعبّاسيّون بالأمس ويتحدّث بهما أنصار الإسلام الأميركيّ هذا اليوم هما ليسا التوحيد والإمامة المنقذين اللذين يقودان إلى الكمال. وعلى أساس القيادة الربّانيّة للإنسان الكامل فحسب تستعيد معرفة الله مفهومها ومكانتها الحقيقيّة في المجتمع، ويؤدّي التوحيد دوره في تكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً، ذلك التكامل الذي يمثّل الغاية من خلقته.

## ٢ـ مفتاح المبادئ الإسلاميّة

نقرأ للإمام الباقر عليه السلام الوصيّ الخامس لرسول الله صلى الله عليه وآله تعبيراً رائعاً في تبيين أهمّيّة القيادة في الإسلام، إذ عبّر عنها بمفتاح المبادئ والأُسس الإسلاميّة.

روى زرارة أحد أصحابه حديثاً عنه ذكر فيه تفصيل الأُسس الإسلاميّة، فقال:

**«بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياءَ: على الصلاةِ والزكاةِ والحجِّ والصومِ والولايةِ»**.

فقال زرارة: وأيّ شيءٍ من ذلك أفضل؟

---

(١) الكافي: ١ / ٣٧٣ / ٦، غَيبة النعماني: ١٣٠ / ٨، الإمامة والتبصرة: ٢٣١ / ٨٠ عن الإمام الباقر عليه السلام، بحارالأنوار: ٢٣ / ٧٨ / ١١.

قال عليه السلام:

**«الولايةُ أفضلُ، لأنّها مفتاحُهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ»[١].**

نلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام لا ينظر إلى القيادة في الإسلام بوصفها أصلاً وقاعدة فحسب، بل يراها مفتاحاً للأُسس الإسلاميّة، وبدونها لن يطبّق الإسلام الصحيح في أرجاء المعمورة.

وليس بمقدور الصلاة والزكاة والحجّ والصيام أن تبلغ غايتها الحقيقيّة من غير قيادة إمام الحقّ، ولا تتّخذ الصلاة طابع الذكر الإلهيّ[٢] ولا تلغي ما ينافي ذكره تعالى إلّا على أساس ولاية الأولياء الربّانيّين[٣].

وكيف يدّعي عبوديّة الله ويصدق في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ وهو مطوّق بربقة عبادة الطاغوت؟! وأنّى للمجتمع أن يكون جادّاً في قوله: ﴿اهدِنا الصِراطَ المُستَقيم﴾ وهو أسير المفاسد والانحرافات المنبثقة عن إمامة الأئمّة الظالمين، ولم يبذل جهداً في مواجهة هذا الفساد المتأصّل؟! وعلى أساس الولاية أيضاً تصرف عائدات بيت المال في طريقها الصحيح، ويؤدّي الحجّ دوره في إقرار الوحدة بين الإمام والأُمّة باعتباره أعظم مؤتمر سنويّ للعالم الإسلاميّ[٤]، ويطهّر الصوم روح الإنسان والمجتمع البشريّ[٥]. فالولاية إذن مفتاح الأُسس والمباني الإسلاميّة، والوالي هو الدليل عليهنّ، كما قال سيّدنا الإمام الباقر عليه السلام.

---

(١) الكافي: ٢ / ١٨ / ٥، المحاسن: ١ / ٤٤٦ / ١٠٣٤.

(٢) ﴿أقمِ الصلاةَ لِذِكري﴾. طه: ١٤.

(٣) ﴿إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾. العنكبوت: ٤٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٦٢ / ٢٩ عن الإمام الباقر عليه السلام: «تمام الحجّ لقاء الإمام»، وانظر ميزان الحكمة: الباب ٦٩٧: «ما به تمام الحجّ».

(٥) انظر ميزان الحكمة: الباب ٢٣٥٢ / «علّة وجوب الصوم».

## ٣ـ أُسس الإسلام النامي

نطالع للإمام الرضاعليه السلام تعبيراً رائعاً يدلّ فيه على سياء الإمامة ودورها الحركيّ في تنامي المجتمع الإنسانيّ. قالعليه السلام:

**«إنّ الإمامة أُسُّ الإسلام النامي وفرعه السامي»**[1].

إنّ وصف الإسلام بالنموّ والسموّ في كلام الإمامعليه السلام مَعْلَمٌ على أنّ الإسلام قد يكون حيّاً حركيّاً في المجتمع الإسلاميّ حيناً، وقد يكون ميّتاً جامداً حيناً آخر. وآية حياته وحركيّته تأسيس الحكومة الإسلاميّة بإمامة وقيادة إمام الحقّ والعدل، كما أنّ علامة موته وجموده تسلّط حكّام الباطل والجور.

الإمامة قاعدة الحركة وأساس حركيّة الإسلام في المجتمع، وبدونها يصبح الإسلام ديناً واهياً جامداً لا أساس له ولا حركة فيه، وهو عندئذٍ لا يناقض الشرك والكفر ومصالح المشركين والمستكبرين، بل يمسي أداةً لتوجيهها وتسويغها. وبكلمة واحدة وبتعبير بليغ أدلى به مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة طاب ثراه: يصبح هذا الإسلام إسلاماً أميركيّاً. من هنا فإنّ الإسلام الذي لا أصل له ولا أساس هو أخطر من الكفر والشرك بكثير.

ولعلّك تتساءل: كيف وصف الإمام الرضاعليه السلام الإمامة بأنّها أُسّ الإسلام النامي وفرعه السامي؟

والجواب هو أنّ الإمامة أصل الإسلام وجذره في معنى، وفرعه وغصنه في معنى آخر، ولنا أن نلاحظ كِلا المعنيين في القرآن الكريم. قال تعالى:

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾**[2]

---

(١) الكافي: ١ / ٢٠٠ / ١.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

وجاء في تفسير العيّاشي عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام في تفسير هـذه الآية الكريمة:

**«يعني النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده هم الأصل الثابت، والفرع الولاية، لِمَن دَخَل فيها»**[1].

ويمكن أن تشمل الكلمة الطيّبة كلّ شيء حسَن صالح مبارك، سواءً كان إنساناً أم عقائد وأخلاقاً وأعمالاً يمارسها[2]. ونلحظ أنّ الرواية المذكورة اعتنت بمصداقٍ هو من أهمّ مصاديق الكلمة الطيّبة.

وفي ضوء هذا التفسير جاءت الإمامة بمعنى قيادة الأُمّة وهداية الناس إلى الكمال المطلوب، وأصل شجرة التوحيد الطيّبة والإسلام المحمّدي الأصيل الذي يمثّل قادته الربّانيّون تجسيداً للإمامة بهذا المفهوم.

وجاءت أيضاً بمعنى الولاية التي هي نتيجة لاتّباع قيادة أئمّة الحقّ، وفرع لتلك الشجرة الطيّبة، وأطلق القرآن الكريم على هذا الفهم مصطلح الإمامة أيـضاً. قـال تعالى واصفاً «عباد الرحمن»:

**﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾**[3]

وهكذا فإنّ الأُمّة الكائنة في حصن الولاية والقيادة الربّانيّة تصبح إماماً وأُسوةً لقيادة الأُمم الأُخرى، وتبلغ درجةً قال عنها القرآن الكريم:

**﴿وكذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**[4]

---

(١) تفسير العيّاشي: ٢ / ٢٢٤ / ١٠، بحار الأنوار: ٢٤ / ١٤١ / ٨.

(٢) انظر كتب التفسير.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) البقرة: ١٤٣.

## ب ـ خطر القادة المناوئين للفضائل والقِيَم

إنّ الإمامة ـ في مفهومها الرفيع ـ أُسّ الإسلام النامي وسرّ تألّق المواهب الإنسانيّة في جميع المجالات، أمّا في مفهومها المتدنّي فهي جذر الكفر وبروز ضروب الفساد الفرديّ والاجتماعيّ.

### ١ ـ باطن الأدناس جميعها

يقول محمّد بن منصور ـ أحد أصحاب الإمام الكاظم‏عليه السلام ـ:

سألت عبداً صالحاً (يريد الإمام الكاظم‏عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١].

فقال:

**«إنَّ القرآن له ظهرٌ وبطنٌ، فجميعُ ما حرَّم اللهُ في القرآن هو الظاهر، والباطنُ من ذلك أئمّةُ الجور. وجميعُ ما أحلَّ اللهُ تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمّةُ الحقّ»**[٢].

نلاحظ أنّ الإمام‏عليه السلام أشار ـ في تبيين الفواحش الظاهرة والباطنة الواردة في الآية الكريمة ـ إلى مبدأ عامّ في تفسير القرآن. وهو أنّ الآيات القرآنيّة ذات بُعْدَين: أحدهما يُفهم من ظاهر القرآن، والثاني يُدرك من باطنه، فتفسير القرآن إذن على نحوين: ظاهريّ، وباطنيّ.

التفسير الظاهريّ للآية المذكورة هو أنّ الله تعالى حرّم الأعمال القبيحة، سواءً ارتكبت علناً أم خفاءً.

يؤكّد الإمام‏عليه السلام أنّ هذه الآية ـ كغيرها من أخواتها، تحمل معنىً يستنبط من

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) الكافي: ١ / ٣٧٤ / ١٠.

ظواهر ألفاظها، وتستبطن مفهوماً آخر يكمن في عمقها أيضاً، وفي تفسيرها الباطن يعرض الإمام عليه السلام بنحوٍ مجمل أساس الفساد الاجتماعي بأنواعه، وطريق الوصول إلى المجتمع الإنساني والإسلاميّ المطلوب.

إذ أنّ الأساس في جميع ضروب فساد المجتمع البشريّ وظلمه وانحرافه وضلاله هو قيادة أئمّة الجور والباطل، ولا رجاء في إصلاحه مادامت أُمّ الفساد هذه معشعشة في كيانه. بيدَ أنّا ينبغي أن نلتفت إلى أنّ اجتثاث شجرة الفساد الخبيثة هو أوّل خطوة في تحقيق الأهداف الإسلاميّة لبناء الأُمّة النموذجيّة.

والخطوة التالية ـ على أساس المعايير الإسلاميّة ـ هي خلافة القائد الربّانيّ وإمامة العدل، التي تمثّل أُسّ الإسلام النامي ومنهاج تكامل الإنسان.

من هنا فإنّ أحرج اللحظات في تاريخ ثورة من الثورات هي عندما تريد الأُمّة أن تستبدل إمام الحقّ بإمام الباطل، فإذا تلكّأت ولم تعمل بدقّة تامّة فإنّ مصير الثورة هو الرجوع إلى الماضي بفساده وضياعه.

## ٢ ـ أساس الشرور جميعها

يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى منزلة القيادة المثاليّة بوصفها أصل كلّ خير، ثمّ يتطرّق إلى إمامة أئمّة الجور بوصفها أصل كلّ شرّ، فيقول:

«نَحْنُ أصل كُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ فُرُوعِنا كُلُّ بِرٍّ، فَمِنَ البِرِّ: التوحِيدُ والصلاةُ والصيامُ وكَظْمُ الْغَيْظِ والْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيء وَرَحْمَةُ الْفَقِيرِ وتَعهّد الجار والإقرارُ بِالْفَضْلِ لأهْلِه.

وَعَدُوّنا أصل كُلِّ شرٍّ، وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلُّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ فَمِنْهُمُ: الْكِذْبُ والْبُخْلُ والنمِيمَةُ والْقَطِيعَةُ وأكلُ الربا وأكلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ...

فَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفُرُوعِ غَيْرِنَا»[1].

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٤٢ / ٣٣٦.

نلحظ في ضوء هذه الرواية أنّ قيادة إمام الحقّ أهمّ الأركان السياسيّة الاجتماعيّة في الإسلام، وأعظم البرامج في تكامل الإنسان، وأنّ قيادة إمام الباطل هي أصل الكفر، وهي الأساس في عوامل الانحطاط والسقوط. ونجد في الرواية المذكورة أنّ جميع المحاسن والمناقب العقيديّة والأخلاقيّة والعمليّة هي من فروع قيادة إمام الحقّ، وأنّ كافّة المساوئ والمثالب والشرور وضروب الفساد العقيديّ والأخلاقيّ والعمليّ هي من فروع قيادة إمام الباطل.

وأنّ الشخص الوحيد الذي يصدق في ادّعائه اتّباع قيادة إمام الحقّ هو الذي لا علاقة له أبداً بفروع قيادة إمام الباطل.

# الخلاصة

▣ يرتبط التوحيد والإمامة ـ من منظار أهل البيت عليهم السلام ـ بآصرةٍ لا تقبل الانفصال، ولا يتسنّى لأحدٍ أن يكون عارفاً بالله حقّاً إلّا بمعرفة إمام الحقّ والعدل.

▣ القيادة الربّانيّة ـ من منظار أهل البيت عليهم السلام ـ مفتاح المبادئ والأُسس الإسلاميّة، وبدونها لن يطبّق الإسلام الصحيح في العالم.

▣ الإمامة ـ من منظور أهل البيت عليهم السلام ـ رمز الحياة والحركيّة الإسلاميّة، وبغيرها لا نرى الإسلام إلّا ميّتاً جامداً.

▣ الإسلام الذي لا أساس له ولا أصل لا يناقض الشرك والكفر، بل يصبح أداةً لتوجيههما وتسويغهما، وحينئذٍ يكون أخطر منهما.

▣ الأصل في ضروب فساد المجتمع البشريّ ـ من منظور أهل البيت عليهم السلام ـ هو قيادة أئمّة الجور، ولا تعالَج أدواء المجتمع إلّا باستئصال أمّ الفساد هذه. وانّ استئصالها يمثّل أوّل خطوة في تحقيق الأهداف الإسلاميّة. أمّا الخطوة التالية فهي خلافة القائد الربّانيّ.

# الفصل الرابع

# القيادة من منظار أتباع أهل البيت عليهم السلام

إذا نظرنا إلى ما مرّ بنا في الفصول المتقدّمة حول موقع الإمامة والقيادة عرفنا أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام يعتقدون أنّ الإمامة أصل من أُصول الدين، وبدونها يتعذّر تطبيق الإسلام الحقيقيّ في المجتمع، ولمزيد من الاطّلاع على أُسس هذه العقيدة لابدّ لنا في البداية أن نستعرض المعيار في أُصول الدين، والحدّ الفاصل بين أُصول الإسلام وفروعه.

## المعيار في أُصول الدين

الدين منهاج لتكامل الإنسان، وأُصوله هي الدعائم الأصليّة لذلك المنهاج، وفروعه هي الأغصان المتفرّعة له.

ولم نجد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة دليلاً خاصّاً أو معياراً صريحاً يبيّن لنا أُصول الدين ويميّزها عن فروعه، والمعيار الوحيد الذي يمكن أن يُعرض هنا هو المعيار العقليّ، ونريد به أنّ ما عُرف على أنّه إسلام وله دور أساس في تحقيق الأهداف التوحيديّة والقِيَم الإسلاميّة في المجتمع الإنسانيّ يمكن أن يكون من أُصول

الدين الإسلاميّ.

وإذا لم يكن له هذا الدور فهو من فروع الدين.

بعبارة أُخرى: إذا كان لعقيدة أو عمل دور أساس مهمّ في بثّ القِيَم الإسلاميّة في المجتمع ـ بحيث إنّ الإسلام يفقد مفهومه الحقيقيّ بدون ذلك ـ فإنّ تلك العقيدة أو العمل هما من الأُصول الأساسيّة لهذا النظام الربّانيّ، وإذا لم يكن لهما مثل هذا الدور فهما من فروع الدين[1].

## الإمامة من أُصول الدين

إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا المعيار العقليّ وما عرضناه حول مكانة القيادة من منظار القرآن الكريم والنبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام علمنا أنّ الإمامة من أُصول الدين الإسلاميّ المقدّس لا من فروعه، وذلك للأسباب الآتية:

١ـ الإمامة عهد إلٰهيّ لا يدرك الإنسان ـ بدون الوفاء به ـ غاية التوحيد والنبوّة، ومن ثَمّ غاية خلقه التي تمثّل تكامله.

٢ـ الإمامة محور الثورة الإسلاميّة، فإذا فقدت رجعت الثورة القهقهرى وعادت إلى الجاهليّة.

٣ـ الإمامة شرط في قبول الأعمال الصالحة، وبدونها لا يتسنّى لأيّ عمل أن يؤدّي دوره في تكامل الإنسان.

٤ـ الإمامة مفتاح المبادئ الإسلاميّة وأُسّ الإسلام النامي، وغايتها كغاية التوحيد.

من هنا، إذا كان معيار أُصول الدين هو الدور الأساس للاعتقاد أو العمل فإنّ

---

(١) للوقوف على تفصيل أكثر انظر القسم الأوّل من كتابنا «العدل في الرؤية التوحيديّة للوجود».

الإمامة لا تُعدّ من أُصول الدين فحسب بل تُعدّ من أهمّ أُصول الإسلام السياسيّة الاجتماعيّة.

## الإمامة من منظار أهل السنّة

يذهب معظم علماء السنّة إلى أنّ الإمامة ليست من أُصول الدين، بل يزعمون أنّها من فروعه، وأنّها مرتبطة بأفعال المكلّفين. قال الفضل بن روزبهان في هذا المجال:

**«إنّ مبحث الإمامة عند الأشاعرة ليست من أُصول الديانات والعقائد بل هي عند الأشاعرة من الفروع المتعلّقة بأفعال المكلّفين»**[١].

ومن الطبيعيّ أنّ شريحة من أهل السنّة يعتقدون ـ كأتباع أهل البيت عليهم السلام ـ أنّ الإمامة من أُصول الدين، كما حكى المرحوم الشيخ محمّد حسن المظفّر عنهم ذلك قائلاً:

**«وقد وافقَنا على أنّها أصلٌ من أُصول الدين جماعةٌ من مخالفينا كالقاضي البيضاوي في مبحث الأخبار وجمعٌ من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيّد السعيد»**[٢].

وحاول ابن أبي الحديد المعتزليّ أن يقرّب وجهات النظر بين الشيعة والسنّة في ما يخصّ أصل الاعتقاد بالإمامة، فقال بعد كلامٍ لسيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام هذا نصّه:

**«عليكم بطاعة مَن لا تُعذَرونَ بجهالته»**[٣].

**«يعني نفسه عليه السلام، وهو حقّ على المذهبين جميعاً. أمّا نحن فعندنا أنّه إمامٌ**

---

(١) دلائل الصدق للشيخ محمّد حسن المظفّر: ٢ / ٤، انتشارات بصيرتي ـ قم.

(٢) نفسه: ٢ / ٨.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٦.

واجب الطاعة بالاختبار، فلا يُعذَر أحدٌ مِنَ المكلّفين في الجهل بوجوب طاعته. وأمّا على مذهب الشيعة فلأنّه إمامٌ واجب الطاعة بالنصّ فلا يُعذَر أحدٌ من المكلّفين في جهالة إمامته، وعندهم أنّ معرفة إمامته تجري مجرى معرفة محمّد ﷺ ومجرى معرفة الباريْ سبحانه. ويقولون: لا تصحّ لأحدٍ صلاة ولا صوم ولا عبادة إلّا بمعرفة الله والنبيّ والإمام.

وعلى التحقيق، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى؛ لأنّ من جهل إمامة عليٍّ عليه السلام وأنكر صحّتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلّد في النار، لا ينفعه صومٌ ولا صلاةٌ، لأنّ المعرفة بذلك من الأُصول الكلّيّة التي هي أركان الدين. ولكنّا لا نسمّي منكر إمامته كافراً، بل نسمّيه فاسقاً وخارجيّاً ومارقاً ونحو ذلك. والشيعة تسمّيه كافراً. فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو في اللفظ لا في المعنى»[1].

وعرض كاتب سنّيّ معاصر في كتاب «الخلافة والإمامة» الاعتقاد بكون الإمامة أصلاً، ثمّ قدح في ذلك قائلاً:

«إنّ الشيعة الإماميّة يَرَون الإمامةَ من أُصول الدين التي ينبغي الاعتقاد بها. والعمل على تحقيقها. إذ لا يتمّ الإيمان إلّا إذا استقام عليها المسلم معتقداً وعملاً... كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ».

وقال الشيخ محمّد رضا المظفّر في كتاب «عقائد الإماميّة»:

«نعتقد أنّ الإمامة أصلٌ من أُصول الدين، لا يتمّ الإيمان إلّا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربّين مهما عَظُموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوّة».

ثمّ قال صاحب كتاب «الخلافة والإمامة»:

«وأنت ترى أنّ مكانة الإمامة فوق مقام الصلاة وغيرها من أركان الدين، إذ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨ / ٢٧٣.

**الصلاة وغيرها من أُمور الدين يجوز التقليد فيها ـ حسب مذهب أهل السنّة ـ وذلك رفعاً للحرج عن العامّة الذين ليس في إمكانهم النظر في حقائق الدين نظراً يستدلّ به على تلك الحقائق ومعرفة الأحكام المتعلّقة بها من الكتاب والسنّة. يقول صاحب كتاب «الملل والنحل»: (وأمّا العاميّ فيجب عليه تقليد المجتهد. وإنّما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأل عنه).**

**والإمامة عند الشيعة لا ينبغي التقليد فيها، بل يجب على كلّ مسلم حسب هذا المعتقد أن يكون هو الذي ينظر في الإمامة ويطلب الدليل عليها ويقيم الحجج لها، حتّى تقع من قلبه وعقله موقع الإيمان...!»**[1].

نلحظ أنّ الكاتب المذكور يسجّل مؤاخذتين على المذهب الشيعيّ:

الأُولى: لماذا يعتقد الشيعة أنّ الإمامة أصل من أُصول الدين؟ والأُخرى: لماذا لا يجيزون التقليد في الإمامة؟

أمّا الأُولى فقد أجبنا عنها.

وأمّا الثانية، فالدليل عليها واضح، إذ أنّ التقليد يعني الإقرار برأي الآخرين دون طلب الدليل والبرهان، والعقل يأبى أن يجري الإنسان وراء أيٍّ كان في قضيّة مهمّة كالإمامة والقيادة. وهي القضيّة التي يرتبط بها تحقيق الأهداف الربّانيّة والقِيَم الإسلاميّة ارتباطاً تامّاً.

وأثبت التاريخ الإسلاميّ حرمة التقليد في الإمامة، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم جيّداً أنّ أهمّ عامل يقف وراء ضلال المسلمين وانحطاطهم وتخلّفهم هو التقليد في الإمامة، والخنوع لقيادة المفسدين الجائرين، ولو أراد المسلمون استعادة مجدهم وعظمتهم الحقيقيّة ـ التي توسّمها لهم القرآن الكريم، ووعدهم بها نبيّهم العظيم صلى الله عليه وآله ـ لكان عليهم لزاماً أن يكونوا من أُولي النظر والرأي الحصيف في مسألة

---

(١) الخلافة والإمامة لعبد الكريم الخطيب: ٤٢٧، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

الإمامة، ومعرفة إمامهم وقائدهم.

أجل، لو أخطأ المجتهد في المسائل المتعلّقة بالصلاة والصيام وأمثالها وتبعه المقلّد في خطئه فليس لذلك شأن يُذكر، بيدَ أنّه لو أخطأ في مسألة الإمامة ومواصفات إمام الأُمّة الإسلاميّة وقائدها أو أنّه أكره الناس على اتّباع أئمّة الجور بالترغيب والترهيب فسوف تُمنى الأُمّة الإسلاميّة بما مُنيت به اليوم من المصير المؤلم المؤسف.

# الخلاصة

◘ المعيار في عدّ مسألة مّا من أُصول الدين هو دورها الأساس في تحقيق الأهداف التوحيديّة والقِيَم الإسلاميّة.

◘ إذا أخذنا بعين الاعتبار معيار أُصول الدين وما ذكرناه حول مكانة القيادة ـ من منظار القرآن الكريم والنبيّ العظيمﷺ وأهل بيته الميامينﷺ ـ فإنّ الإمامة هي أصل من أُصول الدين لا محالة.

◘ يرى معظم علماء السنّة أنّ الإمامة ليست من أُصول الدين، بل هي من فروعه المتعلّقة بأفعال المكلّفين.

◘ أثبت التاريخ الإسلاميّ حرمة التقليد في الإمامة، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم أنّ العامل الأساس في انحطاط المسلمين هو التقليد في الإمامة والانقياد إلى قيادة غير الصالحين.

# القسم الثالث

## مؤامرتان خطرتان

# الفصل الأوّل

# فصل القيادة

ذكرنا في الفصل الماضي أنّ الإمامة من أُصول الإسلام الجوهريّة التي لا محيد عنها. وسنجيب في هذا الفصل عن السؤال الآتي: كيف فُصلت الإمامة عن بنية الإسلام؟ ولماذا لم يشعر المجتمع الإسلاميّ بالمسؤوليّة حيال ذلك؟

بحقٍّ ينبغي أن نقول: إنّ مؤامرة فصل الإمامة عن بنية الإسلام كانت وما زالت من أمرّ الظواهر في التاريخ الإسلاميّ وآلمها وأخطرها.

وفعلت هذه الكارثة الممضّة فعلتها فمزّقت كيان المجتمع الإسلاميّ وأفرغت الإسلام من محتواه، وهبطت بالمسلمين إلى حضيض الضياع، حتّى عادوا غير قادرين على النهوض واستعادة المجد والاقتدار الذي كان لهم في صدر الإسلام بعد مضيّ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

وهذه الحقيقة من أُمّهات الموضوعات التي وردت في الوصيّة السياسيّة الإلهيّة التي تركها القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه، إذ تتحرّى في الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، فهو‪ ‬قد بدأ وصيّته ببيان هذه الكارثة، وأراد أن يطلق صرخة في أُذن التاريخ البشريّ، معلناً فيها أنّ المسلمين

لا يسعهم أن يسترجعوا هويّتهم الإسلاميّة ما داموا لا يدركون خطر انفصال القيادة الربّانيّة عن الإسلام. ذلك الخطر الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد توقّعه من قبل، وهو كالقرحة المزمنة، أصل جميع الآلام التي عانت منها البشريّة.

والواقع أنّ أساس وصيّة الإمام السياسيّة الإلٰهيّة هو وصيّة النبيّ السياسيّة الإلٰهيّة التاريخيّة إذ أنذر بخطر فصل الدين عن الإمامة والسياسة، فقال:

**«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يرِدَا عليَّ الحوض».**

يؤكّد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في هذا الحديث ـ المتواتر المعتبر عند كافّة المسلمين ـ أنّ الإمامة أو القيادة لا تنفصل عن القرآن والإسلام أبداً. وقال الإمام الراحل رحمه الله في تبيان هذه النقطة أيضاً:

**«لعلّ قوله: (لن يفترقا حتّى يرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ) إشارة إلى أنّ كلّ ما يجري بعده صلى الله عليه وآله على أحدهما يجري على الآخر، وأنّ هجر أحدهما هجرٌ للآخر إلى أن يرِد هذان المهجوران على رسول الله الحوض معاً. وهل هذا الحوض هو مقام اتّصال الكثرة بالوحدة واضمحلال القطرات في البحر؟ أو أنّه شيء آخر ليس إلى عقل البشر وعرفانه إليه من سبيل؟!».**

لقد امتزج القرآن والعترة، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة امتزاجاً لا يمكن معه أن ينفصل أحدهما عن الآخر أو يفترق عنه، وإذا انفصل القرآن عن العترة فإنّه يفقد مفهومه الحقيقيّ. وإن افترق الإسلام عن الإمامة فكأنّه قد افترق عن نفسه. وبعبارة أُخرى: إنّ الدين بلا سياسة هو الدين بلا دين.

## المؤامرة الكبرى

إنّ أكبر مؤامرة حدثت ـ في تاريخ الإسلام ـ على الإسلام والمسلمين بل على البشريّة جميعها هي مؤامرة فصل القيادة الربّانيّة عن الإسلام والقرآن. قال الإمام

الخمينيّ في وصيّته:

**«لقد جعل الأنانيّون والطواغيت القرآن الكريم أداةً للحكومات المعادية للقرآن، وبشتّى الذرائع والدسائس المدبّرة أقصَوا مفسّريه الحقيقيّين العارفين بكلّ حقائقه التي كانوا قد تلقّوها من النبيّ الأكرم.**

**وبالقرآن نفسه أخرجوا القرآن عن الساحة، وهو أعظم دستور للحياة المادّيّة والمعنويّة للبشريّة حتّى ورود الحوض، وشطبوا على حكومة العدل الإلهي ـ التي كانت وما تزال أحد أهداف هذا الكتاب المقدّس ـ ورسّخوا أساس الانحراف عن دين الله والكتاب والسنّة، حتّى بلغ الأمر مبلغاً يستحي القلم من بيانه»[1].**

ومن خلال تلك المؤامرة الخطرة المعقّدة أفرغوا الإسلام من محتواه، وأفقدوا الصلاة والصيام والحجّ والجهاد في سبيل الله آثارها وعطاءاتها، بدون أن يدرك المسلمون كنهها. وخلاصتها أنّهم أعقموا قوانين القرآن جميعها، فحبطت كافّة البرامج المرسومة لتكامل الإنسان وتنميته وتنضيجه.

وفعلت هذه المؤامرة المدروسة فعلتها بدون أن يتغيّر ظاهر الإسلام فيعترض المسلمون على المغيّرين، وفقدَ الإسلام روحه بسببها وأصبح كيانه الخاوي أفضل وسيلةً لتوجيه واستمرار الحكومات الطاغوتيّة التي مسكت بزمام الأُمور باسم التوحيد.

وعلى حدّ تعبير الإمام الراحل رضوان الله عليه:

**«بلغ الأمر أن أصبح القرآن الكريم وسيلة بيد الحكومات الجائرة وعلماء الدين الخبثاء ـ الذين كانوا أسوأ من الطواغيت ـ من أجل إقامة الجور ونشر الفساد وتوجيه عمل الظالمين والمعاندين»[2].**

---

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ رضوان الله عليه.

(٢) الوصيّة السياسيّة الإلٰهيّة للإمام الخمينيّ رضوان الله عليه.

إنّ قروناً عديدة قد مرّت على انفصال إمامة إمام الحقّ والعدل عن كيان الإسلام، بيدَ أنّ الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة أفاضت بركاتها على المسلمين الواعين في العالم فأدركوا جيّداً أنّ هذا الانفصال هو سبب جميع المفاسد الاجتماعيّة، وهو الباعث على انحطاطهم.

والأمر البالغ الأهمّيّة في هذه المرحلة الحسّاسة من تاريخ الإسلام هو تقصّي جذور هذا الانفصال والانفصام، أي أن ندرك كيف انفصل مبدأ الإمامة عن الإسلام؟ ومن هم الذين فصلوا الدين عن السياسة، والقرآن عن العترة، والإسلام عن الإمامة؟

## كيفية فصل الدين عن السياسة

ينبغي أن نتلمّس جواب ذلك في كتابات القرون الإسلاميّة الأُولى، وفي تضاعيف كتب التاريخ والحديث والتفسير المدوّنة آنذاك. وتدلّنا دراسة دقيقة لهذه الكتب على أنّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، وانتهى بتدميره وهجر القرآن والعترة. وقام الساسة المحترفون المتسلّطون على العالم الإسلاميّ يومئذٍ باجتثاث جذر الإسلام الأصيل بمعولٍ يسمّى «الإسلام» وأبادوا أنصاره الحقيقيّين. وفي هذا المجال قدّم المتولّون الرسميّون للشؤون الدينيّة ووعّاظ السلاطين أكبر خدمة للطواغيت المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة. وليس هناك أفضل من أُولئك الجهلة «المتنسّكين» الذين باعوا دينهم بدنياهم مَن يستطيع أن يُقنع الناس بأنّ السياسة مفصولة عن الإسلام، وأنّ عليهم ـ بحكم القرآن وأمر النبيّ ﷺ ـ أن يطيعوا كلّ مجرمٍ يمسك زمام المجتمع الإسلاميّ بأيّ شكلٍ كان.

كتب الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام رسالة إلى أحد وعّاظ السلاطين في عصره، وهو محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، قال له فيها:

**«فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلّا دون ما بلغتَ من إصلاح**

**فسادهم واختلاف الخاصّة والعامّة إليهم، فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك»**[١].

وهنا أدعو جميع القرّاء الكرام من أيّ مذهب كانوا أن يَدَعوا العناد والتعصّب جانباً ويدرسوا هذه الأُمور بنظرة علميّة فاحصة، فهل يحصلون على نتيجة غير التي ذكرناها؟ وأدعوهم أن يحكموا بإنصاف وينظروا هل كان لفصل الدين عن السياسة جذر سياسيّ أم جذر دينيّ؟ وماذا فعل الساسة المتسلّطون على البلاد الإسلاميّة باسم الدين؟ ألم يتركوا المسلمين سادرين في غفلتهم إلى الآن؟ ألم يحولوا دون تحكيم الإسلام الأصيل على المجتمعات الإسلاميّة؟ وهل هناك طريق لإحياء القِيَم الإسلاميّة في كافّة الأبعاد المادّيّة والمعنويّة إلّا إعادة السياسة إلى الدين، والإقرار بقيادة رجل عادل عارف بالإسلام، وتشكيل حكومة صالحة؟

وإذا أردنا أن ندرس ـ كباحثين ـ «صحيح مسلم»[٢]، وهو أحد كتب الحديث المهمّة عند أهل السنّة، فإنّنا نصل في الجزء الثالث منه إلى «كتاب الإمارة». ويدور هذا الكتاب حول موضوع بحثنا «القيادة من منظار الإسلام». وتمثّل عناوين كلّ باب في هذا الكتاب استنباطات المؤلّف من الأحاديث المطروحة في ذلك الباب.

على سبيل المثال، نقل في «باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم» ثلاثة أحاديث منسوبة إلى النبيّ ﷺ، نقرأ فيها:

**«إنّكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض»**[٣].

وإذا تأمّلنا هذا الحديث قليلاً وقايسناه بحديث الثقلين المتواتر ـ الذي يرى أنّ قيادة إمام الحقّ والعدل لا تقبل الانفصال عن القرآن والإسلام حتّى يوم القيامة ـ

---

(١) تحف العقول: ٢٧٦، بحار الأنوار: ٧٨ / ١٣٢ / ٢.

(٢) تأليف محمّد بن مسلم النيسابوريّ المتوفّى سنة ٢٦١ هـ.

(٣) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٤ / ١٨٤٥، مسند ابن حنبل: ٧ / ٤٤ / ١٩١١٤ و ١٩١١٦.

أمكننا أن نستنتج بيُسرٍ كيف وضع هذا الحديث بأُسلوبٍ ماكرٍ ليلزم المسلمين بالسكوت والصبر على ظلم حكّامهم.

وجاء في «باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق» من هذا الكتاب أيضاً:

**«إنّ سلمة بن يزيد سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله، أرأيتَ إن قامت علينا أُمراء يسألونا حقّهم ويمنعونا حقّنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه! ثمّ سأله، فأعرض عنه! ثمّ سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم!»**[1].

وقال في حديث بعده:

**فجذبه الأشعث، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم»!**

نلاحظ أنّ هذا الحديث الموضوع يحاول أن يُملي على الناس مطلبين:

١ ـ أنّ الجواب عن المسائل السياسيّة ليس من شأن النبيّ ﷺ! فلا يُسأل إلّا المسائل الشرعيّة كالصلاة والصيام وأمثالها. من هنا نجد أنّ السائل حين يكرّر سؤاله يُعرض عنه رسول الله ﷺ، معبّراً عن كرهه لطرح مثل هذه المسائل.

٢ ـ أنّ النبيّ ﷺ نصّ أو أيّد حرمة النهي عن المنكر ومكافحة الفساد والظلم الذي كان يمارسه الحكّام! ويريد أن يقول ـ في الحقيقة ـ: إنّ شأن نزول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالم والفاسد هو لغير الطبقة الحاكمة على المجتمع! من هنا فإنّ سحق الأُمراء حقوق الناس لا ينبغي أن يُفضي إلى معارضتهم، بل عليهم أن يطيعوا هؤلاء المفسدين ويسمعوا كلامهم، لأنّ ذلك الحديث الموضوع جعل الحكّام مسؤولين عن أعمالهم، والناس مسؤولين عن أعمالهم أيضاً!! وهنا يستبين لنا مصدر

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٤ / ١٨٤٦.

الأمثال التي تنزع هذا المنزع، كقولهم: «كلّ شاةٍ برجلها ستناط».

وورد أيضاً في كتاب الإمارة «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج عن الطاعة...» ما مضمونه:

روي عن حذيفة أنّه قال:

**«قلتُ للنبيّ ﷺ: إنّا كنّا بشرٍّ، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟**

**قال: نعم.**

**قلتُ: هل وراء ذلك الشرّ خير؟**

**قال: نعم.**

**قلتُ: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟**

**قال: نعم.**

**قلتُ: كيف؟**

**قال: يكون بعدي أئمّة لايهتدون بهُداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.**

**قلتُ: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟**

**قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضُرِبَ ظهرُك وأُخِذَ مالُك فاسمعْ وأطِعْ!»**[1].

وروى عوف بن مالك في الباب السابع عشر من هذا الكتاب أنّ رسول الله ﷺ قال:

**«خيار أئمّتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم.**

**وشرار أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم!**

**قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال:**

**«لا. ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا**

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٦ / ١٨٤٧.

**عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة!!»**[١].

إنّ هذا الحديث الذي وضع في عصر حكومة الأئمّة الظالمين بدهاء خاصّ ـ نظراً إلى الحقائق السائدة في البلاد الإسلاميّة يومئذٍ ـ يرفض بشدّة منطق الكفاح المسلّح ضدّ الحكّام المفسدين، ثمّ يؤكّد أنّ الصلاة وحدها تكفي لحكّام المجتمع الإسلاميّ. وبعد ذلك يضع قانوناً عامّاً للناس يعلّمهم كيف يتعاملون مع الحكّام الظالمين. وفي ضوء القانون المذكور لا يحقّ للمسلمين أن يناهضوا الحكّام المفسدين مهما كانت ظروفهم، بل عليهم أن يعرضوا عن أعمالهم المشينة فحسب! وهكذا يحرم الناس من حقّ التدخّل في الشؤون السياسيّة، وينفصل الدين عن السياسة.

ونقرأ في حديث آخر روته عائشة عن النبيّ الأكرمﷺ:

**«لا تكفّروا أحداً من أهل قبلتكم بذنبٍ وإن عملوا بالكبائر، وصلّوا مع كلّ إمام وجاهدوا مع كلّ أمير»**[٢].

ومفهوم هذا الحديث هو أنّه ما من ذنبٍ يتنافى مع الإسلام، وأنّ الإنسان يمكن أن يكون مسلماً ويرتكب ضروب الفساد والدنس. وعلى المسلمين أن يصلّوا خلف كلّ إمام ولو كان من أكبر مجرمي التاريخ، وعليهم أن يجاهدوا عدوّ كلّ حاكم حتّى لو كان هذا الحاكم مخالفاً للإسلام!!

نقل عبدالله بن عمر عن النبيّﷺ أنّه قال:

**«سيليكم أُمراء يفسدون، وما يصلح الله بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر»**[٣].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٨١ / ١٨٥٥؛ مسند ابن حنبل: ٩ / ٢٥٦ / ٢٤٠٣٦.

(٢) المعجم الأوسط: ٣ / ١٧٥ / ٢٨٤٤، مجمع الزوائد: ١ / ٢٩٨ / ٤٠٦، كنزالعمّال: ١ / ٢١٥ / ١٠٧٨.

(٣) مسندابن حنبل: ٤٢٨/١. ونسب مثل هذا الحديث في تحف العقول: ٤١١ إلى الإمام موسى بن جعفرعليه السلام وفيه:

يريد هذا الحديث من الناس أن يساوموا الحكّام المفسدين من خلال مغالطتين، الأُولى: أنّ صلاحهم أكثر من فسادهم. والثانية: أنّهم سيلاقون جزاء آثامهم، ولا علاقة لذنوبهم بالناس. ومآل هذا أن ينفصل الدين عن السياسة، وما على المسلمين إلّا الصبر والسكوت أمام ظلم الحكّام المفسدين!

ويبدو أنّ هذه الأحاديث الموضوعة كلّها وأمثالها[1] تمهيد لوضع الحديثين الآتين اللذَين نسبوهما إلى صحابيّين كبيرين معروفين:

١ـ قال عبدالله بن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**«من فارق الجماعة فاقتلوه»**[2].

٢ـ قال أبو ذرّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**«من قاتل على الخلافة فاقتلوه، كائناً من كان»**[3].

وهكذا يستبين أنّ كلّ من لا يصغي إلى هذه الأحاديث المموّهة بالنصح وينهض لمعارضة الحكّام الجائرين المفسدين فما جزاؤه إلّا الإبادة والإعدام!

وكانت هذه الأحاديث ـ التي نقلت مشافهة كأحاديث نبويّة ـ أفضل وسيلة دعائيّة لبقاء الحكومات الجائرة واستمرارها، ولم يتّسم جمهور الأُمّة يومئذٍ بوعي دينيّ وسياسيّ كافٍ، كما لم يصدّقوا أنّ صحابيّاً يفتري على النبيّ ﷺ، أو أنّ الشخص الذي نسب هذه الأحاديث إلى الصحابي يكذب عليه. وفعلت تلك الدعايات المسمومة فعلتها فلم يجرؤ أحد على معارضة الحكّام الفاسدين، كما لا يجرؤ اليوم

---

↔ «إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً كان عليه الوزر وعليك الصبر».

(١) انظر مسند ابن حنبل: ٦ / ٢٧٥ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و ٣٢١ و ٣٨٤ و ٣٨٧، وصحيح البخاريّ: ٥ / ١١٣ و ٢٨١، وسنن الدارميّ: ٢ / ٤١، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٢ و....

(٢) تاريخ بغداد: ٧ / ١٣١، كنزالعمّال: ١ / ٢٠٨ / ١٠٤٤.

(٣) كنزالعمّال: ١ / ٢٠٩ / ١٠٤٦.

أحد على ذلك أيضاً.

## الأحاديث الموضوعة والحكومات الفاسدة

تحدّث الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عن أصل الأحاديث الموضوعة والأخبار المختلقة المتضاربة التي نُقلت عن النبيّ صلى الله عليه وآله بشأن الأحكام الإلهيّة والمسائل الإسلاميّة، وحلّلها تحليلاً شاملاً، وبيّن بصراحة تامّة دورها في توطيد دعائم الحكومات الفاسدة واستمرارها.

سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر. فقال عليه السلام:

**«إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومُحكماً ومُتشابهاً، وحفظاً ووهماً[1].**

**ولقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتّى قام خطيباً، فقال: مَنْ كَذَبَ عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار».**

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه ـ فيصف الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين وينسبون إليه ما لم ينطق به ـ قائلاً:

**... رجلٌ منافقٌ مُظهرٌ للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّداً. فلو عَلِمَ الناسُ أنّه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه ولَقِفَ عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم**

---

(١) الناسخ هو الحديث الذي يلغي حكم حديث آخر وينسخه. والخاصّ هو الحديث الذي يحدّد حكم العامّ. والمحكم هو الحديث الواضح مفاده، والمتشابه هو الذي يكتنفه الغموض. والحفظ هو الذي حفظه الراوي بصورةٍ صحيحة، والوهم هو الذي حفظه بصورةٍ غالطة.

**به لك[١]، ثمّ بقوا بعده ـ عليه وآله السلام ـ فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا، إلّا من عصم الله»[٢].**

إنّ النقطة اللافتة للنظر هنا هي أنّنا نلاحظ بعد وفاة الرواة المنافقين الذين كانوا قد أدركوا رسول الله ﷺ أنّ أحاديثهم الموضوعة لمّا كانت لا تلبّي حاجة الحكّام الجائرين، فقد أُضيف إليها نوعان آخران من الأحاديث المختلقة:

١ ـ أحاديث مكذوبة اختلقها الوضّاعون على لسان بعض الصحابة المؤمنين المجاهدين، مثل أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يكافح الأحاديث الموضوعة ويناهضها!

٢ ـ أحاديث مفتراة نُسبت إلى صحابة وهميّين مختلَقين لا وجود لهم أساساً![٣].

وليس هنا موضع الحديث عن هذا الأمر المؤلم الممضّ، بيدَ أنّ الأمضّ هو أنّ كثيراً من الفقهاء في العالم الإسلاميّ قد استندوا في فتواهم إلى الأحاديث المذكورة الواهية، وما يزالون يُفتون، ويجرّون المسلمين وراءهم إلى جحيم الضلال.

فأفتى الشافعيّ ومالك وأحمد بن حنبل بوجوب الصبر على جور الحاكم وحرمة الخروج عليه[٤].

قال أحمد بن حنبل:

**«لا يخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا»[٥].**

---

(١) بيّن القرآن الكريم في آيات كثيرة مواصفات المنافقين المتظاهرين بالإسلام، وحذّر من خطرهم على الدين. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وممّن حولَكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدوا على النفاق لا تَعلَمُهُم نحن نعلمُهُم سَنُعذِّبُهم مرّتين ثمّ يُرَدُّون إلى عذابٍ عظيم﴾، التوبة: ١٠١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠.

(٣) عُرف منهم لحدّ الآن مائة وخمسون صحابياً. انظر كتاب «خمسون ومائة صحابيّ مختلق» للعلّامة السيّد مرتضى العسكريّ.

(٤) المذاهب الإسلاميّة: ٩٠.

(٥) المذاهب الإسلاميّة: ٩٠، المناقب لابن الجوزي: ١٤٠٢ / ٢ / ١٧٦ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

وجاء في شرح الموطّأ بأنّ رأي مالك وجمهور أهل السنّة هو:

**«إذا ظلم الإمام فالطاعة أولى من الخروج»**[1].

وأخيراً قال المحدّث السنّيّ المعروف الحافظ محيي الدين النوويّ الشافعي (المتوفّى ٦٧٦ هـ) في شرح صحيح مسلم:

**«قال جماهير أهل السنّة من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يُخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه»**[2].

وكان أحد الأنصار المتحمّسين لهذا المنحى الخطر ـ الذي يُعدّ أهمّ عوامل انحطاط المسلمين وتأخّرهم ـ هو الحسن البصريّ.

والحسن هذا كان شابّاً يافعاً في أيّام حكومة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. ولمّا افتتح الإمام عليه السلام البصرة بعد حرب الجمل اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصريّ ومعه الألواح. فكان كلّما لفظ أميرالمؤمنين عليه السلام كلمة كتبها، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟

قال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم.

وكان الإمام عليه السلام بما أُوتي من بصيرة إلهيّة يعرفه جيّداً ويخبر مستقبله، فالتفت إلى الحاضرين، قال كلمته التاريخيّة بشأنه:

**«أما إنّ لكلّ قوم سامريّاً[3]، وهذا سامريُّ هذه الأمّة، أمّا أنّه لا يقول: «لا**

---

(١) المذاهب الإسلاميّة: ٨٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النوويّ للإمام النوويّ: ١٢ / ٤٧٠. انظر الغدير: ٧ / ١٣٦ ـ ١٥٢.

(٣) دعا السامريّ أتباع موسى عليه السلام إلى عبادة العجل، فصار سبباً في ضلالهم، ونقل القرآن الكريم قصّته في سورة طه: ٩٥ ـ ٩٨. وجاء في الروايات أنّه ابتلي بمرض بعد عمله هذا، حتّى أنّ الناس كانوا يفزعون منه. وكان يفرّ من كلّ من يقترب منه ويصيح: «لا مساس» أي لا تقتربوا منّي ولا تمسّوني.

**مساس» ولكن يقول: «لا قتال»!**[١].

وقد تحقّق ما نطق به الإمام عليه السلام، فأفتى هذا المحدّث الشهير بوجوب طاعة الملوك الأمويّين، وقال في توجيه فتواه:

**«لا يستقيم الدين إلاّ بهم وإن جاروا وإن ظلموا، والله لَما يصلح الله بهم أكثر ممّا يفسدون»**[٢].

وكانت هذه الفتوى خدمة عظيمة قدّمها الحسن البصريّ للحكّام الأمويّين الفاسدين الجائرين.

**وللحسن البصري موقف ينبغي أن نلقي عليه قليلاً من الضوء لِخطورة دلالته. فقد قال الشيخ علي محفوظ: لولا لسان «الحسن» و سيف «الحجاج» لوئدت الدولة المروانية في مهدها...**

**ألم ترَ إلى الحسن وقد جلستْ بين يديه صفوف من الناس يصغون إليه وهو يخرج بهم في أساليب الكلام من باب إلى باب ثمّ يقول لهم فيما يحدّثهم به: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تسبّوا الولاة فإنّهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر، وإنّما هم نقمة ينتقم الله بهم ممّن يشاء فلا تستقبلوا نقمة الله بالحميّة والغضب، واستقبلوها بالاستكانة والتضرّع».**

**وفي أزمة مالية اشتدّ كرب الناس لها و ذهبوا يستفتونه في حلّها، فقال لهم: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الناس: يا رسول الله ألا تسعر لنا؟ فقال: إنّ الله هو المسعر، إنّ الله هو القابض، إنّ الله هو الباسط، وإنّي والله ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه**[٣].

---

(١) الاحتجاج: ١ / ٤٠٤ / ٨٧، بحار الأنوار: ٤٢ / ١٤١ / ٢، سفينة البحار: ٢ / ٢١٠، تفسير نمونه (الأمثل في كتاب الله المنزل): ١٣ / ٢٨٦.

(٢) المذاهب الإسلاميّة: ٨٩.

(٣) مع الله لمحمّد الغزاليّ: ١٧١.

هذا بيان لمؤامرة خطرة فصلت العترة عن القرآن، والسياسة عن الدين، والإمامة التي هي أُسّ الإسلام النامي عن الإسلام، وبقطع هذا الجذر يبست شجرة التوحيد الطيّبة، وتوقّفت عن النمو، وأصبحت أغصانها الذّاوية حطباً للحكّام الأُمويّين والعبّاسيّين الجائرين الفاسدين، ولكلّ الظالمين الذين حكموا المسلمين ويحكمونهم، ليحرقوا بيت الإيمان وينهبوا أمانة الإمامة! وظلّ القرآن مهجوراً، وأصبح أداة لتسويغ جور الظالمين وفسادهم. من هنا أعلن الإمام الراحل﷫ صرخته فقال:

**بلغ الأمر أنّ القرآن الكريم أصبح وسيلةً بيد الحكومات الجائرة وعلماء الدين الخبثاء الذين كانوا أسوأ من الطواغيت، من أجل إقامة الجور ونشر الفساد وتوجيه عمل الظالمين والمعاندين. ومن المؤسف أنّ الأعداء المتآمرين والأصدقاء الجاهلين أرادوا له أن يُتلىٰ في المقابر ومجالس الموتى فحسب. وهو الذي قُدِّر له أن يكون وسيلةً لِلَمّ شمل المسلمين والبشريّة، ومنهاجاً لحياتهم، بيدَ أنّه صار وسيلة للتفرقة والخلاف، أو أنّه أُقصي عن ميدان الحياة تماماً، بحيث رأينا أنّه إذا تحدّث أحد عن الحكومة الإسلاميّة وتكلّم في السياسة التي تمثّل الدور الكبير للإسلام والرسول الأعظمﷺ ويزخر بها القرآن والسنّة فكأنّه قد ارتكب أكبر معصية. وكانت وما زالت كلمة «عالم الدين السياسيّ» مساوية لكلمة «عالم الدين الذي لا دين له»**[1].

---

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه.

# الخلاصة

▣ تُعدّ فاجعة فصل الإمامة عن الإسلام أمرّ الحوادث وأخطرها في التاريخ الإسلاميّ، فقد مزّقت هذه الكارثة أوصال المجتمع الإسلاميّ، وأفرغت الإسلام من محتواه، ودمّرت المسلمين حتّى أنّهم ما زالوا عاجزين عن النهوض بعد مضيّ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

▣ إنّ أهمّ مسألة نطالعها في الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ طاب ثراه هي تقصّي الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، ومسألة فصل الإمامة عن الإسلام. وكأنّها تكرار للوصيّة النبويّة التاريخيّة التي أكّدت اقتران الإمامة والقيادة بالقرآن والإسلام وعدم افتراقهما أبداً.

▣ يتلازم القرآن والعترة، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة تلازماً وثيقاً بحيث يتعذّر انفصالهما. ومتىٰ انفصل القرآن عن العترة فقد تجرّد عن مفهومه الحقيقيّ. ومتى انفصل الإسلام عن الإمامة فكأنّه انفصل عن نفسه، والدين بلا سياسة كالدين بلا دين.

▣ إنّ أخطر مؤامرة في التاريخ الإسلاميّ استهدفت الإسلام والمسلمين ـ بل استهدفت البشريّة كلّها ـ هي مؤامرة فصل القيادة الربّانيّة عن الإسلام والقرآن.

وبفعل هذه المؤامرة أُفرغ الإسلام من محتواه وأُصيب هذا النظام الإلهيّ الذي يمثّل منهاجاً لتكامل الإنسان بالعُقم.

▣ تدلّ دراسة دقيقة لكتب الحديث التي دُوّنت في القرون الإسلاميّة الأُولى على أنّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، وقام الساسة المحترفون باجتثاث

جذر الإسلام الحقيقيّ بمعولٍ اسمه «الإسلام». يؤازرهم على ذلك وعّاظ السلاطين الذين كانوا أكبر خَدَمهم في هذا المجال.

▣ إنّ الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر والسكوت حيال ظلم الحكّام الفاسدين المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة، وتوجب طاعتهم حتّى إذا اعتدوا على حقوق الناس، وتحرّم الخروج عليهم بالسيف، وتفتي بقتل الخارجين عليهم، كلّها من وضع وعّاظ السلاطين، وتصبّ في مجرى فصل الدين عن السياسة، والقيادة عن الإسلام، والقرآن عن العترة.

▣ تحدّث الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مفصّلاً ـ في الخطبة ٢١٠ من نهج البلاغة ـ عن دور الأحاديث الموضوعة في توطيد حكومة الجائرين الفاسدين المتسلّطين على العالم الإسلاميّ.

▣ تأسيساً علىٰ الأحاديث التي أُشير إليها أفتى كثير من علماء العالم الإسلاميّ بأنّ الحاكم لا يُعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، وإنّما يُكتفىٰ بوعظه وتخويفه.

وكانت هذه الفتوى تساير مؤامرة فصل الدين عن السياسة. وهي أكبر خدمة للحكّام الجائرين.

# الفصل الثاني

# تحريف القيادة

لا يقلّ خطر تحريف القيادة على الثورة الإسلاميّة عن خطر فصلها. وهو خطر يهدّد المجتمع الشيعيّ.

ولم تنفصل الإمامة عن الإسلام في هذا المجتمع، بيدَ أنّها لم تسلم من التحريف أيضاً. ويعدّ هذا الموضوع من العقبات الكؤودة في طريق إقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

## أقسام التحريف

تُمنى القيادة في الإسلام بالتحريف عبر طريقين، الأوّل: التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة. الثاني: انضمام عقائد خاطئة تجعل الاعتقاد بالإمامة عقيماً. ونسمّي الطريق الأوّل بالتحريف المباشر والجليّ، ونسمّي الثاني بالتحريف غير المباشر والخفيّ.

### أ ـ التحريف الجليّ

ويعني تفسير الاعتقاد بالإمامة على خلاف مفهومها ومحتواها الحقيقيّ، بحيث

يتعذّر بيان فلسفة الإمامة.

وقد مرّ بنا سابقاً أنّ أهمّ نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة وأوضحها هي إقامة الحكومة الإلهيّة ووحدة القيادة السياسيّة والدينيّة. فإذا فسّرت هذه العقيدة بنحوٍ لا يفضي إلى مثل هذه الوحدة فقد مُنيت بالتحريف لا محالة.

مثلاً، إذا أُهمل موضوع اتّباع الإمام في تفسير الإمامة وفسّرت هذه العقيدة بمعرفة الإمام أو إظهار حبّه فلا شكّ أنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة. إذ لا مراء في أنّ معرفة الإمام وحبّه ممهّدان لاتّباعه، ومن ثَمّ تشكيل الحكومة الإسلاميّة بقيادته. فإذا أُلغيت تلك المقدّمة فإنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة بكلّ وضوح.

وترشد دراسة تاريخ أهل البيت صلوات الله عليهم إلى أنّ هذا التحريف كان شائعاً بين عدد من أدعياء التشيّع. وكان الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم يناهضون هذا التحريف بشدّة.

وتدلّ الروايات الواردة في بيان صفات الشيعة ونفي تشيّع الأدعياء الكاذبين على ما نقول بجلاء. ونشير فيما يأتي إلى نماذج منها:

١ـ روى الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام أنّه خاطب جماعة من أصحابه، معبّراً عن حبّه لهم ومؤكّداً أنّ شرط الولاية هو الاتّباع العمليّ للإمام، وأنّ الذين يدّعون الاعتقاد بالإمامة لا يصدقون في دعواهم إلّا إذا حازوا على الشرط المذكور، قال عليه السلام:

**«اعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد، من ائتمّ منكم بقومٍ فليعمل بعملهم»**[1].

٢ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في الذين يزعمون الاعتقاد بأصل الإمامة كذباً، وفي

(١) صفات الشيعة: ٥١ / ٨، بحار الأنوار: ٦٨ / ٦٥ / ١١٨.

صفات الأتباع الصادقين:

**«ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفَنا في أعمالنا و آثارنا، ولكن شيعتنا من وافقَنا بلسانه وقلبه واتّبَعَ آثارنا وعمل بأعمالنا، أُولئك من شيعتنا»**(١).

٣ـ يرى الإمام زين العابدينعليه السلام أنّ الذين يزعمون الاعتقاد بالإمامة كذباً هم من أبغض الناس إلى الله تعالى. ويصفهم قائلاً:

**«إنّ أبغض النّاس إلى الله عزّ وجلّ من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله»**(٢).

٤ـ قال الإمام الصادقعليه السلام في جماعةٍ من محرّفي أصل الإمامة وكانوا معاصرين له ويزعمون أنّه إمامهم:

**«قوم يزعمون أنّي إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله، كلّما سترتُ ستراً هتكوه، أقول: كذا وكذا، فيقولون: إنّما يعني كذا وكذا، إنّما أنا إمامُ من أطاعني»**(٣).

٥ـ خاطب الإمام الرضاعليه السلام جماعة من أدعياء التشيّع وأتباع أميرالمؤمنينعليه السلام قائلاً:

**«ويْحَكُم! إنّما شيعته: الحسن والحسينعليهما السلام وسلمان وأبوذرّ والمقداد وعمّار ومحمّد بن أبي بكر، الّذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجره.**

**فأمّا أنتم إذا قلتم إنّكم شيعته، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون مقصّرون في كثير من الفرائض، متهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتّقون حيث لا يجب التقيّة، وتتركون التقيّة حيث لابدّ من التقيّة. فلو قلتم إنّكم مُوالُوه ومُحبّوه**

---

(١) مستطرفات السرائر: ١٤٧ / ٢١، وسائل الشيعة: ١١ / ١٩٦ / ١٩، بحار الأنوار: ٦٨ / ١٦٤ / ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧١ / ١٧٨ / ٢٥.

(٣) غَيبة النعمانيّ: ٣٧ / ٨، بحار الأنوار: ٢ / ٨٠ / ٧٦، مستدرك الوسائل: ١٢ / ٢٩٣ / ١٤١٢١.

**والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه، لم أُنكره من قولكم ...!»[1].**

٦ـ يرى الإمام الباقرعليه السلام أنّ الذين يدّعون الاعتقاد بالإمامة ثلاثة، قالعليه السلام:

**«الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيّنون بنا، وصنف يستأكلون بنا، وصنف منّا وإلينا، يأمنون بأمننا ويخافون بخوفنا...»[2].**

إذا تأمّلنا هذه الأحاديث وأمثالها فستستبين لنا عدد من النقاط العقيديّة والتاريخيّة البالغة الأهمّيّة:

١ـ لا يعني الاعتقاد بالولاية والإمامة معرفة الإمام ذهنيّاً أو مودّته قلبيّاً فحسب، حتّى يتسنّى لنا أن نقول: إنّ كلّ من تحدّث أو كتب عن الإمامة والولاية أكثر وأفضل أو كلّ من أظهر للإمام حبّاً أكثر ورفع شعاراً يناصر ولايته. فولايته أكثر واعتقاده بالإمام أرسخ، بل يتطلّب هذا الاعتقاد مسؤوليّة كبيرة ثقيلة تتضمّن فيهاجميع المسؤوليّات الإسلاميّة والإنسانيّة! وهذه تتلخّص في اتّباع القيادة الربّانيّة عمليّاً، ومراعاة التقوىٰ في الحياة، والعمل لتحقيق القِيَم الإلهيّة في المجتمع، والسعي لإقامة الحكومة الإسلاميّة.

٢ـ الاعتقاد بالإمامة لم يسلم من التحريف الجليّ حتّى في عصر الأئمّة المعصومينعليهم السلام بحيث إنّهمعليهم السلام كانوا يشعرون بخطر هذه الكارثة.

٣ـ لقد بذل الأئمّة المعصومونعليهم السلام قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الذي طرأ على هذا الاعتقاد، من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، ونبذ أدعياء التشيّع وإدانتهم.

## ب ـ التحريف الخفيّ

يتمّ في هذا الضرب من التحريف تفسير أصل الإمامة بمعناه الحقيقيّ ولكن يُشابُ

(١) بحار الأنوار: ٦٨ / ١٥٨، الاحتجاج: ٢ / ٤٥٩ / ٣١٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ٦٣، المحجّة البيضاء: ٤ / ٣٥٦.

بعقائد غير صحيحية ممّا يُفضي إلى تجريد الإنسان المعتقد من مسؤوليّة العمل والتمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل، بصورة غير مباشرة.

إنّ من يحرّف القيادة بنحوٍ غير مباشر لا يحذف موضوع اتّباع الإمام وإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل من تفسير أصل الإمامة، بل يقول: الإمام العادل غائب الآن، ومتى ظهر أقام الحكومة الإلهيّة.

وإن سُئل: ماذا نفعل الآن؟ ألايجب على المسلمين في عصر الغيبة تطبيق قوانين القرآن والتمهيد للحكومة الإسلاميّة العالميّة؟

وهل ينبغي أن تظلّ المجتمعات الإسلاميّة تحت نير القادة الجائرين؟!

يجيب قائلاً: إنّنا لا نهتدي إلى عمل، وليس لنا في عصر الغيبة إلّا التقيّة والانتظار والدعاء، والتقيّة لا تجيز المقارعة حتّى ظهور إمام العصر والزمان عليه السلام، وعلينا أن ندعو ليظهر، وعلينا أن ننتظر قدومه لكلّ عمل من أعمالنا!!.

تلاحظون كيف يؤثّر تحريف المفاهيم البنّاءة المذكورة على أصل الإمامة ويجعله عقيماً؟ وكيف يسلب المجتمع الإسلاميّ شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة؟!

إنّ هذا اللون من التحريف أعقد من اللون الأوّل وأخطر، وله دور أكبر في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام، إذ أنّه يُفقد أصل الإمامة أثره بصورة غير مباشرة وخفيّة.

### سرّ حكومة أئمّة الجور

إنّ المستكبرين الذين يريدون أن يتسلّطوا على الأُمّة الإسلاميّة بالقوّة والتدليس يتلمّسون طريقاً لتسويغ شرعيّتهم، ولفصل الدين عن السياسة، فهم إمّا ينكرون أصل الإمامة، أو يحرّفون مفهومها أو يفيدون من التحريف الخفيّ وغير المباشر.

وتدلّ دراسة التاريخ الإسلاميّ على أنّ سلاطين الجور اختدموا الطرق الثلاثة

بالتناسب، من أجل توجيه الناس والحؤول دون تحقيق الحكومة الإسلاميّة. فانتهجوا الطريق الأوّل في المجتمعات السنّيّة، والثاني أو الثالث في المجتمعات الشيعيّة، وذلك من أجل تحقيق أهدافهم السياسيّة.

إنّ النقطة اللافتة للنظر هي أنّ التحريف غير المباشر لأصل الإمامة قد استأثر كثيراً باهتمام الساسة الذين يحكمون الأقطار الإسلاميّة في القرن المعاصر، بسبب ما يتّصف به من تعقيد وما يقوم به من دور مضاعف فعّال. وأدّى علماءالدين المزيّفين غير الواعين وعملاءالحكومات دوراً مهمّاً في هذا المجال.

قال مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في هذا الشأن:

**«عندما يئس الاستكبار العالميّ من إبادة العلماء والحوزات الدينيّة اختار أُسلوبين لإنزال ضربته، الأوّل: أُسلوب القوّة والترهيب، والآخر: أُسلوب الخداع والتغلغل.**

**ولمّا فقد الأُسلوب الأوّل بَريقه في عصرنا هذا نشط الأُسلوب الثاني. وإنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق وأهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة.**

**ومن المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمانيّ إلى حدٍّ ما، حتّى خُيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، وأنّ ممارسة النشاط السياسيّ يعني العمالة للأجانب... وكانت وما زالت ضربات العلماء غير الواعين ووعّاظ السلاطين أشدّ من ضربات الأعداء أضعافاً مضاعفة.**

**ونلحظ في مستهلّ نهضتنا الإسلاميّة أنّ أحداً إذا قال: الشاه خائن، أُجيب على الفور: إنّه شيعيّ! وكم عانينا من قَبل! لقد أشاعوا الفكرة القائلة: إنّ الشاه ظِلُّ الله. وقالوا: نحن لا نستطيع أن نقاوم المدافع والدبابات بجسومنا الضعيفة، ونحن غير مكلّفين بالجهاد والنضال. ومن هو المسؤول عن دماء القتلى؟ والأنكى من ذلك كلّه أنّهم رفعوا شعارهم المضلّ القائل: إنّ كلّ حكومة قبل**

**ظهور الإمام المهديّ عليه السلام باطلة. وآلاف التقوّلات والتخرّصات. وكانت مشاكل كبيرة مضنية لا يمكن مواجهتها بالنصح والنضال السلبيّ والإعلام، فالحلّ الوحيد هو الجهاد والإيثار والدم...».**

وعلى الرغم من أنّ هذه الأفكار المنحرفة والخطرة قد فقدت شيئاً من بَريقها هذا اليوم ـ ببركة الثورة الإسلاميّة وجهود قائدها الكبير وإيثار المجاهدين ودمائهم الزكيّة ـ بيدَ أنّها لم تُجْتَثّ تماماً. والأهمّ من ذلك أنّها تُعرض اليوم بقوالب جديدة:

**«من الطبيعيّ أنّ الحوزات العلميّة ما زالت مشوبة بلونين من التفكير، وعلينا أن نكون حذرين من تسرّب فكرة فصل الدين عن السياسة المنبثقة من أدمغة المتحجّرين إلى أذهان طلّابنا الشباب...**

**كان المتظاهرون بالقداسة الأغبياء يقولون بالأمس: الدين منفصل عن السياسة، والنضال ضدّ الشاه حرام. واليوم يقولون: صار مسؤولو النظام شيوعيّين.**

**بالأمس كانوا يقولون: إنّ بيع الخمر والفساد والفحشاء والفسق وحكومة الظالمين أشياء مفيدة وممهّدة لظهور الإمام المهديّ أرواحنا فداه. واليوم إذا رأوا في زاويةٍ مّا خلافاً شرعيّاً لم يُرِده المسؤولون قطّ رفعوا عقيرتهم منادين: وإسلاماه!**

**وكان الحجّتيّون بالأمس يحرّمون النضال، وفي حومة المقارعة بذلوا قصارى جهودهم من أجل إنهاء الإضراب عن نصب مصابيح الزينة في النصف من شعبان لمصلحة الشاه. وأصبحوا اليوم أكثر ثوريّة من الثوريّين أنفسهم.**

**وشوّه المتمسّحون بالولاية سمعة الإسلام والمسلمين بسكوتهم وتحجّرهم بالأمس، لكنّهم قصموا ظهر النبيّ وأهل بيته الأطهار في أعمالهم، ولم يكن عنوان الولاء لهم إلّا التكسّب والارتزاق، وجعلوا أنفسهم اليوم بُناة الولاية**

**ووارثيها، متحسّرين على ولاية عصر الشاه»**[1].

والآن ينبغي أن نتعرّف على الجذر الثقافي لهذه الأفكار المنحرفة التي أفضت إلى تحريف أهمّ الأُصول الاجتماعيّة في الإسلام، ووطّدت دعائم حكومة الملوك الجبابرة على المسلمين وإدامتها.

## جذور التحريف

من المثير للعجب أنّنا ـ بعد قليل من التأمّل ـ نصل في جذور تحريف القيادة إلى حيث وصلنا في جذور فصلها! إذ تتّصل جذور فصل القيادة بالحديث، وتتّصل جذور التحريف به أيضاً!

ويمكننا أن نقسّم الأحاديث التي استغلّت في تحريف القيادة أو هي قابلة للاستغلال نظريّاً إلى أربعة أقسام:

١ ـ الأحاديث التي يدلّ ظاهرها على أنّ كلّ نهضة قبل النهضة العالميّة للإمام المهديّ صلوات الله عليه باطلة، كالحديث الآتي:

روى أبو بصير عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

**«كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله عزّ وجلّ»**[2].

٢ ـ الأحاديث التي أشارت إلى علامة أو علامات ظهور القائم عجّل الله فرجه، وأكّدت أنّ المسلمين لا يسعهم النهوض ضدّ الظالمين قبل بروز هذه العلامات.

نقل سدير عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

**«يا سدير، الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار،**

---

(١) صحيفة النور: ٢١ / ٩١ ـ ٩٣، نداء الإمام الخمينيّ إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩هـ.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٩٥ / ٤٥٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٣ / ٥٨، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٧ / ٦، غَيبة النعمانيّ: ١١٤ / ٩ وفيه «عن الإمام الباقرعليه السلام».

**فإذا بلغك أنّ السّفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»**[١].

٣ـ الأحاديث التي تدلّ على أنّ كلّ ثورةٍ لإقامة الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام لا تُثمر شيئاً، وأنّ الثائرين سيُبادون من قِبل المتجبّرين.

روي عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال:

**«والله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم عليه السلام إلاّ كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه، فأخذه الصبيان فعبثوا به»**[٢].

٤ـ الأحاديث التي ترى أنّ العمل بالتقيّة ضروريّ حتّى خروج القائم أرواحنا فداه.

روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

**«لا دِينَ لمن لا ورعَ له، ولا إيمانَ لمن لا تقيّةَ له. إنّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقيّة». قيل: يابن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى قيام القائم. فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا»**[٣].

يفيد مفهوم هذا الحديث ـ كما يبدو ـ أنّ على المسلمين في عصر غيبة الإمام المهديّ أرواحنا فداه أن يُسالموا كلّ مجرم يُمسك بزمام أُمورهم ولا يعارضوه! أي: يصل الحديث المذكور إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها الأحاديث الموضوعة في فصل الإمامة تماماً! والفرق الوحيد بينهما أنّ تلك الأحاديث تدعو الناس بصراحة إلى مساومة الظالمين دائماً، وهذه الأحاديث توصيهم بمصانعتهم إلى أجلٍ غير مسمّى

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٧٠ / ١٦١، و: ٣٠٣ / ٦٩، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ٣. وانظر أيضاً ١ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٤ و ١٦.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٣ / ٦٨، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١١ / ٤٦٦ / ٢٥، كمال الدين: ٣٧١ / ٥، كفاية الأثر: ٢٧٠، إعلام الورى: ٤٠٨، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٢١ / ٢٩، مشكاة الأنوار: ٤٢، كما في وسائل الشيعة مع قليل من الإضافات.

خلال تذكيرهم بعُقم المواجهة، بيدَ أنّهما يشتركان في شيء واحد، وهو أنّ الناس غير مكلّفين بإقامة الحكومة الإسلاميّة.

إنّ الأحاديث الموضوعة في فصل الإمامة عن الإسلام بادية الوضع إلى درجة تستغني فيها عن كلّ بيان، فالتعرّف وحده على مضمونها ـ لمن له أدنى معرفة بالقرآن وأُصول الإسلام ـ يكفي لإثبات وضعها. أمّا الأحاديث الموضوعة في تحريف أصل الإمامة فهي غير واضحة وضوح التي قبلها، بل يمكن أن نقول جازمين: بعضها غير موضوع.

إنّ دراسة مفصّلة لهذه الأحاديث من حيث صحّتها وخطئها، وكذلك توضيح هدفها الحقيقيّ بالنظر إلى النصوص الإسلاميّة، يتطلّبان مجالاً آخر.

لكنّنا نستطيع أن نجيب المحرّفين بنحوٍ مجمل مع التوجّه إلى النقاط الآتية:

١ ـ أنّ أكثر الأحاديث القابلة للاستغلال من أجل التحريف مقدوحة السند، وصدورها عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام غير ثابت[1].

٢ ـ عندما نضع كثيراً من هذه الأحاديث ـ بل جميعها ـ إلى جانب أحاديث أُخرى تدور حول الثورات التي تسبق ظهور الإمام المهديّ عليه السلام ضدّ الحكومات الجائرة يتبيّن لنا أنّ الهدف ليس تخطئة كافّة الثورات قبل ظهوره، بل تخطئة الثورات التي تنطلق من الهوى فحسب، ككثير من الثورات التي حدثت في عصر الأئمّة عليهم السلام وأُخفقت.

على سبيل المثال، لو وضعنا الحديث الذي ينصّ على أنّ «كلّ راية تُرفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت» إلى جانب الأحاديث التي تدعم خروج زيد[2] لعرفنا أنّ المقصود هو نفس ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث مشابه. قال عليه السلام:

---

(١) انظر دراسات في ولاية الفقيه: ١ / ٢٠٥، ٢٥٦.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ١١ / ٣٥ / ١.

**«إنّه ليس من أحدٍ يدعو الى أن يخرج الدجّال إلاّ سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلالةٍ فصاحبها طاغوت»**(١).

يلاحظ في هذا الحديث أنّ راية الطاغوت وضعت بأنّهاراية ضلالة وهذه القرينة يمكن أن تستخدم في تفسير الحديث السابق أيضاً. وهكذا يتّضح لنا أنّ القصد ليس إلّا تحذير الناس من الثورات التي تنطلق من حبّ الجاه والسلطة.

٣ـ هَبْ أنّ جميع الأحاديثالواردة في عُقم الخروج لإقامة الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام القائمعليه السلام وإدانته صحيحة السند لا إشكال فيها من حيث الدلالة على هذا الموضوع، بيدَ أنّها لا يمكن أن تكون معياراً للعمل في مسألة إقامة الحكومة الربّانيّة وهداية الأُمّة الإسلاميّة وقيادتها، بسبب تعارض مفهومها ومدلولها مع الحكم البديهيّ القاطع للعقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء والأئمّةعليهم السلام، وأيضاً مع الأحاديث التي أيّدت بعض الثورات، وينبغي أن نقول: إنّها صدرت من وحي التقيّة ومراعاة أُصول العمل السرّيّ.

## مقارعة الظلم واجب عقليّ

إنّ قُبح الظلم وحُسن العدل من البديهيّات العقليّة التي يرضاها كلّ عقل سليم. وفي ضوء ذلك تصبح مقارعة الظلم والتمهيد لتطبيق العدل في المجتمع من واجبات العقل البديهيّة الثابتة. من هنا لا يمكن النصح بالصبر على الظلم ومساومة الظالمين بأيّ دليلٍ كان.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في سقم الأحاديث التي توحي بشيء يخالف العقل:

**«إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنّه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنّي تنكره قلوبكم وتنفر**

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٩٧ / ٤٥٦.

**منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنّه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه»**[1].

وقال في حديث آخر:

**«ما ورد عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول والى العالِم من آل محمّد»**[2].

ليس في هذين الحديثين إلّا الإرشاد إلى حكم العقل البديهيّ القاطع. بعبارة أُخرى: حتّى لو لم تكن عندنا هذه الأحاديث فإنّ العقل السليم يحكم برفض الأحاديث السقيمة ويوصي بعدم اتّخاذها ملاكاً للعمل.

إنّ النقطة اللافتة للنظر هي أنّ الحديث الأوّل يؤكّد أنّ الموضوعات التي يدرك العقل بطلانها بجلاء لا يمكن أن تكون من الكلام النبويّ في شيء، بيدَ أنّ الحديث الثاني ـ مع تحريمه العمل بمثل هذه الأحاديث ـ يوضّح أنّ السامع يمكن أن لا يدرك القصد الحقيقيّ للحديث في بعض الحالات، فيخاله سقيماً. من هنا، لا يتسنّى لنا أن نقول: كلّ حديث يحسبه الإنسان مخالفاً للعقل مرفوض، بل ينبغي الرجوع إلى أهله لفهم المقصود الحقيقيّ منه.

### التعارض مع القرآن الكريم

ما من دينٍ اهتمّ بمقارعة الظلم والظالمين ونادى بالعدالة الاجتماعيّة كالإسلام، ويرى القرآن الكريم أنّ أحد الأهداف المهمّة لرسالة الأنبياء عليهم السلام هو تطبيق العدالة

---

(١) مسند ابن حنبل: ٢٣٦٦٧/١٥٤/٩، و: ١٦٠٥٨/٤٣٤/٥، تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٣، كنز العمّال: ٩٠٢/١٧٩/١.

(٢) الكافي: ١ / ٤٠١ / ١، بصائر الدرجات: ٢١ / ١، الخرائج والجرائح: ٢ / ٧٩٣ / ١، مختصر بصائر الدرجات: ١٠٦، بحار الأنوار: ٢ / ١٨٩ / ٢١.

الاجتماعيّة. قال تعالى:

﴿لَقَد أرسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾[١].

ولا سبيل لتطبيق العدالة الاجتماعيّة إلّا بمقارعة الظلم والظالمين.

من هنا يذكر القرآن الكريم أنّ أحد أهدافه الأُخرى إنذار الظالمين:

﴿وَهَذا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[٢].

وبلغ هذا الكتاب السماويّ في مقارعة الظلم مبلغاً أنّه حظر كلّ ركون إلى الظالمين ومنع كلّ عون لهم، وجعل على ذلك عقاباً صارماً:

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[٣].

في ضوء ذلك، نلحظ أنّ الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر والسكوت على الظلم ومساومة الظالمين لا يمكن أن تكون ملاكاً للعمل، بسبب تعارضها مع القرآن الكريم.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومون عليهم السلام يوصون دائماً بعرض الأحاديث على القرآن الكريم لمعرفة صوابها واعتبارها، وإذا ورد فيها ما يخالفه فلا يقام له وزن.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

**«ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتابَ الله فلم أقُله»**[٤].

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الأحقاف: ١٢.

(٣) هود: ١١٣.

(٤) الكافي: ٥/٦٩/١، المحاسن: ٧٢٧/٣٤٨/١، تفسير العيّاشي: ١ / ٨ / ١، وسائل الشيعة: ١٨ / ٧٩ / ١٥، بحار الأنوار: ٢ / ٢٤٤ / ٤٩.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

**«مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زُخرف»[١].**

## التعارض مع سيرة الأئمة

إنّ أحد المعايير الدقيقة الأُخرى التي يمكن الاعتماد عليها في معرفة الأحاديث الموضوعة والمفاهيم الإسلاميّة المحرّفة هو سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام. فلو نقل كلام عن النبيّ أو الإمام أو فُسِّر بنحوٍ يتعارض فيه مع عملهم فإنّه مختلق وتفسيره محرّف.

وتدلّ دراسة حياة الأئمّة المعصومين عليهم السلام على أنّهم لم يداهنوا الحكومات الباطلة أقلّ مداهنة، بل وقفوا أمامها بكلّ وجودهم.

وكانوا يتحيّنون الفرص للانقضاض عليها وإقامة الحكومة الإسلاميّة لهداية المجتمع البشريّ وإن لم تفلح جهودهم في تحكيم العدالة بسبب الظروف الاجتماعيّة غير المؤاتية.

ومن الشيء العُجاب أنّ قسماً من هذه الأحاديث التي تأمر الناس بالصبر والسكوت روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام[٢]، في حين يعلم كلّ من كان له أدنى اطّلاع على تاريخ هذا الإمام العظيم أنّه لم يألُ جهداً في مقارعة القوى الباطلة وإقامة حكومة الحقّ، وهو يدرك جيّداً أنّ جهوده سوف لا تثمر شيئاً في تلك الأوضاع القائمة

---

(١) الكافي: ١ / ٦٩ / ٤، تفسيرالعيّاشي: ١ / ٩ / ٤، المحاسن: ١ / ٣٤٧ / ٧٢٥، وسائل الشيعة: ١٨ / ٧٨ / ١٢، بحار الأنوار: ٢ / ٢٤٢ / ٣٧.

(٢) كما جاء في الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة: «الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم، فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه، وإنّ لكلّ شيء مدّةً وأجلاً».

يومئذٍ.

روى السيّد ابن طاووس أنّ الإمامعليه السلام كان مع أصحابه ذات يومٍ فسمع ضوضاء، فقال: ما هذا؟

قالوا: هلك معاوية.

ومن الطبيعيّ أنّ خبراً كهذا لابدّ أن يحظى بأهمّيّة فائقة، لأنّ أكبر عدوّ للإسلام والإمام والحكومة الإسلاميّة قد هلك، وتكفي إشاعته وحدها أن تَسُرّ كلّ سامع. بيدَ أنّ القوم اندهشوا إذ لم يلمحوا أيّ سرورٍ على مُحيّا إمامهم فقد نطق بهذه الكلمات المرّة بكلّ هدوء:

**«كلّا، والّذي نفسي بيده لا يموت حتّى يجتمع هذا الأمر في يده».**

وكان هذا الكلام الذي أخبر به الإمام عن المستقبل بعد تلك الإشاعة المفرحة كالماء البارد، إذ أخمد جذوة الأمل التي كانت قد اتّقدت في قلوب أُناس حاربوا إلى جانب إمامهم عدد سنين رجاء النصر، فلم يبق مجال للكلام. والمسألة المهمّة الوحيدة التي كانت تدور في خلد من سمع كلامهعليه السلام هي أنّ من يعلم بعقم جهوده في حرب دمويّة خطرة ويعرف أنّ النصر سيكون لعدوّه كيف يبذل مساعيه كلّها في تلك الحرب ويدعو الناس إلى قتال معاوية؟!

ومزّق الصمت أحد الحاضرين فسأل الإمامعليه السلام عن جدوى القتال إذا كان يعلم أنّ النصر سيكون لمعاوية وأنّه سيمسك بزمام الأُمور وقال: فعلى ما تقاتله؟!

وأجابه الإمامعليه السلام بكلام رائعٍ يعدّ ميثاقاً خالداً لأتباع الإسلام الأصيل. قالعليه السلام:

**«ابلىٰ عذراً فيما بيني وبين الله عزّوجلّ»[1].**

أي: أنا أعلم أنّ معاوية سيقبض على مقاليد الأُمور، ولكن هذا لا يدعوني إلى

---

(١) التشريف بالمنن، المعروف بـ«الملاحم والفتن»: ٢٣٠.

أن أتنصّل عن مسؤوليّتي في مقارعة الظالمين. كلّا، فما دام الناس يطيعونني، وما دمتُ قادراً على الجهاد، فإنّ عليَّ قتالهم، لكي أُعذر من نفسي أمام الله تعالى إذ أدّيت ما عليَّ.

وفي ضوء ذلك، واصل الإمام عليه السلام جهاده في قتال الظالمين حتّى الأيّام الأخيرة من حياته الحافلة بالجهاد والنضال.

قال ابن أبي الحديد:

**«خطب أميرالمؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالنهروان، فحمد الله وأثنى عليه وقال:**

**أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام، فقاموا إليه، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، وانصلتت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قِصداً. ارجع بنا إلى مصرنا نستعدّ بأحسن عدّتنا. ولعلّ أميرالمؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا، فإنّه أقوى لنا على عدوّنا.**

**فكان جوابه عليه السلام [آية كريمة تتحدّث عن إصرار موسى عليه السلام على قومه أن يحاربوا عدوّ الحقّ ويسخّروا الأرض المقدّسة وهم لم يستجيبوا]: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الّتي كَتَبَ اللهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَىٰ أدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِين﴾[1].**

**فتلكّأوا عليه وقالوا: إنّ البرد شديد. فقال: إنّهم [عدوّكم] يجدون البرد كما تجدون.**

**فتلكّأوا وأبوا، فقال: أُفٍّ لكم، إنّها سُنّة جرت. ثمّ تلا قوله تعالى [الذي يعبّر**

---

(١) المائدة: ٢١.

**عن الجواب السلبيّ الذي أجاب به قوم موسى عندما دعاهم إلى المسير نحو الأرض المقدّسة]: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوماً جَبّارِينَ وإِنّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخرُجُوا مِنهَا فإِنْ يَخرُجُوا مِنهَا فإِنّا دَاخِلُونَ﴾[1].**

**فقام منهم ناس فقالوا: يا أميرالمؤمنين، الجراح فاشية في الناس، فارجع إلى الكوفة، فأقِمْ بها أيّاماً ثمّ اخرج. خار الله لك، فرجع إلى الكوفة عن غير رضا»[2].**

ومع أنّ الإمام ـ بعد رجوعه إلى الكوفة ـ كان في الأيّام الأخيرة من عمره الشريف، وكان يكثر من الإخبار عن ا ستشهاده الوشيك، لكنّه كان يصرّ إصراراً كبيراً على إعداد المسلمين لقتال معاوية ويقول: قاتلوا معاوية بعدي مع كلّ إمامٍ!

وأخيراً، عبّأ جيشه للجهاد من خلال خطبة حماسيّة مهيّجة ، قبل استشهاده بأُسبوع تقريباً. ومن الذين عقد لهم الألوية في تلك التعبئة العامّة: ولده الإمام الحسين عليه السلام، وقيس بن سعد، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وأمّر كلّاً منهم على عشرة آلاف، وهكذا عزم عليه السلام على الرجوع إلى صفّين، بيدَ أنّه استشهد بسيف الجهل الذي ضربه به ابن ملجم قبل انتهاء ذلك الأُسبوع المصيريّ[3].

أجل، لم يبذل أميرالمؤمنين عليه السلام جهوده لمقارعة الظالمين والغاصبين لحكومة الحقّ والعدل فحسب، بل لم يتردّد لحظة واحدة في سبيل إقرار الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

وانتهج الأئمّة عليهم السلام سيرته بعده أيضاً. وأفضل دليل معبّر عن ذلك هو أنّهم استشهدوا جميعهم على أيدي حكّام عصورهم[4].

---

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٩٢.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٩٩ فما بعدها.

(٤) انظر بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٠٧ / الباب ٩ «... إنّهم لا يموتون إلّا بالشهادة».

ومن البديهيّ أنّهم لو لم يمارسوا نشاطاً سياسيّاً ولم ينبروا للمستكبرين المتسلّطين فلا داعي لاستشهادهم جميعاً. وبالنظر إلى أنّ التظاهر بالإسلام كان من أهمّ الأساليب التي اختدمها حكّام الجور يومذاك وأنّ قتل أولاد رسول الله ﷺ كان يُنزل أكبر ضربة بسياستهم فلا ريب أنّهم لولا شعورهم بالخطر على حكوماتهم لما ارتكبوا مثل هذا الخطأ.

## التعارض مع أحاديث القيام

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أنّ إدانة الثورات التي تقوم قبل حكومة الإمام المهديّ عليه السلام ـ كما جاء في الأحاديث السابقة ـ تتعارض مع حكم العقل وتخالف القرآن وسيرة الأئمّة عليهم السلام.

ونضيف إليه الآن أنّها تتعارض أيضاً مع الدلالة الصريحة لقسمٍ آخر من الأحاديث.

ويمكن تقسيم هذه الأحاديث إلى ثلاثة أقسام:

**الأوّل**: الأحاديث الواردة في وجوب الثورة على الظالمين عند الإمكان، وعدم الانقياد لمطالبهم غير المشروعة. وفيما يأتي نماذج منها:

١ ـ كان رسول الله ﷺ يحدّث جماعة من أصحابه عن الحوادث المرّة التي ستقع بعده، ويخبرهم أنّ السلطان سيفترق عن القرآن الكريم في المستقبل. وطلب منهم أن يدوروا مع القرآن حيث دار. وقال: وستكون عليكم أئمّة إن أطعتموهم أضلّوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم!

قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟

قال ﷺ:

**«كونوا كأصحاب عيسى نُصبوا على الخشب ونُشروا بالمناشير، موتٌ في**

**طاعةٍ خيرٌ من حياةٍ في معصية»**[١].

٢ـروى أبو عطاء أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام أقبل عليهم يوماً وهو محزون يتنفّس، فقال:

**«كيف أنتم وزمانٌ قد أظلّكم؟ تُعطّلُ فيه الحدود، ويُتّخذ المال فيه دُوَلاً، ويُعادىٰ [فيه] أولياءُ الله، ويُوالىٰ فيه أعداءُ الله!!»**.

قلنا: [يا أمير المؤمنين] فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟ قال:

**«كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام، نُشِروا بالمناشر وصُلِبُوا على الخُشُب. موتٌ في طاعة الله عزّوجلّ خيرٌ من حياةٍ في معصية الله»**[٢].

٣ـروى ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

**«سيكون أُمراء تعرفون وتنكرون**[٣]**، فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سَلِم، ومن خالَطَهم هلك»**[٤].

٤ـقال سدير الصيرفيّ: دخلت على أبي عبدالله (الإمام الصادق)عليه السلام فقلتُ له: واللهِ ما يسعك القعود!

فقال: ولِمَ يا سدير؟

قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك. والله لو كان لأمير المـؤمنينعليه السلام ما لَكَ من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تَيم ولا عديّ.

---

(١) كنزالعمّال: ١ / ٢١٦ / ١٠٨١، المعجم الكبير: ٢٠ / ٩٠ / ١٧٢، المعجم الصغير: ١ / ٢٦٤، مجمع الزوائـد: ٥ / ٤١٠ / ٩١٥٣.

(٢) نهج السعادة: ٢ / ٦٣٩ / ٣٤٥.

(٣) يمكن أن تكون هذه الجملة إشارة إلى ما جاء في أحاديث أُخرى: «ستكون عليكم أُمراء من بعدي يأمرونكم بما لاتعرفون ويعملون بما تنكرون...».

(٤) المعجم الكبير: ١١ / ٣٣ / ١٠٩٧٣، الجامع الصغير: ٢ / ٦٤ / ٤٧٨١.

فقال: يا سدير، وكم عسى أن يكونوا؟

قلت: مائة ألف.

قال: مائة ألف؟!

قلت: نعم، ومائتي ألف.

قال: مائتي ألف؟!

قلتُ: نعم، ونصف الدنيا!

قال: فسكت عنّي، ثمّ قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع[١].

قلت: نعم... ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: والله يا سدير، لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود!

ونزلنا وصلّينا فلمّا فرغنا من الصلاة، عطفت على الجداء فعددتها، فإذا هي سبعة عشر[٢].

٥ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

**«إذا اجتمع للإمام عدّة أهل بدر ـ ثلاث مائة وثلاثة عشر ـ وجب عليه القيام والتغيير»**[٣].

الثاني: الأحاديث المؤيّدة لبعض الثورات في عصر الأئمّة عليهم السلام، كالأحاديث التي قدّست ثورة زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام، وثورة الحسين بن عليّ شهيد فخّ[٤]

---

(١) منطقة في أطراف المدينة.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٤٢ / ٤، بحار الأنوار: ٤٧ / ٣٧٢ / ٩٣، المحجّة البيضاء: ٤ / ٣٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٠ / ٤٩ / ١٨، مستدرك الوسائل: ١١ / ٧٨ / ٧، دعائم الإسلام: ١ / ٣٤٢ وفيه «للإسلام» بدل «للإمام» وهو تصحيف.

(٤) فخّ ـ بفتح الفاء وتشديد الخاء ـ: بئر بين التنعيم وبين مكّة، وبينه وبين مكّة فرسخ تقريباً. والحسين هو الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، وأُمّه زينب بنت عبدالله بن الحسن، خرج في ←

ودَعَمتها.

جاء في حديث نقل عن الإمام الصادقعليه السلام بسند صحيح، أنّه أدان بعض الثورات غير الصحيحة في عصره، وأيّد ثورات أُخرى كثورة زيد، فقال:

**«لا تقولوا: خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدْعُكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمّدصلى الله عليه وآله، ولو ظهر لَوَفىٰ بما دعاكم إليه، إنّما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه»**[1].

وقال الإمام الرضاعليه السلام في شخصيّة زيد:

**«إنّه كان من علماء آل محمّدصلى الله عليه وآله غضب لله عزّوجلّ فجاهد أعداءه حتّى قُتل في سبيله. ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفرعليه السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمّدعليهما السلام يقول: رحم الله عمّي زيداً، إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد. ولو ظَفَرَ لَوَفى بما دعا إليه»**[2].

وجاء في خبر آخر أنّ كلاماً دار عند الإمام الصادقعليه السلام حول الثائرين من أهل بيت الرسالة، فقال:

**«لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجيّ من آل محمّدصلى الله عليه وآله، ولوددتُ أنّ الخارجيّ من آل محمّدصلى الله عليه وآله خرج وعليّ نفقة عياله»**[3].

ثمّة نقطتان مهمّتان نستشفّها من هذه الأحاديث:

١ـ المقصود من الأحاديث التي تخطّئ الثورات القائمة قبل ظهور قائم آل محمّدعليهم السلام

---

⇔ أيّام موسى الهادي بن محمّد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وخرج معه جماعة كثيرة من العلويّين، وكان خروجه بالمدينة في ذي القعدة سنة ١٦٩هـ بعد موت المهدي بمكّة وحكومة الهادي ابنه. (مرآة العقول: ٤ / ١٥١)، وانظر: تاريخ الطبريّ: ٨ / ١٩٢، مقاتل الطالبيّين: ٣٧٦، قاموس الرجال: ٣ / ٤٩١ / ٢٢٠٧.

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨١، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ١، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٢ / ٦٧.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١ / ٢٤٩ / ١، بحار الأنوار: ٤٦ / ١٧٤ / ٢٧.

(٣) مستطرفات السرائر: ٤٨ / ٤، بحار الأنوار: ٤٦ / ١٧٢ / ٢١، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٩ / ١٢.

هي الثورات التي تنطلق من الهوى.

٢ـ ليس من الضروريّ لإثبات شرعيّة الثورة أن يعلم الثائر علم اليقين أنّه سيفلح في تشكيل حكومة الحقّ، بل يكفي لإثباتها كسر هيبة الحكّام الجائرين وأُبّهتهم أو إشغال أذهانهم سياسيّاً وعسكريّاً للحؤول دون فرض قيادتهم على المجتمع الإسلاميّ.

الثالث: الأحاديث التي أخبرت عن قيام ثورة ناجحة قبل ظهور وليّ العصر أرواحنا فداه، وجعلتها ممهّدة لظهوره، ولعالميّة الثورة الإسلاميّة.

ونشير فيما يأتي إلى اثنتين منها:

١ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

**«يخرج ناسٌ من المشرق فيوطّئون للمهدي ـ يعني سلطانه ـ»**[1].

٢ـ نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

**«كأنّي بقومٍ قد خرجوا بالمشرق يطلُبون الحقّ فلا يُعطَونه، ثمّ يطلبونه فلا يُعطَونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيُعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء. أما إنّي لو أدركتُ ذلك لاستبقيتُ نفسي لصاحب هذا الأمر»**[2].

نقل العلّامة النعمانيّ هذا الحديث في كتاب «الغيبة» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام. وهو أحد علماء القرن الثالث الهجريّ ومحدّثيه، وقد تعهّد في مقدّمة كتابه المذكور أن ينقل فيه الأحاديث التي يطمئنّ إلى صحّتها، وهو نفسه سمعها من شيوخه الثقات.

---

(١) سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٦٨ / ٤٠٨٨، المعجم الأوسط: ١ / ٩٤ / ٢٨٥ وفيه «يخرج قوم من قِبَل المشرق فيوطّئون للمهدي سلطانه»، كنزالعمّال: ٣٨٦٥٧ نقلاً عن سنن ابن ماجة، مجمع الزوائد: ٧ / ٦١٧ / ١٢٤١٤ نقلاً عن المعجم الأوسط، كشف الغمّة: ٣ / ٢٦٧، بحار الأنوار: ٥١ / ٨٧ وكلاهما كما في سنن ابن ماجة.

(٢) غَيبة النّعماني: ٢٧٣ / ٥٠، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٤٣ / ١١٦.

وإذا نظرنا إلى الحوادث التي ترتبط بانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران فإنّ الحديث المأثور عن الإمام الباقرعليه السلام يعدّ من معجزاتهعليه السلام، ويبدو أنّه قد توسّم الوقائع الآتية:

١ـ انتفاضة الشعب الإيرانيّ البطل في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣ م.

٢ـ ثورة الحادي عشر من شباط سنة ١٩٧٩ م.

٣ـ إعلان النظام الملكيّ في اللحظات الأخيرة من عمره الملطّخ بالعار عن توبته واستسلامه لمطالب الشعب.

٤ـ رفض الشعب كلّ شيء إلّا القضاء على النظام.

٥ـ انتصار ثورة الشعب الإيرانيّ ضدّ الشاه.

٦ـ تشكيل النظام الجمهوريّ الإسلاميّ في إيران.

٧ـ بقاء النظام الجمهوريّ الإسلاميّ حتّى الثورة العالميّة للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه.

٨ـ عدّ الاشتباكات التي رافقت مسيرة الثورة الإسلاميّة جهاداً في سبيل الله، وعدّ قتلاها شهداء.

٩ـ تحقّق انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران قريباً من عصر ظهور الإمام المهديّعليه السلام.

وفيما يأتي تفصيل النبوءات المذكورة:

قال الإمامعليه السلام في مستهلّ حديثه:

**أ ـ «كَأَنّي بِقَوْمٍ قَدْ خَرَجُوا بِالْمَشرِقِ يَطْلُبُونَ الْحَقَّ»:**

تمثّل هذه الجملة نبوءةً بقيام ثورة إسلاميّة في الشرق مستقبلاً، لأنّ الإمامعليه السلام يخبر بخروج قوم بالمشرق على نظامهم المتسلّط عليهم، وهدفهم هو طلب الحقّ منه.

ومن البديهيّ أنّ الحقّ عند الإمامعليه السلام ليس إلّا الإسلام.

وعلى الرغم من أنّهعليه السلام قد ذكر أنّ مكان الخروج هو الشرق، ولم يذكر «إيران» على وجه التحديد بيدَ أنّ القرائن الموجودة في سائر الأحاديث[١] تفيد أنّ الشرق هو «إيران».

**ب ـ «فلا يُعطَونه»:**

نلاحظ أنّ الإمامعليه السلام بعد أن يُنبئ بقيام ثورة إسلاميّة في الشرق يقول: يمتنع حكّام النظام المتسلّط عن إعطاء الحقّ لهؤلاء القوم الذين خرجوا من أجله.

وإذا نظرنا إلى الفقرات التي تلي تلك الفقرة في كلام الإمامعليه السلام فإنّ الفقرة المذكورة تنطبق على انتفاضة الشعب الإيرانيّ المسلم في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣ م بقيادة الإمام الراحل رضوان الله عليه، ولم يطرح موضوع الإطاحة بالنظام الملكيّ يومئذٍ، كما أنّ الأرضيّة كانت غير ممهّدة لذلك. وإنّما كان الهدف آنذاك هو إجبار النظام على إقامة الحقّ بأبعاده المختلفة، وتحكيم الإسلام بمفهومه الحقيقيّ. وأذكر أنّ الإمامعليه السلام قال للشاه في أحد خطاباته التي ألقاها في بدء نهضته يومذاك: «أنا لا أقول: دَع الحكم، بل أقول: ابقَ في الحكم، ولكن كن سيّداً ولا تكن عبداً ذليلاً واعمل بالإسلام»[٢].

لم يذعن النظام لذلك، ولم يستجب لمطالب الجماهير الثائرة بقيادة الإمام، فولدت انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ م بعد اعتقال القائد.

وارتكب النظام مذبحة رهيبة استطاع من خلالها أن يكمّ الأفواه ويُخرس الألسن لمدّة، ولو كانت قصيرة.

---

(١) انظر كتابنا تداوم انقلاب اسلامي ايران (استمرار الثورة الإسلاميّة في ايران).

(٢) هذه هي سيرة الأنبياء جميعهم، إذ يرشدون مخالفيهم في البداية بأُسلوب مرن ناصح. ولذا خاطب تعالى موسى وهارونعليهما السلام أن يدعَوا فرعون بنفس الأُسلوب فقال: ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ (طه: ٤٤).

**ج ـ «ثمّ يطلُبونه فلا يُعطونه»:**

تستعمل «ثمّ» في اللغة العربيّة للتراخي. يقول الإمام‏ﷺ: «ثمّ يطلبونه» أي إنّ هؤلاء القوم يثورون مرّة أُخرى بعد مضيّ مدّة على ثورتهم الأُولى، وفي هذه المرّة لا يستسلم حكّام النظام لمطالبهم في بادئ الأمر.

تشير هذه الفقرة إلى ثورة الشعب الإيرانيّ في ١١ شباط، حيث لم يرضخ النظام لمطالب الشعب في البداية، وعزم على قمع الثائرين كما فعل في انتفاضة ٥ حزيران سنة ١٩٦٣ م، فأمطر الشعب بوابل من نيران رشّاشاته بقسوةٍ وعُنفٍ قليل النظير، وقتل عشرات الآلاف وعوّق مثلهم عدداً.

**د ـ «فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم»:**

بيدَ أنّ الشعب قرّر أن يُسقط النظام هذه المرّة بقيادة الإمام ويقيم الجمهوريّة الإسلاميّة، مع أنّه كان أعزل والنظام مُدجّج في السلاح، إلّا أنّه عزم على مواجهته برعاية الله تعالى وقيادة الإمام الصلبة. وتشير الفقرة المذكورة إلى هذه المرحلة من مراحل الثورة.

**هـ ـ «فيُعطَون ما سألوا»:**

عندما أحسّ النظام الشاهنشاهيّ بعزم الشعب على إسقاطه وشعر بعجزه عن مواجهته لم يرَ بُدّاً من التسليم، وهنا أعلن الشاه عن توبته في وسائل الإعلام، ووعد بعدم تكرار أخطائه، واستعدّ لتنفيذ ما أراده الشعب من العدالة والحرّيّة والإسلام. وتومئ الفقرة السابقة إلى هذه المرحلة من حيرة النظام الملكيّ واستسلامه.

**و ـ «فلا يقبلونه حتّى يقوموا»:**

لا ينخدع الشعب لأنّه يرى الأرضيّة بقيادة الإمام موطّئة تماماً لسقوط النظام، فوجّه حربته الحادّة نحوه هذه المرّة، وأنزل ضربته الأخيرة بكيانه الهشّ المتهرّئ وجذوره المتعفّنة الممتدّة إلى ألفين وخمسمائة سنة، وأقام حكومة مبتنية على أُسس

إسلاميّة في ١١ شباط سنة ١٩٧٩م.

**ز ـ «ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم»:**

تشير هذه الفقرة إلى استمرار الثورة الإسلاميّة حتّى ظهور بقيّة الله‌عليه السلام وتأسيسه حكومة إسلاميّة عالميّة ، لأنّ الإمام‌عليه السلام يقول: إنّ الشعب الذي أسقط النظام وأقام الحكومة الإسلاميّة لا يسلّم أمر حكومته إلّا لصاحبكم، وهو بقيّة الله الأعظم.

**ح ـ «قتلاهم شهداء»:**

يتنبّأ الإمام‌عليه السلام في هذه الفقرة من كلامه أنّ مصادمات هذا الشعب واشتباكاته مع مخالفيه منذ بداية الثورة حتّى ظهور إمام العصر والزمان‌عليه السلام هي لله وفي سبيل الله، من هنا فإنّ قتلاه شهداء كشهداء صدر الإسلام.

**ط ـ «أما إنّي لو أدركتُ ذلك لاستبقيتُ نفسي لصاحب هذا الأمر»:**

تدلّ هذه الفقرة على أنّ انتصار الثورة المذكورة يتحقّق قريباً من زمان ظهور الإمام المهديّ‌عليه السلام وحكومته العالميّة.

# الخلاصة

▣ لا يقلّ خطر تحريف القيادة على استمرار الثورة الإسلاميّة عن خطر فصل القيادة عن الإسلام.

▣ القيادة في الإسلام قابلة للتحريف عبر طريقين، الأوّل: مباشر وجليّ، وهو نتيجة التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة، والآخر: غير مباشر وخفيّ، وهو نتيجة إلحاق عقائد خاطئة بأصل الإمامة تجعله عقيماً.

▣ إنّ أوضح نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة هي إقامة الحكومة الإلهيّة ووحدة القيادة السياسيّة والدينيّة، فإذا فُسّرت هذه العقيدة بنحوٍ لا يُفضي إلى مثل هذه الغاية فقد مُنيت بالتحريف.

▣ لا يعني الاعتقاد بالإمامة معرفة الإمام معرفة ذهنيّة أو مودّته مودّة قلبيّة فحسب، بل يعني اتّباع القيادة الربّانيّة عمليّاً، ومراعاة التقوى في الحياة، والعمل لتحقيق القِيَم الإلهيّة في المجتمع وإقامة الحكومة الإسلاميّة.

فتفسير أصل الإمامة بمعرفة الإمام ذهنيّاً ومودّته قلبيّاً دون اتّباعه عمليّاً تحريف لهذا الاعتقاد.

▣ تدلّ دراسة تاريخ أهل البيت عليهم السلام على أنّ تحريف أصل الإمامة كان موجوداً عند أدعياء التشيّع أيضاً. وكان الأئمّة عليهم السلام يشعرون بخطر هذه الكارثة، فبذلوا قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الجليّ الذي طرأ على الاعتقاد بالإمامة من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، ونبذ أدعياء التشيّع المفترين.

▣ إنّ تحريف «التقيّة» و«الانتظار» و«الدعاء» بنحوٍ غير مباشر ترك بصماته على عقيدة الإمامة أيضاً، وسلب المجتمع الإسلاميّ شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة

الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

◙ فصل القيادة وتحريفها الجليّ والخفيّ طرق ثلاثة مهمّة تعرقل تحكيم الإسلام في الحياة، وقد استغلّها الساسة المتسلّطون على المجتمعات الإسلاميّة طوال التاريخ لمصلحة أهدافهم السياسيّة والحؤول دون إقامة الحكومة الإسلاميّة، متناسباً ذلك مع ظروفهم الزمنيّة.

◙ استُغلّ الحديث في تحريف القيادة كما استُغلّ في فصلها.

◙ تقسم الأحاديث التي استُغلّت في تحريف القيادة إلى أربعة أقسام هي:

أ ـ الأحاديث التي أبطلت كلّ ثورة تقوم قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام.

ب ـ الأحاديث التي حذّرت المسلمين من الثورة على حكّام الجور قبل مشاهدة علامات ظهور الإمام عليه السلام.

ج ـ الأحاديث التي نصّت على عقم كلّ نهضة لإقامة الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام عليه السلام.

د ـ الأحاديث التي أوجبت التقيّة حتّى ظهوره عليه السلام.

◙ الاستدلال بالأحاديث الواردة في سلب المسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة حكومة الإسلام العالميّة يجانب الصواب للأسباب الآتية:

أ ـ أكثر هذه الأحاديث غير مقبولة من حيث السند.

ب ـ قسم منها يشير إلى انتفاضات حدثت في عصر صدور الحديث ولم يدعمها أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

ج ـ لو فرضنا أنّ جميع الأحاديث المذكورة صحيحة سنداً ودلالةً، لما أمكنها أن تكون معياراً للعمل، بخاصّة في موضوع كموضوع القيادة وإقامة الحكومة الربّانيّة ـ وهو من أهمّ الموضوعات الإسلاميّة ـ بسبب تعارض مدلولها مع حكم العقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، وكذلك تعارضها مع الأحاديث التي دعمت بعض الثورات قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام. وينبغي أن نقول: إنّها صدرت من وحي التقيّة ومراعاة أُصول العمل السرّيّ.

# القسم الرابع

# خصائص القيادة

# تمهـيد

توسّع كثير من العلماء والباحثين المسلمين في شتّى حقول المـعرفة الإسلاميّة في خصائص القيادة، ودرسوا هذا الموضوع مفصّلاً من وجهات نظر متنوّعة، ويمكـن تلخيص الخصائص المذكورة في العناوين الأربعة الآتية:

أ ـ الخصائص البدنيّة: كالبلوغ، والعقل، وسلامة الأعضاء، والصحّة.

ب ـ الخـصائص الروحيّة والأخلاقيّة: كالعدالة، والشجاعة، والإرادة القـويّة، والحزم، والكرم، وسعة الصدر.

ج ـ الخصائص الفكريّة والعلميّة: كالأعلميّة، والوعي السياسيّ، والذكاء الحادّ، وحُسن التشخيص وسرعته.

د ـ الخصائص العائليّة: كطهارة المولد، وطيب العنصر، وحُسن السمعة.

وذكرنا في الأقسام المتقدّمة أنّ للإمامة والقيادة موقعاً خاصّاً من منظار الإسلام. من هنا فإنّ من يتولّى شؤون المجتمع الإسلاميّ إماماً وقائداً ينبغي أن ينطوي على صفات ذاتيّة ومكتسبة خاصّة. وهذا ما سنستعرضه في القسم القادم إذ نتوفّر على دراسة أربع عشرة خاصّيّة بارزة للقائد وفقاً للرؤية الإسلاميّة.

# الفصل الأوّل

# معرفة الإسلام

إنّ من أوّل شروط القيادة في الإسلام معرفة الإسلام بالمفهوم الدقيق للكلمة، والاطّلاع على أُصوله ومبادئه وأحكامه في المجالات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّة المختلفة.

القائد يتحمّل مسؤوليّة توجيه الأُمّة الإسلاميّة وإرشادها في جميع الميادين. من هنا لا يُكتفى بأن يكون القائد والإمام عارفاً بالإسلام، بل إنّ أعلميّته وتفوّقه في المعرفة أهمّ شرط في إمامته. قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام:

**«... أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس»**[1].

بيدَ أنّ هذه الأعلميّة ـ في أرفع درجات القيادة، وفي مواطن الحاجة ـ تُفاض على الإمام من منبع الفيض الإلهيّ بلا واسطة، فتجري ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، كما قال الإمام الرضاعليه السلام:

**«إنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأمور عباده شرَح صدرَه لذلك، وأودع قلبه**

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٥، و: ٩٣ / ٦٤.

**ينابيعَ الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يَعْيَ بعدَه بجواب، ولا يَحير فيه عن الصواب»[١].**

وقال في رواية أُخرى:

**«إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لايؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق كلّ علم أهل زمانهم»[٢].**

إنّ معرفة الإسلام في هذا المستوى هي مزيّة القادة الذين يتّصلون بمبدأ الوحي أو الإلهام اتّصالاً مباشراً، كالأنبياء وخواصّ نوّابهم، أمّا في الحقبة التي يحظى فيها الناس بمثل هؤلاء القادة فإنّ معرفة الإسلام تتحقّق للقائد عبر الاجتهاد.

## تعريف الاجتهاد

الاجتهاد لغةً هو بذل الوسع لتحصيل شيءٍ لا يتيسّر تحصيله[٣]. أمّا الاجتهاد الذي يشترط في القائد الإسلاميّ فهو القدرة على معرفة رأي الإسلام في المسائل الفرعيّة[٤] التي يحتاج إليها المجتمع من خلال البحث في المصادر الإسلاميّة[٥]. ولمّا كان تحصيل الأحكام الإلهيّة عن هذا الطريق مقروناً بالجهد ومشقّة البحث فقد سُمّي هذا العمل اجتهاداً.

---

(١) الكافي: ١ / ٢٠٢ / ١، أمالي الصدوق: ٧٧٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢٢١ / ١، غَيبة النعمانيّ: ٢٢٣، تحف العقول: ٤٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢٢١ / ١، غَيبة النعمانيّ: ٢٢٢.

(٣) اجتهد في الأمر: جدّ وبذل وسعه. (المنجد). الاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمّل المشقّة. (المفردات للراغب الإصفهانيّ).

(٤) هذا القيد من أجل إخراج المسائل الاعتقاديّة.

(٥) تحصيل الحجّة على الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن ملكة واستعداد (اصطلاحات الأُصول: ١٦).

## معرفة الموضوع والاجتهاد

النقطة المهمّة الجديرة بالانتباه هي أنّ معرفة الموضوع أحد العناصر الحاسمة في الاجتهاد. ومن هنا يمكن أن يكون الفقيه أهلاً للتقليد في المسائل الفرديّة، لكنّه لا يمتلك كفاءةً قياديّة بسبب عدم اجتهاده في المسائل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. فالمجتهد الجامع هو الذي يقدر على أن يُبدي رأيه في جميع المسائل التي يحتاج إليها الناس، مع الأخذ بعين الاعتبار عنصرَي الزمان والمكان. قال الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه في هذا المجال:

**«أنا أؤمن بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهريّ[1]، ولا أُجيز خرق ذلك. والاجتهاد على هذا النهج صحيح، بيدَ أنّ هذا لا يعني جمود الفقه الإسلاميّ، فالزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم في الماضي ظاهراً ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لنظام من الأنظمة. أي: إنّ المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة تجعل الموضوع الأوّل ـ الذي لم يختلف عمّا كان عليه في الماضي من حيث الظاهر ـ موضوعاً جديداً يتطلّب حكماً جديداً لا محالة...**

**إنّ التعرّف على أُسلوب مواجهة مكائد الثقافة السائدة في العالم، والتحلّي بالبصيرة والرؤية الاقتصاديّة، والاطّلاع على كيفيّة التعامل مع الاقتصاد العالميّ، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيّين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتلّه النظام الرأسماليّ والشيوعيّ في العالم، والتعرّف على نقاط قوّتهما وضعفهما إذ هما اللذان يحدّدان استراتيجيّة التسلّط على العالم، كلّ ذلك من مزايا المجتهد الجامع»[2].**

---

(١) نسبة إلى الموسوعة الفقهيّة العظيمة «جواهر الكلام» وهي للمرحوم الشيخ محمّد حسن النجفيّ. ويريد الإمام ﵀ هنا الاجتهاد على منهج صاحب الجواهر. (المترجم).

(٢) صحيفة النور: ٢١: ٩٨، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ، ١٤٠٩هـ.

# الخلاصة

◙ تتلخّص شروط القيادة في الإسلام في أربعة عناوين:

أ ـ خصائص بدنيّة. ب ـ خصائص أخلاقيّة. ج ـ خصائص فكريّة. د ـ خصائص عائليّة.

ويتناول القسم الرابع من هذا الكتاب أربعة عشر شرطاً من أبرز شروط القائد في الرؤية الإسلاميّة.

◙ أوّل شرط من شروط القيادة: معرفة الإسلام. القائد مسؤول عن هداية الأُمّة الإسلاميّة في المجالات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّة. من هنا ينبغي أن لا يكون عارفاً برأي الإسلام في هذه المجالات فحسب، بل أن يفوق أهل زمانه في معرفة الإسلام.

◙ في أرفع درجات القيادة يُفاض العلم الذي يحتاج إليه القائد من الله مباشرةً، وفي درجاتها التالية يتحقّق ذلك عبر الاجتهاد.

◙ الاجتهاد لغةً هو بذل الوسع لإنجاز عملٍ لا يتيسّر تحصيله. واصطلاحاً هو القدرة على معرفة أحكام الإسلام عن طريق البحث في المصادر الإسلاميّة .

◙ معرفة الموضوع من العناصر الحاسمة في الاجتهاد، ولعنصرَي الزمان والمكان موقع خاصّ في هذا الميدان.

# الفصل الثاني

# العدالة

العدل هو رعاية الموضع الحقيقيّ للأُمور. والعادل هـو الذي يـراعـي الحـدود الواقعيّة لأعماله. قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام:

**«العَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَواضِعَها»**[1].

العدل إذاً، أساس القانون في نظام الخليقة. القانون الذي لولاه لانهار النـظام المذكور وفقدَ تماسكه. قال أميرالمؤمنينعليه السلام في تفسيرٍ آخر للعدالة:

**«العدلُ أساسٌ به قوام العالَم»**[2].

في هذا المضمار طرحت النصوص الدينيّة عـناوين: العـدل العـقيديّ، والعـدل الفرديّ، والعدل الاجتماعيّ، في مقابل الظـلم العـقيديّ، والظـلم الفـرديّ، والظـلم الاجتماعيّ... وذلك من خـلال المـواقـف التي يـتّخذها الإنسـان حـيال العـقائد،

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٧، روضة الواعظين: ٥١١، بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٥٠ / ٥٩، و: ٧٢ / ٣٥٧.

(٢) مطالب السؤول: ٦١، بحار الأنوار: ٧٨ / ٨٣ / ٨٧.

والأخلاق، والأعمال في موضعها الحقيقيّ"[١].

العدل العقيدي أُسّ العدالة الاجتماعيّة. ومن كانت عقائده غير صحيحة فلا يمكن أن تكون أخلاقه وأعماله صحيحة، ولا يتسنّى له أن يطبّق العدالة في المجتمع. من هنا نرى أنّ العدالة بمفهومها المطلق شرط من شروط القيادة في الإسلام.

## درجات العدالة

للعدالة درجات، أوّلها العدل العقيديّ، وأرَفعها العدل العرفانيّ.

### ١ ـ العدل العقيديّ

مَنْ نَبَذ الظنون الوهميّة عن نفسه وأصلح عقائده فهو عادل من الوجهة العقيديّة. أي: إنّه راعى مواضع الأُمور في العقيدة. وكلّما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع نال من هذه العدالة درجات أرفع.

### ٢ ـ العدل الفقهيّ

إذا تبلور العدل العقيديّ في عمل الإنسان ارتقى إلى العدل الفقهيّ، ويستحقّ المرء أدنىٰ درجات الإمامة والقيادةمن منظار الإسلام، وهي إمامة المصلّين.

قال رسول الله ﷺ في هذه الدرجة من العدالة:

**«من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذّبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، كان ممّن حرمت غيبته وكملت مروّته وظهر عدله»**[٢].

وسُئل الإمام الصادق عليه السلام عن صفات العادل، فقال:

**«إذا غضّ طرفه من المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفّه عن المظالم»**[٣].

---

(١) انظر كتابنا مباني شناخت (أُسس المعرفة): ٣١٦ و ٣٢٤.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٣٩ / ٢٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٣٠ / ٣٤، بحار الأنوار: ٧٠ / ١ / ١.

(٣) تحف العقول: ٣٦٥، بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٤٨ / ٧٩.

## ٣ـ العدل الأخلاقيّ

إذا أصبح العدل العقيديّ والفقهي مَلَكَةً عند المرء وكان استمرارها باعثاً على تطبّع أخلاقه بهما فإنّه يرتقي إلى العدل الأخلاقيّ في مسار التكامل، ويصير كما قال رسول الله ﷺ:

**«ماكرهته لنفسك فاكره لغيرك، وما أحْبَبْتَه لنفسك فاحببه لأخيك، تكن عادلاً فى حكمك، مقسطاً فى عدلك، محبّاً في أهل السماء، مودوداً في صدور أهل الأرض»**[١].

## ٤ـ العدل العرفانيّ

في ذروة العدل العقيديّ والفقهيّ والأخلاقيّ يبلغ الإنسان درجة العدل العرفانيّ التي هي أرفع الدرجات. وجاءت في نهج البلاغة إشارة إلى هذه الدرجة. قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه:

**«عبادَ الله، إنّ من أحبّ عبادِ الله إليه عبداً أعانه على نفسه... قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرَف مناره، وقطع غِماره... فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس... فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أولَ عدله نفيُ الهوىٰ عن نفسه، يصفُ الحقّ يعملُ به...»**[٢].

للعدل العرفانيّ كمال أيضاً يُدعى مقام العصمة. والمعصوم هو من بلغ في المعرفة واليقين مبلغاً تتحرّك فيه عقيدته وأخلاقه وأعماله في حدود العدالة على نحوٍ دقيق، ويُصان من كلّ ظلمٍ وإثم.

---

(١) تحف العقول: ١٤، بحار الأنوار: ٧٧ / ٦٧ / ٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

## العدالة والقيادة

إنّ نظرة عميقة للقرآن الكريم والأحاديث تبيّن لنا أنّ العصمة ـ من منظار الإسلام ـ هي أسمى درجات العدالة، وشرط لأرفع درجات قيادة الأُمّة. وسيأتي توضيح هذا الموضوع في الفصل الثاني من القسم الخامس، وسنثبت هناك أنّ نفي مطلق الظلم عن القيادة لا يتيسّر إلّا إذا كان القائد معصوماً.

والنقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أنّ العدالة في أرفع درجاتها ـ بعد العصمة التي كانت لأنبياء الله وأوصيائهم، وخاصّة في عصر غيبة الإمام المعصوم كما في عصرنا الحاضر ـ إنّما هي شرط للولاية ولقيادة المجتمع الإسلاميّ.

بعبارة أُخرى: مع أنّ العصمة في القيادة ليست ضروريّة لغير الأنبياء وأوصيائهم الخاصّين بيدَ أنّ مطلق العدالة لا يكفي أيضاً ، لأنّ العدالة التي تعدّ شرطاً لإمامة المجتمع وقيادته هي غير العدالة التي تمثّل شرطاً لإمامة الجماعة في الصلاة أو لقبول الشهادة في المحاكم، بل إنّ القائد غير المعصوم ينبغي أن يتحلّى بأرفع درجات العدالة الأخلاقيّة بعد المعصوم. ونحصل على هذه الرؤية من الإطلاق في كلام الإمام الرضا عليه السلام عن سيماء قيادة المجتمع الإسلاميّ. قال صلوات الله عليه:

**«للإمام علامات: أن يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس...»**[1].

من فاق أهل زمانه جميعهم في تقواه فهو متّصف بأرفع درجات العدالة بعد الإمام المعصوم. وإذا أحرز الشروط الأُخرى للقيادة أيضاً فهو قمينٌ[2] بحمل أمانة الإمامة والقيادة من منظار الإسلام.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٤١٨ / ٥٩١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢١٣ / ١، الاحتجاج: ٢ / ٤٤٨ / ٣١١، الخصال: ٥٢٧ / ١، معاني الأخبار: ١٠٢ / ٤، بحار الأنوار: ٢٥ / ١١٦ / ١.

(٢) القمِين: الجدير.

## نظرة على العصمة

نصّت أحاديث كثيرة على أنّ العصمة شرط للإمام. نكتفي بذكر مثال واحد فيما يأتي:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في علامات مَنْ يصلح للإمامة والقيادة:

**«منها أن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيءٍ من أمر الدنيا»**[1].

## ملاحظات تستحقّ الاهتمام

من الضروريّ الانتباه إلى عدد من الملاحظات الآتية:

١ ـ لا نريد هنا أن ندرس الأدلّة على وجوب عصمة الأنبياء والقادة الربّانيّين بصورة وافية، لنجيب عن الإشكالات المثارة في هذا المجال، إذ تحتاج مثل هذه الدراسة إلى كتاب مستقلّ.

٢ ـ مقام العصمة شرط لأرفع درجات القيادة الربّانيّة كقيادةالأنبياء وأوصيائهم، أمّا إذا تعذّر وجود القادة المعصومين لأيّ سبب كان فعدالة القيادة كافية.

٣ ـ إنّ إثبات ضرورة العصمة للقيادة يحتاج إلى استدلال وإقامة برهان، بسبب اختلاف الاستنباطات من النصوص الإسلاميّة، والآراء والعقائد المتباينة الموجودة فيالمذاهب الإسلاميّة. بيدَ أنّ ضرورة العدالة على درجة منالوضوح تستغني به عن إقامة البرهان، وهي الغاية من حكومة الأنبياء أساساً. قال تعالى:

﴿لَقَد أَرسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٤ / ٣٢.

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١].

ومن لا يجد في نفسه مَلَكة العدالة كيف يتسنّى له أن يطبّق العدالة في المجتمع؟ قال أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام:

«كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه؟!»[٢].

إنّ السبب الأصليّ وراء إخفاق الحكومات الشيوعيّة في تطبيق العدالة الاجتماعيّة ومن ثمّ انهيار مهد الشيوعيّة نفسها هو حِسبانها أنّها تستطيع تطبيق العدالة الاجتماعيّة بلا عدالة عقيديّة وأخلاقيّة. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«عجبتُ لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره»[٣].

وفاقد الشيء لا يُعطيه.

ولا يمكن تطبيق العدالة الاجتماعيّة بالشعار وحده. ولا سبيل إلى استبدال العمل بالشعار إلّا رسوخ مَلَكة العدالة في نفوس الأشخاص المؤثّرين في المجتمع. من هنا إذا لم تتحلَّ القيادة والعناصر الأصليّة في الحكومة بمَلَكة العدالة من خلال صياغة أنفسهم فإنّ انتظار العدالة الاجتماعيّة ليس إلّا حُلماً. وإنّ مَن يظلم نفسه التي هي أعزّ شيء عنده فهو لغيره أظلم، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«من ظلم نفسه كان لغيره أظلم»[٤].

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) غرر الحكم: ٦٩٩٦، ميزان الحكمة: ١١١٩٩.

(٣) غرر الحكم: ٦٢٦٩.

(٤) غرر الحكم: ٨٦٠٦، ميزان الحكمة: ١١٢٠٠.

# الخلاصة

◘ العدل رعاية الموضع الحقيقيّ للأُمور، وقانون نظام الخليقة، ويقابله الظلم الذي يعدّ خرقاً لهذا القانون.

◘ للعدل درجات هي: ١ـ العدل العقيديّ. ٢ـ العدل الفقهيّ. ٣ـ العدل الأخلاقيّ. ٤ـ العدل العرفانيّ.

◘ العدل العقيديّ هو رعاية موضع الأمور في العقيدة. وكلّما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع، نال من هذا العدل درجات أرفع.

◘ العدل الفقهي هو التبلور العمليّ للعدل العقيديّ ورعاية موضع الأُمور في العمل.

◘ العدل الأخلاقيّ هو التجسيد الأخلاقيّ للعدل العقيديّ الذي يتحقّق نتيجة استمرار العدل العمليّ.

◘ العدل العرفانيّ أرفع درجات العدل. ويطلق عنوان «العصمة» على أتمّ درجات العدل العرفانيّ.

◘ المعصوم هو الذي بلغ في المعرفة واليقين درجةً، مَن بلغها يتحرّك في حدود العدالة، في عقيدته وأخلاقه وأعماله، ويُصان من مطلق الظلم.

◘ أرفع درجات العدالة ـ بعد العصمة ـ شرط للقيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم.

# الفصل الثالث

# الإدارة

إنّ أحد الشروط الأساسيّة الأُخرى للقيادة هي القدرة الإداريّة. والفقيه العادل الجامع لشرائط الإفتاء مؤهّل لخلافة النبوّة في قسم من الأحكام، ويمكن أن يكون مرجعاً للتقليد. أمّا إذا كان مؤهّلاً للإمامة والقيادة فلابدّ أن يمتلك قدرة إداريّة مضافاً إلى اجتهاده. وقد اهتمّ أئمّة الإسلام الكبار بهذا المبدأ المهمّ.

ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه أنّ القدرة الإداريّة أوّل شرط من شروط القيادة. قال صلوات الله عليه:

**«أيّها الناس، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه»**[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في مَن لا يمتلك قابليّة إداريّة ويمسك بزمام الحكومة:

**«الإمام الضعيف ملعون»**[2].

ويرى مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه أنّ إحدى

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

(٢) مسند الفردوس: ١ / ١٢١ / ٤١٠، الجامع الصغير: ١ / ٤٧٦ / ٣٠٧٨، كنزالعمّال: ١٤٦٦٥.

صفات المجتهد الجامع لشرائط القيادة هي أن يكون مديراً ومُدبِّراً. قال‏ﷺ:

**«ينبغي للمجتهد أن يتحلّى بالفطنة والذكاء والفراسة في هداية المجتمع الإسلاميّ الكبير، بل غير الإسلاميّ أيضاً. كماينبغي أن يكون مديراً ومدبّراً مضافاً إلى خلوص التقوى والزهد الذي هو شأن المجتهد»[١].**

وانتقد الأُستاذ الشهيد مطهّري رضوان الله تعالى عليه في كتاباته حول «الإمامة والقيادة» فهم الناس الغالط للمرجعيّة والقيادة في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، فقال:

**«أمّا الموضوع الذي يمثّل مهزلةً ويعبّر عن جهل الناس فهو أنّ كلّ من درس الفقه والأُصول مدّة وحصل على معلومات محدودة فيهما وأصدر رسالةً عمليّة بادر أتباعه إلى تسميته بالقائد الكبير لمذهب التشيّع.**

**من هنا يعدّ وضعُ «المرجع» مكان «القائد» من أهمّ مشاكل الوسط الشيعيّ... لقد جمّدوا الطاقات الشيعيّة عند هذه النقطة، إذ يحسب مجتمعنا أنّ المرجع ـ الذي يُعتبر الحدّ الأعلى لصلاحه كفاءته في إبلاغ الفقه ـ قائد، في حين أنّ إبلاغ الفتوى خلافةٌ لمقام النبوّة والرسالة (في قسم من الأحكام).**

**أمّا القيادة فإنّها خلافة لمقام الإمامة، وتضطلع بإبلاغ الفتوى وزعامة المسلمين على حدٍّ سواء»[٢].**

## الفصل بين القيادة والمرجعيّة

لقد زالت نقطة الجمود التي كان الأُستاذ الشهيد قد أشار إليها قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بسنين، وذلك ببركة الثورة الإسلاميّة وتوجيه الإمام الراحل.

---

(١) صحيفة النور: ٢١ / ٩٨.

(٢) امامت ورهبرى (الإمامة والقيادة): ٢٢٨ و ٢٢٩.

وتحقّق الأمر المذكور في مشروع إصلاح الدستور. وفيما يأتي قسم من رسالة الإمامؒ إلى رئيس مجلس الخبراء المسؤول عن تعيين القائد، ورئيس لجنة إعادة النظر في الدستور:

**«كنت أعتقد منذ البداية وأُصرّ على أنّ المرجعيّة ليست شرطاً للقائد. إذ يكفي أن يكون مجتهداً عادلاً يحظى بثقة مجلس الخبراء. وإذا صوّت الشعب على الخبراء من أجل أن يعيّنوا مجتهداً عادلاً لقيادة حكومته وقاموا بذلك فإنّ الشعب يرضى به لا محالة، وهو حينئذٍ وليّ الشعب المنتخب، وحكمه نافذ»**[1].

من البديهي أنّ فصل القيادة عن المرجعيّة يتحقّق عندما يتعذّر اجتماعهما، وإلّا فإنّ كمال القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم خلافة الإمام في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلاميّ.

### الإدارة فطريّة أم اكتسابيّة؟

هل الإدارة علم يمكن للجميع أن يتعلّموه كالقراءة والكتابة؟ أم هي شيء ذاتيّ كحبّ الأولاد الذي يتّصف به كافّة الناس؟ أم هي شعور كقريحة الشِعر التي يتمتّع بها بعض الناس؟

بعبارة أُخرى: هل هي مكتسبة، أو فطريّة عامّة، أو فطريّة خاصّة؟ والجواب هي أنّها كالطبع الشِعريّ الذي يمتلكه البعض ويفتقده البعض الآخر. ومَن كان فاقداً لهذا الطبع فإنّه ربّما استطاع تعلّم نظم الشِعر، بيدَ أنّه لا يكون شاعراً. فالتعليم والتجربة في نظم الشِعر لا ينفعان إلّا من كان له ذوق وفطرة شاعريّة.

وهكذا الإدارة، لذلك قيل: «الإدارة ممتزجة بدم الإنسان» وهذا الكلام تعبير

---

(١) صحيفة النور: ٢١ / ١٢٩، رسالة جوابيّة إلى آية الله المشكينيّ حول ملحق الدستور، بتاريخ ٢٢ رمضان سنة ١٤٠٩هـ.

آخر عن فطريّة الوعي الإداريّ والقياديّ عند بعض الناس.

ومن كان فاقداً للفطرة الإداريّة فلا يتسنّى له أن يتعلّمه في أيّ مدرسة كانت. إنّه يمكن أن يكون عالماً وفيلسوفاً مقتدراً، لكنّه ـ بلا ريب ـ لن يصير مديراً وقائداً مقتدراً.

إنّه ليتعلّم علم الإدارة، إلّا أنّه لن يظفر بـ «فنّ» الإدارة.

## دور التعليم والتجربة في الإدارة

إنّ تفتّح الفطرة الإداريّة يحتاج إلى عاملين، هما: التعليم، والتجربة.

ولا فرق بين القائد الربّانيّ وغير الربّانيّ في هذا المجال. حتّى أنّنا نجد أنّ الأنبياء يتعلّمون ويتمرّسون بهدايةٍ ربّانيّة، كما يُستشفّ من بعض الأحاديث.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

**«ما بَعَثَ اللهُ نبيّاً قطّ حتّى يَسترعيهِ الغنمَ، يُعلّمه بذلك رعيّةَ الناس»**[1].

وقال الأُستاذ الشهيد مطهّري رضوان الله عليه في الحكمة من عمل الأنبياء في الرعي قبل بعثتهم:

**«يرى البعض أنّ السبب الذي يقف وراء عمل الأنبياء جميعهم أو جلّهم في الرعي هو من أجل أن يتمرّسوا على القيادة ميدانيّاً، ولا يؤيسهم الفارق الفكريّ بينهم وبين الأُمّة من القيادة. بيدَ أنّ من الطبيعيّ أنّ كلّ قيادة فطريّة غير معصومة تحتاج إلى تجربة وتعلّم واكتساب. وإذا كان الأنبياء يتمرّسون على الرعي فكيف بالآخرين؟!»**[2].

إذا أنعمنا النظر في الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام في الحكمة من عمل

(١) علل الشرائع: ٣٢ / ٢، قصص الأنبياء: ٢٧٨ / ٣٦٦، بحار الأنوار: ١١ / ٦٥ / ٧.

(٢) امامت و رهبرى (الإمامة والقيادة): ٢٢٨.

الأنبياء في الرعي قبل البعثة فستستبين لنا نقاط رائعة في مجال تعليم القيادة وتجربتها، وكيفيّة تنمية موهبة الإمامة. فالرعي يعلّم طالب الفرع الإداريّ دروساً متعدّدة ومتنوّعة:

«أليس الرعي نفسه قيادةً؟ فالراعي يصون القطيع من الأخطار، ويطرد الذئاب عنه، ويقتاده نحو المراتع الممرعة، ويوصله إلى عين الماء.

يضاف إلى ذلك أنّ الراعي هو الإنسان الوحيد الذي وقّف حياته على حياة القطيع، فقد انقطع عن مدينته ودياره وأُسرته وقرابته وجاء إلى الصحراء، وربط مصيره بمصير قطيعه، وحرم نفسه من مواهب الحياة جميعها. ويُمضي وقته في البيداء من أجل القطيع، وبكلمة واحدة: يفدي نفسه للقطيع.

ويتعلّم الراعي درساً مؤلماً آخر أيضاً، وهو الدرس الذي إن لم نقل إنّه يستحيل على الآخرين فهو صعبٌ عسيرٌ في الأقلّ.

لِمَ يجب أن نتحمّل ريَّ بستان تنمو فيه أزهار من ورق لا خير منها؟ ولماذا يضحّي بنفسه من أجل طائفة لا تفهم شيئاً، ولا تعرفه، ولا تدرك تضحيته؟ ولماذا يفكّر بمن لا يفكّر إلاّ ببطنه وسمنته؟ ولماذا يَهَب حياته وسعادته مَن لا تهمّه إلاّ حياته هو وسعادته الخاصّة؟!

إنّها أسمى درجات القيادة حقّاً.

من هنا، كان الأنبياء جميعهم رعاةً. تعلّموا المعاناة في الرعي وتمرّنوا عليها من أجل قوم كالأغنام التي طأطأت خطمها في الأرض لا تعرف إلاّ السوام.

إنّ مجرّد الالتقاء بالحمقى يجلب الهمّ ويأخذ بالخناق، فكيف بالاختلاط بهم والاشتراك معهم في الحياة المعنويّة والاجتماعيّة والعمل؟ وأيّ عمل؟ إنّه العمل الفكريّ والسياسيّ، بخاصّة «النضال السياسيّ» في مثل تلك البيئة ومع أُولئك الأشخاص!...

**الدرس الآخر هو فنّ «العيش منفرداً» وعلى حدّ تعبير كاتب روسيّ: «فنّ الحياة مع الذات» ويعلّم الوعي الاستقلال، والاستغناء، وعدم الركون إلى الأُنس، والتسلية، وضروب اللهو، والمجاملة، والتعويل على الآخرين، والتغنّج [١]، والمدح، والاختلاط بالآخرين ومساعدتهم... إنّه يعلّم درس الوحدة، والحياة مع الذات، والاستغناء المطلق[٢].**

أجل، التعليم والتجربة عاملان جوهريّان لتنضيج فطرة الإمامة والقيادة، وحاجة القائد إليهما ثابتة لامراء فيها، سواءً كان باتّجاه إمامةالنور أم باتّجاه إمامة النار. ويستطيع كلّ إنسان أن يدرك هذه الحاجة بنظرة يسيرةيلقيها على العاملين المذكورين.

والنقطة البالغة الأهمّيّة في فهم العوامل المساعدة على تنضيج الفطرة الإداريّة هي معرفة عامل ثالث أشار إليه القرآن الكريم، بيدَ أنّه مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العامل هو شرح الصدر (أو سعة الصدر).

## دور شرح الصدر في الإدارة

لم يؤدِّ شرح الصدر ـ إلى جانب التعليم والتجربة ـ دوراً بارزاً في تنضيج الحسّ الإداريّ فحسب، بل يحدّد اتّجاه القيادة ومسارها أيضاً.

أي: يأخذ بيد القائد نحو إمامة النور وتكامل الإنسانيّة وحركيّتها، أو يسوقه صوب إمامة النار وانحطاط البشريّة. وقد تناولنا هذا البحث مفصّلاً في كتابٍ لنا بعنوان: «الأخلاق الإداريّة في الإسلام»، ونكتفي هنا بالإشارة إليه.

---

(١) التغنّج: الدلال.

(٢) إسلام شناسى (معرفة الإسلام): ٤٦٣ و ٤٦٤.

شرح الصدر هو القابليّة الفكريّة والروحيّة[1]. ومن منظار القرآن الكريم، عندما تتّسع قابليّة الإنسان الروحيّة لقبول الحقّ، فإنّه يحظى بالنورانيّة والوعي، وفي ظلّهما تُصحَّح حركته باتّجاه تكامله وتكامل مجتمعه. قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسلامِ فَهُوَ على نُورٍ مِنَ رَبِّهِ﴾؟[2]

إنّ ما يبعث على ظهور هذه النورانيّة وينضّج القابليّة القياديّة في الإنسان ويجعل الوعي القياديّ في مسار إمامة النور وتكامل الإنسان والإنسانيّة هو الإيمان والتقوى. قال جلّ شأنه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[3].

وفي ظلّ هذا النور يتسنّى للإنسان أن يعرف طريق الحياة الصحيح ويواجه مستجدّاتها وحوادثها وشتّى القضايا السياسيّة والثقافية والاجتماعيّة والاقتصاديّة كما ينبغي. والحصول على هذا النور ضروريّ للجميع إلّا أنّه يعدّ شرطاً للقيادة الربّانيّة، وبدونه يتعذّر أمرالقيادة.

ولعلّ هذا هو السبب الذي دفع الأنبياء أن يدعوا الله تعالى يوم عرفة ـ وهو يوم استجابة الدعاء ـ بشرح الصدر ونور البصيرة.

روي عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

**«أكثر دُعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة... : اللّهمّ اجعَلْ في قَلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بَصَري نوراً، اللّهمّ اشرَحْ لي صَدَري، ويَسِّرْ لي أَمْري»**[4].

---

(١) انظر أخلاق مديريت در اسلام: ٢٨.

(٢) الزمر: ٢٢.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة: ٧ / ١٠٧ / ١؛ الدرّ المنثور: ١ / ٥٤٨.

## شرح الصدر بالكفر

أشرنا إلى أنّ شرح الصدر قد يوجّه المدير نحو القيادة الربّانيّة وتكامل الإنسان، وقد يسوقه شطر القيادة الشيطانيّة وانحطاط الإنسان.

فهو إسلاميّ بالمفهوم الأوّل، وكُفْريّ بالمفهوم الثاني.

شرح الصدر بالإسلام ينشّط الوعيَ السياسيّ الإسلاميّ للمدير، وشرح الصدر بالكفر ينشّط الوعيَ السياسيّ الشيطانيّ. وستلاحظون توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع «الوعي السياسيّ».

# الخلاصة

◙ الإدارة أحد الشرائط الأساسيّة للقائد. ولا يكون الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء مؤهّلاً للقيادة إلّا إذا كان ذا قدرة إداريّة.

◙ المرجعيّة خلافة لمقام النبوّة في إبلاغ الفتوى، والقيادة خلافة لمقام الإمامة في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلاميّ.

◙ إذا لم يتيسّر اجتماع المرجعيّة الفقهيّة والقيادة السياسيّة ـ لأيّ سببٍ كان ـ فإنّ المرجعيّة تنفصل عن القيادة.

◙ الحسّ الإداريّ فطريّ كالقريحة الشعريّة. ومن فقده فطريّاً فلن يكون مديراً كفوءً أبداً.

◙ تفتّح الفطرة الإداريّة يحتاج إلى عاملين، هما: التعليم، والتجربة.

وتفيد بعض الروايات أنّ الأنبياء كانوا يتعلّمون فنّ الإدارة ويتمرّسون عليه بهداية ربّانيّة.

◙ أشار القرآن الكريم إلى عنصر ثالث في تَفتّح الفطرة الإداريّة، وهو مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العنصر هو شرح الصدر.

◙ شرح الصدر يعني القابليّة الفكريّة والروحيّة، ويؤدّي دوره في تنضيج الحسّ الإداريّ إلى جانب التعليم والتجربة، كما يحدّد اتّجاه القيادة ومسارها صوب تكامل المجتمع أو انحطاطه.

◙ شرح الصدر بالإسلام: هو اتّساع قابليّة الإنسان لقبول الحقّ. وشرح الصدر

بالكفر: هو اتّساعها لقبول الباطل.

◘ ينشّط شرحُ الصدر بالإسلام الوعيَ السياسيّ الإسلاميّ للمدير. وشرح الصدر بالكفر ينشّط الوعيَ السياسيّ الشيطانيّ.

# الفصل الرابع

# الوعي السياسيّ

هو شرط آخر من شروط القيادة، وقد ورد التأكيد عليه في الروايات. قال الإمام الرضاعليه السلام:

**«مضطلعٌ بالإمامة، عالِمٌ بالسياسة»**[1].

ومن أهمّ مواصفات القائد: الفهم الدقيق للمسائل، وحُسن التشخيص، وسرعة الإدراك، ودقّة النظر في جميع الأُمور التي تحتاج إلى تدبير وسياسة. قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام:

**«يحتاجُ الإمام إلى قلبٍ عقول، ولسانٍ قؤول، وجَنانٍ علـى إقـامة الحـ صَؤول»**[2].

وعرضعليه السلام ملاحظاتٍ رائعة حول دور الوعي السياسيّ في القيادة والرئـاسة، حتّى أنّه يرى أنّ الحكومة هي عين السياسة. قالعليه السلام:

**«حُسنُ السياسة قوام الرعيّة»**[3].

---

(١) الكافي: ١ / ٢٠٢ / ١.

(٢) غرر الحكم: ١١٠١٠.

(٣) غرر الحكم: ٤٨١٨.

**«مَنْ حَسُنَت سياستهُ دامت رياستهُ»**[١].

**«المُلكُ سياسةٌ»**[٢].

من هذا المنطلق يمكننا أن نقيس قدرة القائد أو ضعفه بميزان وعيه السياسيّ. فضعفالوعي السياسيّ آفة القيادة، وتؤدّي هذه الآفة إلى تدمير أساس الحكومة. قال عليه السلام:

**«آفة الزعماء ضَعف السياسة»**[٣].

**«من قَصُر عن السياسة صَغُر عن الرياسة»**[٤].

**«سوء التدبير سبب التدمير»**[٥].

ولا فرق بين الإسلام وغيره منالمناهج الأُخرى في اشتراط الوعي السياسيّ للقائد، بيدَ أنّ ما يميّزه عنها في هذا المجال هو مفهوم السياسة، لا اشتراطها في القائد، فللسياسة في الإسلام مفهوم يختلف عن المفهوم الذي ذكره الساسة العلمانيّون في تفسير السياسة.

## السياسة في قاموس الساسة التقليديّن

هي عبارة عن «تحديد الهدف والحصول عليه بأيّ وسيلة كانت».

قال شبنكلر:

**«السياسيّ الفطريّ لا يهمّه حقّ الأشياء أو باطلها، ولا يرى منطق الحوادث والوقائع ومنطق الأنظمة شيئاً واحداً...»**.

---

(١) نفسه: ٨٤٣٨.

(٢) نفسه: ١٧.

(٣) نفسه: ٣٩٣١.

(٤) نفسه: ٨٥٣٦.

(٥) نفسه: ٥٥٧١.

وقال راسل :

**«الحوافز الأساسيّة عند معظم الناس هي حبّ المنفعة والعُجب والتنافس وحبّ السلطة. على سبيل المثال نجد في السياسة أنّ الحوافز المذكورة هي مصدر الأعمال والممارسات البشريّة كلّها.**

**فالقائد السياسيّ الذي يمكنه إقناع الناس بقدرته على تلبية هذه المطالب يستطيع إخضاعهم لسلطته بحيث يوقنون أنّ ٢ + ٢ = ٥. أو أنّ صلاحيّاته مفوّضة إليه من الله!**

**والقائد السياسيّ الذي لا يعتني بالحوافز المذكورة يُحرم من دعم الجماهير عادةً. وإنّ معرفة نفسيّات القوى المحرّضة للجماهير من أهمّ فروع التربية والتعليم للقادة السياسيّين الناجحين...»[1].**

وقال أيضاً :

**ويحصل جلّ القادة السياسيّين على المناصب من خلال إقناع شريحة كبيرة من الشعب بإنسانيّة مطالبهم.**

**وعُرِف جيّداً أنّ مثل هذا الرأي يقّبل بأسرع ما يكون، نتيجة لوجود الحماس. وإنّ تقييد الأشخاص وتصفيدهم والخطب العامّة والعقوبات غير القانونيّة والحرب مراحل في إيجاد الحماس وامتداده. وأعتقد أنّ أنصار الفكر غير المنطقيّ إذا تركوا الناس في حماسهم توفّرت لهم فرصة أفضل لخداعهم واستغلالهم»[2].**

وفي ضوء هذا الفهم لا يكون للسياسة من تفسير إلّا الخداع والحيلة وتضليل الناس من أجل التسلّط عليهم. من هنا ، فإنّ كلّ من كان أشدّ احتيالاً كان أسوس من غيره، وكان وعيه السياسيّ أكثر.

---

(١) برگزيده افكار راسل (مختارات من أفكار راسل): ٢ و ٣.

(٢) برگزيده أفكار راسل (مختارات من أفكار راسل): ٢٢٢.

## أنتَ أَسْوَس أم أنا؟!

قال عَديّ بن أرطاة: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله أيّنا أدهى؟

قال عمرو:

**«أنا للبديهة، وأنت للروية!»**

(أي: أنا أسرع منك فهماً وإدراكاً، ولكنّك إنْ تأمّلتَ ودقّقت استطعت وضع خطط سياسيّة أعمق، فأنا أدهى منك في الحوادث التي تحتاج إلى خطط سياسيّة فوريّة، وأنت أدهى منّي في الأمور التي فيها مجال للتفكير والدراسة).

قال معاوية: قضيتَ لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة!

قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رُفعت المصاحف؟!

قال: بها غلبتني يا أبا عبدالله. أفلا أسألك عن شيء تصدّقني فيه؟

قال: والله إنّ الكذب لَقبيح، فسلْ عمّا بدا لك أُصدِقْك!

فقال: هل غشَشْتَني منذ نصحتَني؟!

قال: لا.

قال: بلى والله، لقد غششتني. أما إنّي لا أقول في كلّ المواطن، ولكن في موطن واحد!

قال: وأيّ موطن هذا؟

قال: يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلتُ: ما ترى يا أبا عبدالله؟ فقلت: كفوٌ كريم. فأشرت عليَّ بمبارزته وأنت تعلم من هو، فعلمتُ أنّك غششتني!

قال: دعاك رجل إلى مبارزته، عظيم الشرف جليل الخطر، فكنتَ من مبارزته

على إحدى الحسنيين[١]. إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتّال الأقران، وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك. وإمّا أن تعجّل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحَسُن أُولئك رفيقاً!

قال: هذه شرٌّ من الأُولى! والله، إنّي لأعلم أنّي لو قتلتهُ دخلتُ النار، ولو قتلني دخلتُ النار!

قال عمرو: فما حمَلك على قتاله؟

قال: المُلكُ عقيم! [الرئاسة لا تعرف جنّةً ولا ناراً!] ولن يسمعها منّي أحدُ بعدك![٢].

## السياسة من منظار الإسلام

«المُلكُ عقيم» سياسة جميع الساسة الماضين والمعاصرين، وسياسة الإسلام ليست كذلك، فالحكومة في السياسة الإسلاميّة في خدمة العدالة، كما فعل رسول الله ﷺ، واقتدى به أميرالمؤمنين ﵇ من بعده.

ومع أنّ الإسلام يرى أنّ السياسة من الأدوات التي لا مناص منها للإدارة والقيادة، بيدَ أنّه يُدين السياسةَ بمفهومها التقليديّ بشدّة. ومن الفوارق الجوهريّة بين الحكومة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة هو التباين في النهج السياسيّ. وقد بيّن القائد الكبير للثورة الإسلاميّة رضوان الله تعالى عليه مفهوم السياسة في درسٍ له ألقاه على طلّابه في المنفى قبل انتصار الثورة الإسلاميّة بسنين، فقال:

**«لا تيأسوا، ولا تحسبوا أنّ هذا الأمر [إقامة الحكومة الإسلاميّة] مُحال. والله**

---

(١) إشارة إلى الآية ٥٢ من سورة التوبة: ﴿قل هل تَربّصون بنا إلّا إحدى الحسنيين...﴾.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٩ / ٥.

**يعلم أنّ أهليّتكم وجَدارتكم لتولّي أُمور الناس لا تقلّ عن الآخرين! سوى أنّنا لا نملك الإقدام على القتل بغير حقّ، وعلى الجور والخسف؛ لأنّ ذلك ليس من شأننا.**

**أحد رجال الدولة في إيران خاطبني في السجن... قائلاً: «السياسة خبث وكذب ونفاق... اتركوا ذلك لنا»!**

**هذا صحيح. ولئن كانت السياسة لا تعني إلاّ هذه الأمور فهي بهذا المعنى من شؤونهم. ولكن السياسة في الإسلام والسياسة لدى الأئمّة عليهم السلام، الذين هم «ساسة العباد» لا تعني ما قاله لي ذلك الرجل الذي أراد خداعنا والتمويه علينا. ثمّ ذهب، وفي اليوم التالي ظهرت الصحف لتعلن: «إنّه تمّ الاتّفاق على أن لا يتدخّل علماء الدين في السياسة بعد اليوم». وبعد الإفراج عنّي رقيتُ المنبر وكذّبتُ تلك الأنباء الصحفيّة التي نُشرت في حينها، وقلتُ: إنّ الرجل ليكذب. ولو أنّ الخمينيّ أو غيره قال ذلك فينبغي نفيه من البلاد.**

**وهؤلاء ـ كما ترون ـ قد ألقوا في روعكم أنّ السياسة خبث ومكر وكذب ليصرفوكم عنها، وليعبثوا بأُمور الأمّة ما شاءت لهم أنفسهم...»[1].**

نلحظ أنّ السياسة في قاموس السياسيّ التقليديّ هي في الحقيقة أداة للتحكّم والتسلّط، بيدَ أنّها في قاموس السياسيّ الإسلاميّ أداة لإقامة القسط والعدل في المجتمع. من هنا نقول في تعريفٍ جامعٍ موجز: السياسة في الإسلام فنّ إدارة الحكم لتحقيق القِيَم الربّانيّة.

السياسيّ التقليديّ يريد التسلّط، فكلّ ما يقرّبه من هذا الهدف يُعدّ سياسة، سواءً كان صدقاً أم كذباً، استبداداً أم ديمقراطيّةً، عدلاً أم ظلماً، إسلاماً أم كفراً، وسواءً ساق في آخر المطاف إلى الجنّة أم إلى النار. أمّا السياسيّ الإسلاميّ فإنّه يريد

(١) الحكومة الإسلاميّة: ١٣٦.

تحكيم العدالة في العالم بمفهومها العامّ الواسع.

من هذا المنطلق، السياسة الوحيدة التي يستطيع أن ينتهجها هي السياسة التي تُفضي إلى العدالة.

## السياسة والشيطنة!

أطلقت الروايات الإسلاميّة على الوعي السياسيّ بمفهومه الرسميّ اسم «النكراء» و«الشيطنة» و«شبه العقل».

سأل رجلٌ الإمام الصادقعليه السلام قائلاً: ما العقل؟

قال:

**«ما عُبِدَ به الرحمن، واكتسب به الجنان».**

(فكّر ذلك الشخص مع نفسه، فظنّ أنّ الأشخاص الذين لا يسخّرون عقولهم في طاعة الله تعالى والحصول على الحياة الخالدة ـ وهم عيّنات ماثلة لقادة الباطل ـ لا عقل لهم حسب التعريف، في حين أنّ الدهاء السياسيّ لكثير منهم لا يُنكر. فسأل الإمامعليه السلام مرّة أُخرى قائلاً:)

فالذي كان في معاوية؟

فقالعليه السلام:

**«تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»[1].**

قال العلّامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في توضيح كلام الإمام:

**«النكراء» الدهاء والفطنة وجَودة الرأي، وإذا استعمل في مشتهيات جنود الجهل يقال له: الشيطنة[2].**

---

(١) الكافي: ١ / ١١ / ٣، المحاسن: ١ / ٣١٠ / ٦١٣.

(٢) بحار الأنوار: ١ / ١١٦ / ٨.

إنّ طريق طاعة الله والوصول إلى الجنّة هو طريق الحقّ والعدل وتكامل الإنسان والمجتمع البشريّ. وفي ضوء التعريف الذي عرضه الإمام الصادق عليه السلام للعقل في الرواية المتقدّمة يتبيّن لنا أنّ العقل وعيٌ يدعو الإنسان إلى هذا الطريق، والعاقل هو من يطوي الطريق المذكور.

الطريق الآخر هو طريق الشيطان وجهنّم، وطريق الانحطاط وتردّي الإنسان والمجتمع، وطريق الباطل والظلم. لذا فالوعي الذي يدعو الإنسان إلى هذا الطريق المنحرف هو وعيٌ شيطانيّ حسب كلام الإمام عليه السلام.

وسمّى القرآن الكريم أيضاً الأشخاص الذين يسيرون على هذا الطريق: «شياطين الإنس»[1].

## انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

يخال الساسة التقليديون ـ الذين يرَون أنّ السياسة أداة للسلطة لا وسيلة لتطبيق العدالة ـ أنّ المواقف السياسيّة لأمير المؤمنين عليه السلام معلم على عدم معرفته بالسياسة، ويسمحون لأنفسهم أن يقولوا: كان عليّ رجل شجاعة لا رجل سياسة!

أجل، لم يكن الإمام عليه السلام سياسيّاً بالمفهوم التقليديّ للسياسة، ولكن هذا لا يعني أنّه لم يمتلك وعياً سياسيّاً إسلاميّاً، بل إنّه لم يُرِد ـ أو بتعبير أدقّ: لم يستطع ـ أن يستغلّ وعيه السياسيّ، لتمسّكه بالأُصول الإسلاميّة.

ويذكر الإمام عليه السلام السبب الذي يجعله غير سياسيّ بالمفهوم المنحرف للسياسة، فيقول:

**«لولا أنّ المكر والخديعة في النار لكنتُ أمكر الناس»**[2].

---

(١) قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيٍّ عدوّاً شياطينَ الإنس والجنّ﴾. الأنعام: ١١٢.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٣٦ / ١.

ويقول في كلام آخر:

**«هيهات، لولا التُقى لكنتُ أدهى العرب»**[١].

ويقول في موطن آخر:

**«والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدُر ويفجُر، ولولا كراهية الغدر لكنتُ من أدهى الناس ولكن كلّ غُدَرة فُجَرة وكلُّ فُجَرة كُفَرة، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يوم القيامة»**[٢].

قال ابن أبي الحديد في هذا الكلام:

**«واعلم أنّ قوماً ممّن لم يعرف حقيقة فضل أميرالمؤمنين عليه السلام زعموا أنّ عُمَرَ كان أسوسَ منه، وإن كان هو أعلم من عمر. وصرّح الرئيس أبو عليّ بن سينا بذلك في «الشفاء» في الحكمة. وكان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا وقد عرّض به في كتاب «الغُرر».**

**ثمّ زعم أعداؤه ومُباغِضوه أنّ معاوية كان أسوسَ منه وأصحّ تدبيراً»**.

ودافع ابن أبي الحديد عن سياسة الإمام عليه السلام بالتفصيل بعد نقل هذه المطالب، وذكر مانصّه:

**«وأميرالمؤمنين عليه السلام كان مقيّداً بقيود الشريعة مدفوعاً إلى اتّباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً»**.

ثمّ أثبت أنّ النهج السياسيّ للإمام عليه السلام هو نفسه النهج السياسيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله. وأجاب عن الموارد التي ذكرت كنقاط ضعف سياسيّة عند الإمام عليه السلام[٣].

وقال الأُستاذ الكبير العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه في جواب من قَدَحَ في

---

(١) غرر الحكم: ١٠٠٤١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢١٢ ـ ٢٦٠.

سياسة الإمام عليه السلام :

قال مناوئو علي عليه السلام : كان عليّ رجلاً شجاعاً ولكن لا علم له بالسياسة ؛ لأنّه كان يستطيع في أوّل خلافته أن يوادع العناصر المعارضة مؤقّتاً ويرضيها بالمداهنة ، فيوطّد بذلك أركان خلافته ، ثمّ يتفرّغ لقمعها.

بيدَ أنّ هؤلاء غفلوا عن أنّ خلافة عليّ عليه السلام كانت نهضة ثوريّة ، والنهضات الثوريّة ينبغي أن تبتعد عن المداهنة والتزوير والتزييف.

وجرى مثل ذلك في عصر البعثة النبويّة الشريفة حيث عرض الكفّار والمشركون مراراً على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يساوموه ، على أن لا يتعرّض لآلهتهم بسوءٍ وهم أيضاً يكفّون عن التعرّض لدعوته. إلاّ أنّه صلى الله عليه وآله رفض عرضهم مع أنّه كان بمقدوره أن يُدهن ويساوم في تلك الأيّام العسيرة ، فيعزّز موقعه ثمّ ينبري لأعدائه.

إنّ الدعوة الإسلاميّة لا تسمح لنفسها أن تضحّي بحقٍّ من أجل إحياء حقٍّ آخر ، أو أن ترفع باطلاً بباطل آخر.

ونقرأ في القرآن الكريم آياتٍ كثيرةً حول هذا الموضوع.

يضاف إلى ذلك أنّ مناوئي عليّ عليه السلام لم يرعووا عن ارتكاب أيّ جريمة وعن أيّ نقضٍ صريحٍ للإسلام ـ بلا استثناء ـ من أجل بلوغ أهدافهم ، وكانوا يغسلون كلّ وصمة عار من خلال زعمهم أنّهم صحابة ومجتهدون ، بيدَ أنّ عليّاً عليه السلام كان متمسّكاً بقوانين الإسلام[1].

ويمكن أن نلخّص كلام العلاّمة رحمه الله بما يأتي :

١ ـ كانت حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نهضة ثوريّة ، ومن أهمّ أُسس

(١) شيعه در اسلام (الشيعة في الإسلام) : ٥٥ ـ ٥٧.

الحكومة الثوريّة أنّها لا تهادن الانحرافات.

٢ ـ الغاية لا تسوّغ الواسطة في الإسلام، والإمامعليه السلام لم يستعمل الأساليب غير الشرعيّة لتحقيق أهدافه السياسيّة، بسبب تمسّكه بالمبادئ الإسلاميّة.

أجل، إنّ النقطة الجوهريّة في الدفاع عن سياسة الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام كلمة واحدة لا أكثر. وهي أنّ السياسة بمفهومها التقليديّ ليست إلّا التزوير والخيانة، فلا يليق بالإمامعليه السلام أن يكون سياسيّاً في ضوء هذا المفهوم. وهذه مفخرة من أعظم المفاخر في حياته المباركة وسيرته العمليّة.

وكان القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإيرانيّةرحمه الله قد جعل سياسة الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام قاعدة لتحرّكه السياسيّ.

واتّهمه الأعداء بعدم معرفته بالسياسة نتيجةً لمفردات سياسيّة مبدئيّة كثيرة نادى بها، مثل سياسة «لا شرقيّة ولا غربيّة»، وسياسة «دعم المحرومين»، وسياسة «الوقوف أمام الاستكبارالعالميّ وعلى رأسه أميركا». وهذه من المفاخر العظيمة للثورة، وهي آيةٌ على أصالتها وصواب تحرّكها.

# الخلاصة

◘ الوعي السياسيّ أحد شروط القائد. ويمكن أن نقيس قوّة القائد وضعفه تبعاً لمقدار وعيه السياسيّ.

◘ يرى الإسلام-كغيره من المبادئ- أنّ الوعي السياسيّ شرط للقيادة، بيدَ أنّ مفهوم السياسة في الإسلام يختلف عن مفهومها في سائر المبادئ.

◘ السياسة في التفسير التقليديّ تحديد الهدف والوصول إليه بأيّة وسيلة كانت، والسياسيّ التقليديّ لا يهمّه حقّ الأُمور أو باطلها، من هنا، كلّ من كان أشدّ مكراً كان أكثر سياسةً.

◘ السياسة في الإسلام فنّ إدارة الحكومة من أجل تطبيق العدالة والقِيَم الربّانيّة. فالحكومة فيه ليست هدفاً، بل هي وسيلة لخدمة القِيَم. من هذا المنطلق لا تباح كلّ وسيلة تُفضي إلى الحكومة.

◘ أطلقت الروايات الإسلاميّة على الوعي السياسيّ التقليديّ مفردات «النكراء» و «الشيطنة» و «شبه العقل». وسمّى القرآن الكريم أصحاب هذا الوعي «شياطين الإنس».

◘ الذين يرَون أنّ السياسة أداة للسلطة لا لخدمة العدالة انتقدوا المواقف السياسيّة للإمام أميرالمؤمنين‏عليه السلام. والنقطة الجوهريّة في الدفاع عن سياسة الإمام‏عليه السلام هي أنّ السياسة بمفهومها التقليديّ ليست إلّا التزوير والخيانة. ولا يجدر بالإمام أن يكون سياسيّاً بالمفهوم المذكور.

# الفصل الخامس

# معرفة الزمان

لا نريد بالزمان هنا مفهومه الفلسفيّ أو اللغويّ، فيقال: إنّ الزمان وجوديّ أو عدميّ، أو تُثار سائرالمباحث المطروحة في تعريفه. بل نريد هنا الظروف التاريخيّة للمجتمع ومتطلّبات العصر الذي يهيمن عليه.

إنّ لفترات التاريخ المختلفة مواصفاتٍ وقوانين خاصّة إذا أخذَتها القيادة بعين الاعتبار وراعتها كانت ناجحة. وإذا أهملتها فلا تجني إلّا الخيبة والخسران.

لنسمع الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام في كلام له دقيق لافت للنظر. قال:

**«من عتب على الزمان طالت معتبته»**[1].

**«من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم»**[2].

وقالعليه السلام في وصاياه لابنه المجتبىعليه السلام الذي يتولّى الأمر بعده:

**«من أمن الزمان خانه، ومن تعظّم عليه أهانه، ومن ترغّم عليه أرغمه، ومن لجأ**

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢ / ٥٣ / ٢٠٤، غرر الحكم: ٨٥٧٠، بحار الأنوار: ٧١ / ١٥٥ / ٦٩.

(٢) غرر الحكم: ٩٠٥٤.

إليه أسلمه»[١].

ونُقلت عنه﵇ روايات أُخرى[٢] بهذا المضمون، وهي تدلّ على أنّ الزمان من منظاره حقيقة في عالم الوجود لا يصحّ أمنه والغضب عليه وإعظامه[٣]، واستصغاره ومخالفته واللجوء إليه.

بعبارة أُخرى: للزمان والتاريخ قانون كقانون جاذبيّة الأرض، إذا لم نتعامل معه تعاملاً علميّاً فلا نواجه إلّا العناء والمشقّة. ولا ينبغي أن نتصوّر قانون الجاذبيّة أكثر ممّا هو عليه أو أقلّ من ذلك. كما لا ينبغي أن نخالفه أو نستسلم له. ولا يتسنّى لنا أن نغفل عن الأخطار الناجمة عنه أو نغضب عليه بسبب المشاكل التي يولّدها، بل ينبغي أن نكتشفه ونمهّد الأرضيّة السليمة لاستثماره من خلال المعرفة الصحيحة له. وهكذا قانون الزمان والتاريخ أو سنّتها.

ويمكننا عِبر هذه المقدّمة أن ندرك ـ إلى حدٍّ ما ـ سرّ الاهتمام الذي توليه الروايات بضرورة معرفة الزمان.

قال أميرالمؤمنين﵇:

**«حسب المرء... من عرفانه علمه بزمانه»[٤].**

وكلّما كان الإنسان عارفاً بزمانه استطاع أن يتنبّأ بالحوادث القادمة أفضل، ولا يندهش لأيّ حادثة لأنّه تنبّأ بها من قبل. قال الإمام أميرالمؤمنين﵇:

**«أعرف الناس بالزمان من لم يتعجّب من أحداثه»[٥].**

---

(١) تحف العقول: ٨٥، بحار الأنوار: ٧٧ / ٢١٣.

(٢) انظر ميزان الحكمة: الباب ١٥٩٣ «من أمن الزمان خانه» والباب ١٥٩٤ «من عاند الزمان أرغمه».

(٣) كما في قوله ﵇: «مَنْ أمِنَ الزمانَ خانه ومَنْ أعظمه أهانه». نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨ / ٨٠ / ٦٦.

(٥) غرر الحكم: ٣٢٥٢، ميزان الحكمة: ٧٦٢٦.

من هنا فإنّ القائد العارف بزمانه الواعي لمتطلّبات عصره يفهم واجبه في الهداية والإمامة عندما تطرأ الشبهات السياسيّة وغير السياسيّة، ولا تهجم عليه اللوابس، كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

**«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»**[١].

## معرفة القادة الربّانيّين بالزمان

في ضوء أُصولنا العقيديّة يقسّم القادة الربّانيّون ـ في ما يرتبط بمعرفة الزمان وجميع المعارف التي تحتاجها القيادة ـ إلى قسمين:

١ ـ القادة المنصوبون من الله تعالى مباشرةً وبالأصالة.

٢ ـ القادة المتصدّون لأمر الإمامة نيابةً عن قادة القسم الأوّل.

يَعرف القادة الربّانيّون ـ من القسم الأوّل ـ الزمان عن طريق الوحي أو الإلهام، وكان الأنبياء جميعهم يدركون متطلّبات عصورهم عن هذا الطريق نفسه، فيقودون مجتمعاتهم على أساسه. وإنّ نسخ الأديان الماضية من قبل الأنبياء من أُولي العزم أفضل دليل لإثبات دور الزمان في القيادة، حسب رؤية الأديان السماويّة كلّها.

وتدلّ دراسة لسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله ـ من منظار معرفته بزمانه وإدراكه لمتطلّبات عصره ـ على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوه أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام. ونشير فيما يأتي إلى مثال رائع حول معرفة الإمام عليه السلام بزمانه:

## معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بزمانه

عندما انعقدت الخلافة لأبي بكر في السقيفة انطلق أبو سفيان من وحي حقده الدفين على الإسلام، فرأى أنّ أفضل أُسلوب لإثارة الفتنة والفوضى الداخليّة ـ من

---

(١) الكافي: ١ / ٢٧ / ٢٩، تحف العقول: ٣٥٦، بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٦٩ / ١٠٩.

أجل كسر شوكة الدين ـ هو إقحام أهل البيت النبويّ وعلى رأسهم الإمام عليّ‏ عليه السلام في صراع مع قادة الحكومة.

فذهب عند العبّاس عمّ النبيّ لتنفيذ خطّته المشؤومة، وأبدى أسفه للظروف السياسيّة السائدة، وعبّر عن قلقه لخروج الخلافة من بني هاشم واستقرارها في بني تَيم. وإذا استمرّ الوضع على هذا المنوال فستكون في بني عديّ «عمر بن الخطّاب» مستقبلاً. واقترح عليه الذهاب عند الإمام عليه السلام ومبايعته خليفةً لرسول الله. وقال له: إنّ البيعة ستتمّ لأنّك عمّ النبيّ، وأنا شخصيّة وجيهة بين قريش. ومن أبى فسنقاتله ونقضي عليه.

واستطاع بهذه المكيدة أن يقنع العبّاس، فذهبا مع جماعة[1] من بني هاشم إلى الإمام عليه السلام، وعرضوا عليه البيعة، فخاطبه أبو سفيان مثيراً مشاعره قائلاً:

**«يا أبا الحسن، لا تغافل عن هذا الأمر، متى كنّا تبعاً لتيمٍ الأراذل؟!»**[2].

مع أنّ الإمام عليه السلام كان يرى أنّ الخلافة حقّه الشرعيّ، وكان متبرّماً من الوضع السياسيّ السائد، بيدَ أنّه لمّا كان عارفاً بزمانه ومجتمعه لم يرَ الأرضيّة مساعدةً لتسلّم مقاليد الأمور. وكلّ محاولة لعزل أبي بكر تستتبع تشتيت المجتمع الإسلاميّ، وكسر شوكة الدين، والرجوع إلى الجاهليّة. وما اقتراح أبي سفيان إلّا سياسة خطرة من أجل تحقيق هذه الأهداف. من هنا قال عليه السلام في جوابه:

**«أيّها الناس، شقُّوا أمواج الفِتَن بِسُفُنِ النجاة، وعرِّجوا عن طريق المنافرة، وضَعوا تيجانَ المفاخرة. أفلح من نهضَ بجناحٍ، أو استسلم فأراح. هذا ماءٌ آجِنٌ، ولُقمةٌ يَغَصّ بها آكلها، ومُجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أقُل يقولوا: حَرَصَ على المُلك، وإن أسكُت يقولوا: جَزِع من**

---

(١) انظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١ / ٣٣٠.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ١ / ٢٧٦.

**الموت، هيهاتَ بعد اللّتيّا والّتي، واللهِ لابنُ أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه، بل اندَمَجتُ على مكنون علمٍ لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشِيَةِ في الطُّويّ البعيدة»**[١].

لقد صوّر الإمام عليه السلام في هذا الكلام الجوَّ السياسيّ والاجتماعيّ للمجتمع الإسلاميّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبانَ عن الصعوبة البالغة في صنع القرار المناسب من قِبل القائد الواقعيّ في وسطٍ يتعذّر فيه الكلام والصمت. وفي مثل ذلك الوضع لو انتقد الإمام عليه السلام حكّام عصره وأعرب عن قلقه للقرار المتّخذ في السقيفة فهذا لا يعني أنّه كان طالِبَ رئاسةٍ. ولو آثر الصمت على النهوض والإطاحة بالحكم القائم فهذا لا يعني أنّه يخشى الموت والقتل، وأنّه لم يعمل بواجبه خوفاً على نفسه.

إنّ ماضي أميرالمؤمنين عليه السلام يدحض هذه التُهم. وسبب صمته هو أنّ زمانه لم يساعد على الثورة. وكلّ تحرّك متطرّف غير مدروس في ظروف لا يدعم الناس فيها الثورة يشتّت المجتمع الإسلاميّ الفتيّ ويفضي إلى تسلّط أعداء الإسلام. وينبغي أن تتنامى الثورة بالدعم الشعبيّ العامّ وحلول الوقت المناسب، عندئذٍ سيستبين للجميع أكثر من أيّ وقت مضى أنّ عليّاً عليه السلام لم يفكّر إلّا بمصلحة الإسلام والمسلمين، وأنّه لو رأى الثورة واجباً عليه فلا حاجة به إلى عرض أبي سفيان الماكر.

وقد كشف مستقبل التاريخ الإسلاميّ للجميع صحّة هذه المزاعم بوضوح. عندما تقلّد الإمام عليه السلام الأمر ببيعة الناس إيّاه ودعمهم له بعد خمس وعشرين سنة أمضاها صامتاً صابراً، قال ـ بعد واقعة النهروان ـ في خصائصه حين قام بالأمر:

**«فقمتُ بالأمر حين فشِلوا، وتَطَلَّعْتُ حين تَقبَّعوا، ونطقتُ حين تعتعوا، ومضيتُ بنور الله حين وقفوا، وكنتُ أخفضَهُم صوتاً، وأعلاهم فَوتاً. فَطِرتُ**

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥.

**بعنانها، واستبددتُ بِرِهانها، كالجبل لا تحرّكُه القواصف، ولا تزيلُه العواصف»[١].**

أجل، كان أميرالمؤمنينعليه السلام في أيّام خلافته مثالاً بارزاً للقائد العارف بزمانه. وكذلك كان الأئمّةعليهم السلام جميعهم من بعده. إذ كان صمتهم وكلامهم وحربهم وسلمهم تبعاً لما تتطلّبه عصورهم.

من هنا نحن نعتقد أنّ الإمام الحسنعليه السلام لو كان يقود الأُمّة في عصر الإمام الحسينعليه السلام لحارب يزيد. ولو كان الإمام الحسينعليه السلام متصدّياً للإمامة في عهد الإمام الحسنعليه السلام لصالح معاوية. وهكذا قاد الأئمّة الآخرونعليهم السلام المجتمع الإسلاميّ حسبما تتطلّبه عصورهم.

ويكمن سرّ غيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه في ما تطلّبه عصره يومئذٍ. فهو بقيّة الله وذخيرته لإنقاذ البشريّة وإقامة الحكومة الصالحة على الأرض، وتقتضي الحكمة الإلهيّة غيبته إلى أن تتهيّأ الأرضيّة المناسبة لإقامة تلك الحكومة.

## معرفة الفقهاء بالزمان

عندما يتولّى الفقهاء هداية الناس وقيادتهم في عصر الغيبة، فإنّ معرفتهم بالزمان ضرورة حتميّة ، فالفقيه الذي لا يعرف متطلّبات عصره فاقد لأحد الشروط الأصليّة المهمّة للاجتهاد، ولا يصلح لمقام الإفتاء والقيادة.

قال القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في دور معرفة الزمان في هداية الناس وقيادتهم، وفي ضرورة الاطّلاع على متطلّبات العصر بوصفه شرطاً للاجتهاد:

**«الزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حُكم في الماضي ربّما يكون لها حُكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون**

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٧.

**السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لنظام من الأنظمة. أي: أنّ المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة تجعل الموضوع الأوّل الذي لم يختلف عمّا كان عليه في الماضي من حيث الظاهر موضوعاً جديداً يتطلّب حُكماً جديداً لا محالة.**

**وينبغي للمجتهد أن يُلمّ بقضايا عصره. ولا يستسيغ الناس والشباب بل حتّى العوامّ أن يقول المرجع والمجتهد: لا رأي لي في القضايا السياسيّة، فالاطّلاع على كيفيّة التعامل مع الاقتصاد العالميّ، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيّين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتلّه النظام الرأسماليّ والشيوعيّ في العالم، والتعرّف على نقاط قوّتهما وضعفهما إذ هما اللذان يحدّدان استراتيجيّة التسلّط على العالم، كلّ ذلك من صفات المجتهد الجامع»**[1].

وكان الإمام الراحل ﷺ نموذجاً بارزاً للفقيه العارف بزمانه في عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملة على سيرته السياسيّة وفتاواه الحاسمة قبل انتفاضة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣م وبعدها حتّى انتصار الثورة الإسلاميّة، وإلى آخر لحظة من حياته المباركة.

وكان قبل إعداد المقدّمات لانتفاضة الخامس من حزيران ـ كسائر الفقهاء ـ مشغولاً بالدرس والبحث. أمّا بعد إعداد المقدّمات فقد بدأ تحرّكاً لا هوادة فيه ضدّ حكومة الشاه، وتصدّى لقيادة النضال. وبعد نفيه إلى النجف الأشرف اختار السكوت تقريباً، وعكف على التدريس حتّى تمهيد الأرضيّة لنهضة شعبيّة عامّة. ثمّ استأنف تحرّكه ضدّ حكومة الطاغوت في أفضل الظروف الزمنيّة، وعاد إلى إيران قادماً من فرنسا في أكثر لحظات الثورة حسّاسيّة على عكس ما أراده جميع الناصحين المشفقين. وشكّل حكومة في مقابل حكومة بختيار، وأفتى بوجوب خرق

---

(١) صحيفة النور: ٢١ / ٩٨، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩هـ.

الأحكام العُرفيّة في لحظة مصيريّة، فتكلّلت الثورة الإسلاميّة بالنصر المؤزّر.

وقاد الإمام الأُمّة الإسلاميّة منذ انتصار الثورة الإسلاميّة حتّى وفاته، في كلّ فترة من تاريخ الثورة من خلال معرفته الدقيقة بمتطلّبات العصر كما ينبغي. وإنّ قراره الحاسم في الحرب والسلم، والتعامل مع الفئات المضادّة للثورة، ووكر التجسّس الأميركيّ، ورسالته إلى غورباتشوف، وفتواه بهدر دم سلمان رشدي، وآراءه وفتاواه في شتّى القضايا السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وخطواته لاستمرار القيادة بعده في الأيّام الأخيرة من حياته المباركة، كلّ ذلك برهانٌ ساطع على معرفته بالزمان، وعلى ضرورة وجود هذه الصفة في المجتهد الجامع. وإنّ تفصيل هذا المجمل يحتاج إلى رسالة مستقلّة تدور حول المعرفة المذكورة، أرجو من الكتّاب الملتزمين الاهتمام بتدوينها.

# الخلاصة

▣ معرفة الزمان تعني معرفة الظروف التاريخيّة للمجتمع ومتطلّبات العصر.

▣ نجاح القائد رهينٌ بمعرفته الصحيحة بالقوانين التي تحكم الزمن واستثمارها بنحوٍ سليم.

▣ العالم العارف بزمانه يتنبأ بالحوادث التاريخيّة قبل وقوعها، فلا يندهش لأيّ حادثة.

▣ القائد العارف بزمانه لا يُفاجَأ، ويدرك واجبه جيّداً في الشبهات.

▣ نسخ الأديان السابقة من قبل الأنبياء أولي العزم، أفضل دليل على اثبات دور الزمان في القيادة من منظار جميع الأديان السماويّة.

▣ تدلّ دراسة لتاريخ النبيّ صلى الله عليه وآله في حقل معرفة الزمان على أنّه كان نموذجاً بارزاً للقائد العارف بزمانه.

▣ موقف الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام السديد ممّا جرى في السقيفة مثال واضح لقرار مصنوع من قِبل قائد عارف بزمانه في مرحلة حسّاسة من مراحل التاريخ الإسلاميّ.

▣ أوصياء نبيّنا صلى الله عليه وآله جميعهم كانوا عارفين بعصورهم. فصمتهم وكلامهم وسلمهم وحربهم مفردات تتناسب مع عصورهم.

▣ جاءت غيبة الإمام المهديّ عليه السلام وفقاً لما يتطلّبه عصره. وتقتضي الحكمة الإلهيّة غيبته إلى أن تتهيّأ الأرضيّة المناسبة لحكومته الإسلاميّة العالميّة.

▣ الإمام الخمينيّ قدس سره نموذج بارز للفقيه العارف بزمانه في عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملة على سيرته السياسيّة وفتاواه المصيريّة لإثبات ما نقول.

# الفصل السادس

# معرفة الناس

معرفة الناس من الضرورات الأُولى للقائد في جميع الحكومات، بخاصّة الحكومات القائمة على التصويت الشعبيّ. وهذه قاعدة لا يُستثنىٰ منها حتّى القادة الذين يمارسون العُنف والإرهاب لاستمرار حكوماتهم.

إنّ معرفة الناس في الحقيقة أحد العناصر الأصليّة للوعي السياسيّ. وكلّما إزدادت معرفة القائد بشعبه وأدرك مطالبه وحاجاته المادّيّة والمعنويّة بنحوٍ أدقّ وأحاط بنقاط قوّته وضعفه كان أنجح.

## النبيّ صلى الله عليه وآله ومعرفة الناس

إحدى النقاط المشرقة في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله معرفته بالناس. وهي نقطة قلّما اهتمّ بها كتّاب السِيَر أو أنّها لم تنل اهتماماً قطّ. وإذا جمعنا ما جاء في تضاعيف كتب الحديث والتاريخ حول هذا الموضوع صار رسالةً مفيدةً ذات جانب تعليميّ.

من الطبيعيّ أنّ المسلمين الذين يرَون أنّ معرفة القادة الربّانيّين ـ في أمر القيادة ـ مرتبطة باتّصالهم بمبدأ الوحي والإلهام لا يثير عجبهم كثيراً معرفتهم بالناس، ولكن

من الضروريّ الالتفات إلى هذه النقطة للتعرّف على أُسس القيادة في الإسلام.

وتدلّ دراسة لتاريخ النبيّ ﷺ في مجال معرفة الناس على أنّه كان أعرف الأُمّة بالخصائص الروحيّة والأخلاقيّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لأفرادها. فأُسلوب الدعوة في بدايتها، والنضال ومرحليّته، وتعامله الخاصّ والعامّ مع الناس، كلّ ذلك يبيّن حقيقة معرفته بالناس.

إنّ أفضل دليل على ما نقول قدرته ﷺ الفائقة العجيبة على إحداث التبدّل السريع الشامل في ثقافة مجتمع إبّان عصر البعثة.

فالثورة التي قادها ﷺ في المجتمع المتخلّف يومئذٍ وأثمرت سريعاً لا يمكن أن تتحقّق بلا معرفة سديدة ودقيقة بالناس.

ولمّا كان يعرف الناس جيّداً ويخبر قابليّاتهم الفكريّة والروحيّة والأخلاقيّة والعاطفيّة جيّداً فقد كان قادراً على أن يكلّم كلّ أحد ويتعامل معه بمقدار ما يستوعبه فكريّاً وروحيّاً، وهكذا مارس دوراً قياديّاً شعبيّاً قويّاً فائقاً. ولا جَرَم أنّ الأنبياء عليهم السلام جميعاً كانوا يتّسمون بهذه الصفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

**«ما كلّم رسول الله ﷺ العبادَ بكنه عقله قطّ. قال رسول الله ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»**[1].

وروي أنّ قوماً أُسارى جيء بهم إلى رسول الله ﷺ، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بضرب أعناقهم. ثمّ أمره بإفراد واحد منهم وأن لا يقتله، فقال الرجل: لِمَ أفردتني من أصحابي والجناية واحدة؟! فقال:

**«إنّ الله عزّوجلّ أوحى إليّ أنّك سخيُّ قومك وأن لا أقتلك».**

(١) الكافي: ١٥/٢٣/١، و: ٣٩٤/٢٦٨/٨، بحار الأنوار: ٧/٨٥/١، و: ١٢٢/٢٨٠/١٦، ميزان الحكمة: ١٩٢١٧.

فقال الرجل: فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، قال: فقاده سخاؤه إلى الجنّة[١].

إنّ النقطة المهمّة التي يمكن أن نتعلّمها من هذا الموقف في مجال القيادة هي أنّنا يتسنّى لنا أن نهدي كثيراً من المنحرفين وغير الصالحين المستعدّين للهداية إلى الصراط المستقيم من خلال المعرفة الدقيقة بالناس، التي تتيسّر عن طريق غير الوحي أيضاً.

## الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة الناس

تدلّ دراسة لتاريخ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله على أنّه برّز أهل زمانه في معرفته بالناس، كرسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يعمل عملاً بغير حساب.

كان عليه السلام يتّصف بصفات عجيبة لا يتيسّر الاتّصاف بها عبر الطرق الطبيعيّة لمعرفة الناس، مضافاً إلى ماكان يتمتّع به من ذكاء فطريّ حادّ وتجربة كسبها خلال السنين المتواترة للنضال. فكان إذا نظر في وجه أحد تفرّس ما في أعماق قلبه، وكان يعرف الصديق من العدوّ بسهولة. من هنا لم يستطع أن يخدعه الأعداء المتظاهرون بالولاء.

ذكر عليه السلام أنّ الله تعالى مَنَّ عليه بهذه الصفة ببركة دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله له يوم خيبر، فقال:

**«... وإنّي لأعرفهم حينما أنظر إليهم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا تفل في عيني وأنا أرمدُ قال: أذْهِبْ عنه الحرَّ والقرَّ والبرْد، وبصِّرْهُ صديقه مِنْ عدوّه. فلم يُصبني رَمَدٌ بَعْدُ ولا حَرٌّ ولا بَرْدٌ، ولأنّي أعرف صديقي من عدوّي»[٢].**

قال الإمام الباقر عليه السلام: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في المسجد وأصحابه حوله،

---

(١) الاختصاص: ٢٥٣؛ بحار الأنوار: ٧١ / ٣٥٤ / ١٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٩٠ / ١.

فأتاه رجل من شيعته فقال له: يا أميرالمؤمنين، إنّ الله يعلم أنّي أدينه بحبّك في السرّ كما أدينه بحبّك في العلانية، وأتولّاك في السرّ كما أتولّاك في العلانية. فقال له أميرالمؤمنين:

**«صدقت. أما فاتّخذ للفقر جلباباً...»**

قال: فولّى الرجل وهو يبكي فرحاً لقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «صدقت».

وقال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: كان هناك رجل من الخوارج وصاحباً له قريباً من أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال أحدهما: تالله إن رأيت كاليوم قطّ! إنّه أتاه رجل فقال له: إنّي أُحبّك، فقال له: صدقت، فقال له الآخر: ما أنكرت ذلك، أتجد بُدّاً من أن إذا قيل له إنّي أُحبك أن يقول صدقت؟! أتعلم أنّي أُحبّه؟ فقال: لا، قال: فأنا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل، فيردّ عليَّ مثل ما ردّ عليه، قال: نعم.

فقام الرجل، فقال له مثل مقالة الرجل الأوّل. فنظر إليه مليّاً، ثمّ قال له:

**«كذبتَ، لا واللهِ ما تُحِبُّني وَلاَ أُحِبُّكَ».**

فبكى الخارجيّ، ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين، تستقبلني بهذا وقد علم الله خلافه!... فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وأن خرج الرجل معهم فقُتِل[1].

## الأئمة ومعرفة الناس

عبّرت الروايات المأثورة عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالمعرفة عن طريق «التوسّم» و «التفرّس». وتدلّ دراسة دقيقة لهذه الروايات على أنّ الانسان يبلغ النورانيّة والبصيرة في مراحل الإيمان الرفيعة، فيستطيع أن يرى باطن الناس وضميرهم، ويكشف أسرارهم بنظرةٍ إلى وجوههم.

---

(١) الاختصاص: ٣١٢.

قال رسول الله ﷺ:

**«اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله. ثمّ قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1] قال: المتفرّسين»**[2].

وروي في حديث آخر عنه أنّه قال:

**«إنّ لله عزّ وجلّ عباداً يعرفون الناس بالتوسّم»**[3].

إنّ إحدى خصائص الأئمّة المعصومين عليهم السلام المؤكّد عليها في الروايات هي معرفتهم الناس بالمفهوم العميق الكامل للكلمة. قال أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في تفسير الآية المتقدّمة:

**«كان رسول الله ﷺ المتوسّم، وأنا من بعده، والأئمّة من ذرّيّتي المتوسّمون»**[4].

قال محمّد بن حرب الهلاليّ أمير المدينة في عصر الإمام الصادق عليه السلام: قلت لجعفر بن محمّد عليهما السلام: في نفسي مسألة أُريد أن أسألك عنها.

قال الإمام عليه السلام: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني.

قال: يابن رسول الله، وبأيّ شيءٍ تعرف ما في نفسي قبل سؤالي عنه؟

قال:

**بالتوسّم والتفرّس، أما سمعت قول الله عزّوجلّ: ﴿إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين﴾ ؟! وقول رسول الله ﷺ: «اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور**

---

(١) الحجر: ٧٥.

(٢) نقله البخاريّ في تاريخه، والترمذيّ وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السنّي وأبو نعيم في كتاب الطبّ، وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدريّ. انظر الدرّ المنثور: ٥ / ٩١، سنن الترمذيّ: ٥ / ٢٩٨ / ٣١٢٧، تفسير ابن كثير: ١ / ٣٩٩، و: ٢ / ٦٧٦، المعجم الأوسط: ٨ / ٢٣ / ٧٨٤٣.

(٣) المعجم الأوسط: ٣ / ٢٠٧ / ٢٩٣٥، كنزالعمّال: ٣٠٧٣٢. ورواه الترمذيّ والبزّار وابن السنّي وأبو نعيم عن أنس. انظر الدرّ المنثور: ٥ / ٩١.

(٤) الكافي: ١ / ٢١٨ / ٥.

**الله عزّوجلّ»** ؟[١].

ويستبين من هذه الروايات وأحاديث كثيرة غيرها[٢] ـ ممّا لا يسعه هذا المجال ـ أنّ معرفة الناس حسب الرؤية الإسلاميّة شرط للإمامة والقيادة، وأنّ قائد الأُمّـة ينبغي أن يحرز هذا الشرط بالتناسب مع درجات الإمامة.

---

(١) معاني الأخبار: ٣٥٠ / ١.

(٢) انظر أُصول الكافي: ١ / ٢١٨ باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمّة عليهم السلام ... . وبصائر الدرجات: ٣٥٤ / ١٧.

# الخلاصة

◘ معرفة الناس من الضرورات الأُولى للقيادة، بخاصّة في الحكومات القائمة على التصويت الشعبيّ. وكلّما ازدادت معرفة القائد بشعبه كان أنجح في قيادته.

◘ تدلّ دراسة لتاريخ النبيّ ﷺ على أنّه كان أعرف الأمّة بالخصائص الروحيّة والأخلاقيّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لأفرادها. فأُسلوب الدعوة والنضال في باديء الأمر، ومرحليّة النضال، والتعامل مع الناس، والأهمّ من ذلك كلّه: إحداث التبدّل السريع الشامل في ثقافة المجتمع إبّان عصر البعثة، كلّ ذلك أدلّة قاطعة على معرفة النبيّ الفائقة بالناس.

◘ ترشدنا دراسة لتاريخ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام السياسيّ بعد النبيّ ﷺ إلى أنّه بَزّ أهل زمانه في معرفته بالناس.

◘ إحدى خصائص الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه كان يستطيع أن يعرف الموالي من المعادي بنظرة واحدة، وذلك بفضل دعاء النبيّ ﷺ له.

◘ عبّرت الروايات عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالتوسّم والتفرّس، ويحصل الإنسان عليهما في مراحل الإيمان الرفيعة. وكانت هذه الخاصّيّة للأئمّة المعصومين عليهم السلام جميعاً.

# الفصل السابع

# مداراة الناس

إنّ ضرورة اتّصاف القيادة بمداراة الناس أمر منطقيّ وبديهيّ تماماً في نظر الأُمم والشعوب كافّة، ذلك أنّ القيادة لا تتيسّر بدونه مبدئيّاً. أمّا في نظر الذين يفكّرون برضا الناس في مقابل رضا الله فإنّه يبدو سقيماً في أوّل نظرة، بل يبدو مشيناً للقادة الربّانيّين. من هنا تحتاج ضرورة هذه الصفة للقائد في الإسلام إلى توضيح أكثر.

وفي دراسة دقيقة للنصوص الإسلاميّة وسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام، في مداراة الناس تستوقفنا نقطتان جديرتان بالاهتمام:

١ ـ أنّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة وإرضاءهم ليسا في مقابل رضا الله تعالى بل هما يطّردان في مرضاته. وهذا مبدأ سياسيّ مهمّ في الحكومة الإسلاميّة، كما خاطب أميرالمؤمنين عليه السلام مالك الأشتر رضوان الله عليه قائلاً:

**«ولْيَكُنْ أحبَّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمُّها في العدل، وأجْمَعُها لرضا الرعيّة، فإنّ سُخْطَ العامّة يُجحِفُ برضا الخاصّة، وإنّ سُخْطَ الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة»**[1].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

٢ ـ قد تتأصّل الثقافة الغالطة المسيطرة على المجتمع بنحوٍ يستتبع الاصطدام بها سخطاً عامّاً، ويُحدث هزّةً في أركان الحكومة الإسلاميّة.

وحينئذٍ يجوز العدول عن سياسة مداراة الناس إذا لم تتهدّد أُصول الإسلام وأهدافه.

من هنا فإنّ القادة الربّانيّين ـ مع أنّ تلبية المطالب الشرعيّة للناس تتصدّر برامجهم الحكوميّة ـ يعملون عن رويّةٍ في مواجهتهم للمطالب غير الشرعيّة. ويتحامون من الأعمال التي تستتبع سخطاً عامّاً، إلّا في الحالات التي تتهدّد بها أُصول دعوتهم.

## النبي صلى الله عليه وآله ومداراة الناس

من النقاط البارزة واللافتة للنظر في الحياة السياسيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله سياسته في مداراة الناس بلا عدول عن مبادئ الإسلام. بيدَ أنّه عندما طُلب منه أن يتنازل عن المبادئ رفض ذلك بصراحة مهما كلّف الثمن. ونلاحظ ذلك حين نقل إليه عمّه أبو طالب عرضاً من زعماء قريش في تمليكه عليهم بشرط أن يترك الدعوة إلى التوحيد، فقال:

**«يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته»**[1].

ولكن عندما لا يتعلّق الأمر بترك الهدف والتنازل عن المبادئ نرى أنّه صلى الله عليه وآله يبذل قصارى جهده ليُرضي العامّة. من أجل ذلك كان يتجنّب القيام ببعض الأعمال الحسنة غير الضروريّة للحؤول دون جرح مشاعر الناس. وكذلك كان يدفع مبالغ معيّنة من بيت المال لوقاية الأشخاص الحديثي عهد بالإسلام من الانحراف، أو لتأليف قلوب

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٨٥.

الأعداء المتظاهرين بالولاء وجعلهم موالين حقيقيّين، أو لتقليل حقد الأعداء اللُدّ. وقد يعفو عن أشخاص يستحقّون القتل للوقوف بوجه الإشاعات التي تُبَثّ ضدّ الحكومة الإسلاميّة.

## وقاية الأتباع من الانحراف

إنّ الخطوات التي كان يتّخذها رسول الله ﷺ لوقاية أتباعه الجُدُد من الانحراف أو الانفصال يمكن أن تُعَدَّ من مصاديق سياسته في مداراة الناس.

روى عامر بن سعد عن أبيه قال: إنّ رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وأنا جالسٌ فيهم. قال: فترك رسول الله ﷺ رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ. فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته، فقلت: يا رسول الله، ما لَكَ عن فلان؟ والله إنّي لأراه مؤمناً!...

فسكت قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، ما لَكَ عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً! فسكت... فقلت: يا رسول الله، ما لَكَ...؟ قال:

**«إنّي لأُعطي الرجلَ وغيرُه أحبّ إليَّ منه، خشية أن يكبّ في النار على وجهه»**[1].

هذا الكلام الحكيم يعبّر عن حقيقة، وهي أنّ على القيادة في النظام الإسلاميّ أن تُعنىٰ عنايةً بالغة ببعض الأشخاص في المجتمع. خاصّة حديثي العهد بالمفاهيم الإسلاميّة للحؤول دون انحرافهم، وإلّا فإنّهم يمنون بالانحطاط والانحراف، ويتّبعون سبيل غيرالمؤمنين، ويضيعون حياتهم الخالدة بسبب ضعف نفوسهم وضيق نظرهم. فعناية القيادة البالغة برفاهيّة هؤلاء سياسة سديدة، لكنّها لا تدلّ على أنّ لهم قيمة حقيقيّة، وأنّ غيرهم لا قيمة لهم.

---

(١) صحيح مسلم: ٢ / ٧٣٢ / ١٣١، تفسير ابن كثير: ٢ / ٤٤٥، سنن الترمذيّ: ٣ / ٥٣ / ٦٦٦.

## تأليف قلوب الأعداء

كان رسول الله ﷺ يهب قسماً من غنائم الحرب لعدد من ألدّ أعداء الإسلام الذين كانوا قد أسلموا ظاهراً، حتّى اعترض عليه طائفة من أصحابه، وقالوا:

**«يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم»**[1].

قال ذلك أُناس من الأنصار يوم حُنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل.

فحُدِّث رسول الله بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار... فلمّا اجتمعوا جاءهم... فقال: ما حديثٌ بلغني عنكم؟

فقال له فقهاء الأنصار: أمّا ذوو رأينا، يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً. وأمّا أُناسٌ منّا حديثة أسنانهم... فقال رسول الله ﷺ:

**«إنّي أُعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألّفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله؟! فوالله لما تنقلبون به خيرٌ ممّا ينقلبون به».**

فقالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا[2].

نلحظ هنا أنّ رسول الله ﷺ مارس أبلغ الفطنة والسياسة في مداراة الناس. فمن جهة عمل ـ بإعطاء الهديّة ـ على تليين المتظاهرين بالإسلام الذين كانوا يشكّلون خطراً عليه. ومن جهةٍ أُخرى كسب قلوب الموالين الذين لم يُعطهم شيئاً من الغنائم، عبر تعامله المفعم بالعاطفة معهم.

---

(١) صحيح البخاريّ: ٣/١١٤٧/٢٩٧٨، صحيح مسلم: ٢/٧٣٣/١٠٥٩، مسند ابن حنبل: ٤ / ٣٣١ / ١٢٦٩٦، السنن الكبرى: ٦ /٥٤٨ / ١٢٩٣٤، و: ٧ / ٢٨ / ١٣١٨١.

(٢) صحيح البخاريّ: ٤/٥٧٥/٤٠٧٦، صحيح مسلم: ٢ / ٧٣٢ / ١٠٥٩، مسند ابن حنبل: ٤ / ٣٣٢ / ١٢٦٩٦.

## وقاية القيادة من الأراجيف المثارة ضدّها

لم يصطدم النبيّ ﷺ بأشدّ أصحابه نفاقاً في حالات كثيرة، وذلك من أجل الوقوف بوجه الأراجيف التي تُبَثُّ ضدّ القيادة، وتستبع تشكيك الناس بها في آخر المطاف، ومع أنّ قتلهم كان يبدو ضروريّاً للحؤول دون تخريبهم وإثارتهم للفتن، إلّا أنّه كان يتغاضى عن ذلك لمصالح أهمّ.

وكان عبدالله بن أُبي أحد المنافقين الذين حدّثنا القرآن الكريم بتآمرهم ونفاقهم في سورة «المنافقون». وعندما عُرِض على النبيّ ﷺ قتله قال:

**«لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه»**[1].

إنّ الإشاعة التي تُضعف القاعدة الشعبيّة للحكومة الإسلاميّة أخطر على المجتمع الإسلاميّ من وجود منافق في صفوفه بمرّات كثيرة.

من هنا كان رسول الله ﷺ يحظُر عقوبة بعض المجرمين من الصحابة.

## الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومداراة الناس

كانت سيرة الإمام عليّ عليه السلام في مداراة الناس وإرضائهم ودعمهم كسيرة النبيّ ﷺ تماماً، فقد كان يتفادى كلّ عملٍ يُسخط الناس. لذلك تعذّر عليه الوقوف بوجه كثير من الانحرافات في بداية خلافته.

وظهرت انحرافات كثيرة في المجتمع الإسلاميّ، وتطبّع الناس عليها خلال المدّة التي كان الإمام قد أُقصِيَ فيها عن الساحة السياسيّة، وأخطر من ذلك أنّ هذه الانحرافات قد رسخت في المجتمع وأُقِرّت باسم الإسلام الأصيل حين عاد الإمام عليه السلام إلى الساحة السياسيّة، فمن الطبيعيّ أنّ الموقف المتعجّل منها يُفضي إلى سخط الناس، ويولّد مشاكل مختلفة.

---

(١) صحيح البخاريّ: ٤ / ١٨٦٢ / ٤٦٢٢، الدرّ المنثور: ٨ / ١٧٧.

وقد صوّر الإمامعليه السلام الواقع المرّ بعد مقتل عثمان وإقبال الناس عليه لمبايعته ، فقال:

**«دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمراً لهُ وجوهٌ وألوان، لا تقومُ له القلوب، ولا تَثبُتُ عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت، واعلموا أنّي إن أجبتُكُم رَكبتُ بكم ما أعلم، ولم أُصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلّي أسمَعُكُم وأطوَعُكُم لِمَن ولّيتُمُوه أمرَكُم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم منّي أميراً»**[1].

يا عجباً! إنّ من يرى نفسه خليفة النبيّ بلا فصل، ومن كان يعبّر عن ظُلامته ـ بل ظُلامة الإسلام ـ بكلام يحرق القلب حيثما اقتضى ذلك خلال السنين الخمس والعشرين التي أمضاها بعيداً عن الخلافة، يرفض بيعة الناس ويقول لهم: «دعوني والتمسوا غيري»، في حين قد أقبلوا عليه بأرواحهم وقلوبهم وقلّدوه أمرهم وأصرّوا عليه أن يتولّى قيادتهم! وهو يطلب منهم أن يتركوه وحاله، ويبايعوا غيره، ويعمل هو كأحد الناس، ولعلّه أطوعهم لوليّ أمرهم! وأخيراً يخبرهم أنّه لهم وزيراً خيرٌ لهم منه أميراً! لماذا؟!

لقد عرضعليه السلام نفسه السبب الذي دعاه إلى رفض قيادة الأُمّة الإسلاميّة، وهو الحالة التي كان عليها المجتمع يومئذٍ.

فقد ظهرت تحريفات كثيرة في المجتمع الإسلاميّ بعد ربع قرن على وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وعَلِقت بالإسلام الأصيل شوائب جمّة كالغمائم السوداء التي تحجب شمس الإسلام الحقيقيّ وتُظلِمُ مسير معرفة الحقيقة، وكان الناس ينتظرون منه أن يقودهم في نفس الطريق الذي ألفوه عدد سنين، أمّا الطريق الجديد فلاينسجم مع طبيعتهم، وهو كما قالعليه السلام: «لا تقومُ له القلوب ولا تَثبُتُ عليه العقول».

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٢.

يريد الإمام عليه السلام من كلامه وموقفه أن يحقّق الأهداف الآتية:

١ ـ يُشعر الناس أنّه غير متعلّق بالرئاسة، وأنّ ما قاله إلى الآن حول إمامته وقيادته هو من أجل توضيح الحقائق وتأمين مصالح المجتمع. وإذا قبل أن يقود الناس فلا هدف له إلّا إقامة الحقّ. لذا لا يحقّ لأيّ فردٍ أو جماعةٍ أن يتّخذ من بيعته إيّاه ذريعةً لفرض إرادته عليه ومطالبته بشيء.

٢ ـ ينذر المسلمين أنّ الإسلام قد مُنيَ بالتغيير والتحريف خلال السنين الخالية، وأنّ ما يُطرح الآن باسم الإسلام في المجتمعات الإسلاميّة بعيدٌ كلّ البعد عن الإسلام الأصيل، وأنّ مكافحة هذه التحريفات تستتبع توتّراً سياسيّاً واجتماعيّاً بالغاً.

٣ ـ ينبّه الناس على أن يتأهّبوا لإزالة التحريفات، وإعادة بناء المجتمع معنويّاً، وتحكيم الإسلام الأصيل، ويلتفتوا إلى أنّ بيعته تعني البيعة مع أهدافه، والاستعداد لتطهير الإسلام الأصيل من شوائب التحريف.

## سياسة الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات

أجل، في مثل تلك الأجواء قبِل الإمام عليه السلام قيادة الأُمّة الإسلاميّة بعد إصرار الناس، بيدَ أنّ النقطة المهمّة هي أنّه لم يواجه الانحرافات بتعجّل، لأنّ الاصطدام المفاجئ بجميع الانحرافات التي ألفها المجتمع باسم الإسلام سنين من عمره يُسخط عامّة الناس عليه، ويوهي أركان الحكومة. وقسّم عليه السلام الانحرافات إلى قسمين تبعاً لسياسة النبيّ صلى الله عليه وآله:

الأوّل: الانحرافات التي كانت تتناقض مع الأهداف الأصليّة للإسلام. ومكافحتها لا تستتبع نتائج وخيمة وتوتّراً سياسيّاً واجتماعيّاً كبيراً يُسخط جمهور الناس.

الثاني: الانحرافات التي لم تهدّد أساس الإسلام. والوقوف أمامها يُسخط معظم الناس على الحكومة.

بدأ الإمام عليه السلام بمكافحة القسم الأوّل من الانحرافات منذ اليوم الأوّل لخلافته. ولم يهدأ لحظة واحدة عن مقارعة الجائرين والمتحكّمين وكانزي الثروة، الذين انتهكوا حقوق المظلومين باسم صحبة النبيّ، مستغلّين سوابقهم المشرقة. أُولئك المتظاهرون بالإسلام الذين كانوا ينتقدون فلسفة الثورة الإسلاميّة، بل فلسفة نهضة الأنبياء القائمة على القسط والعدل.

ومنذ اليوم الأوّل من خلافته عرض الإمام سياسته المبدئية عن طريق الإشارة والتعريض، وأعلن للأُمّة أنّه سيستعمل الحكومة وسيلة لإقامة الإسلام الحقيقيّ وحده، ولا يلتفت إلى انتقادات الذين تضيرهم هذه السياسة.

صعد المنبر في اليوم الثاني من خلافته، وصرّح بما أشار إليه في اليوم الأوّل، وقال:

**«... ألا وإنّ الله عالمٌ مِن فوقِ سمائِهِ وعَرْشِهِ أنّي كنتُ كارهاً للولاية على أُمّة محمّد، حتّى اجتمع رأيُكم على ذلك ؛ لأنّي سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أيّما والٍ وَلِيَ الأمرَ مِنْ بَعْدي، أُقيمَ علىٰ حَدِّ الصراط، ونَشَرت الملائكة صحيفته. فَإِنْ كانَ عادلاً أنجاه اللهُ بِعدلِهِ، وَإِنْ كانَ جائِراً انْتَفَضَ بِهِ الصِّراطُ حَتّىٰ تَتَزايَلَ مَفَاصِلُهُ، ثمّ يَهوي إلى النارِ...»**

ثمّ التفت عليه السلام يميناً وشمالاً، فقال:

**«ألا لا يقولَنَّ رجالٌ منكم غداً قَدْ غَمرَتْهُمُ الدنيا فاتّخذوا العقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتّخذوا الوصائف الروقة ؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصَرْتُهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حَرَمَنَا ابن أبي طالب حقوقنا!**

**ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أنّ الفضل له على من سواهُ لصحبته فإنّ الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على**

**الله.**

**وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قِبْلَتنا فَقَد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد اللهِ، والمالُ مالُ اللهِ يقسّم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحدٍ على أحدٍ...»**

وكان هذا الكلام المتين كالصاعقة على رؤوس من يعنيهم، فبدأت الاعتراضات.

وفي اليوم الثالث من حكومته عليه السلام وفد الناس على بيت المال لأخذ حقوقهم.

فقال لعبيدالله بن أبي رافع كاتبه:

**«ابدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كلّ رجلٍ ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلّهم ـ الأحمر والأسود ـ فاصنع به مثل ذلك».**

فقال سهل بن حنيف: يا أميرالمؤمنين، هذا غلامي بالأمس، وقد أعتقته اليوم. فقال:

**«نعطيه كما نعطيك».**

فأعطى كلّ واحدٍ منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضّل أحداً على أحد.

وتخلّف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها.

وبدأت الاعتراضات بحضور كاتبه، فأخبر الإمام عليه السلام، فقال:

**«والله، إنْ بقيتُ وسلمتُ لهم لأُقيمنّهم على المحجّة البيضاء والطريق الواضح. قاتل الله ابن العاص! لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أنّي أُريده وأصحابَهُ ممّن هلك فيمن هلك».**

فبينا الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن

عليّ‏عليه السلام. ثمّ طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير فجلسوا إليهما. ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعةً، ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فجاء إلى عليّ‏عليه السلام، فقال:

إنّك وترتنا جميعاً، أمّاأنا فقتلت أبي يوم بدرٍ صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا.... ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان، وأن تقتل قتلَته، وإنّا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام!

فقال أميرالمؤمنين‏عليه السلام:

**«أمّا ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم، وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم. وأمّا قتلي قتلَة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس! ولكن لكم عليَّ إن خفتموني أن أؤمّنكم. وإن خفتكم أن أُسيّركم».**

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم، وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف... فقام أبو الهيثم وعمّار وأبو أيّوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم، فدخلوا على عليٍّ‏عليه السلام، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، انظر في أمرك، وعاتب قومك، هذا الحيّ من قريش فإنّهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك! وذلك لأنّهم كرهوا الأُسوة وفقدوا الأثرة... وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألّفاً لأهل الضلالة. فرأيك!...

وكان قصدهم من ذلك أن يعيد الإمام‏عليه السلام النظر في سياسته ولا يجرح مشاعر الأعيان والوجهاء.

رفض الإمام‏عليه السلام عرضهم، وصعد المنبر بهيئةٍ خاصّة، وخطب خطبةً بالغة الروعة في العدل والقسط.

ثمّ بعث إلى طلحة والزبير وتحدّث إليهما مدافعاً عن سياسته بالتفصيل.

وأكّد لهما في آخر كلامه أنّ هذه السياسة هي عين سياسة النبيّ ﷺ، وأنّه لن يعدل عنها فيهم وفي غيرهم[١].

هذه السياسة ـ وإنّ ولّدت متاعب كثيرة لحكومة الإمام عليه السلام ـ كانت ناجحة مع ما رافقتها من مصاعب، وذلك بسبب دورها الأساس في تبيين أهداف الحكومة الإسلاميّة ودعم الناس لها. ولم يخش الإمام عليه السلام الصعاب، وما كان مهمّاً عنده هو إمكان الوقوف بوجه الزيغ والانحراف، وهو ما يتكفّل الدعم الجماهيريّ بتوفيره له.

أمّا مواجهة الانحرافات التي كانت قد اتّخذت طابعاً دينيّاً في المجتمع الإسلاميّ وألفها الناس عدد سنين فلم تتيسّر يومئذٍ، لأنّها على عكس مواجهة الانحرافات من القسم الأوّل، فهذه تسبّب سخطاً عامّاً وتوهي أركان الحكومة الإسلاميّة.

بعبارة أُخرى: المواجهة العاجلة الطائشة للانحرافات التي غدت سنّةً في المجتمع الإسلاميّ لا تؤدّي إلى تصحيحها، بل تولّد انحرافاً أكبر منها، وهو سقوط الحكومة الربّانيّة.

وقد كشف الإمام عليه السلام عن هذه الحقيقة المرّة لأحد أتباعه المقرّبين، وهو عامر بن واثلة، وأقسم أنّه لا يستطيع أن يخبر الناس بالحقائق التي يعرفها من الإسلام، ولو أخبره بشيء منها فلا يلبث أن يبقى معه إلّا أفراد قلائل منهم[٢].

وفي كلام خاصّ له عليه السلام لطائفة من أهل بيته وخاصّة أصحابه، قدّم توضيحاً أكثر حول الانحرافات والبدع الجارية في المجتمع الإسلاميّ، وصعوبة مقارعتها أيضاً. وحلّل فيه أصل الانحرافات الطارئة في المجتمع الإسلاميّ، وقال:

**«... إنّما بدءُ وقوع الفتن أهواء تُتّبع وأحكام تُبتدع، يخالَف فيها كتابُ الله**

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة: ٧ / ٣٦ ـ ٤٧.

(٢) الكافي: ٨ / ٥٨ / ٢١، المحاسن: ١ / ٣٣٠ / ٦٧٢، و: ص ٣٤٣ / ٧١١، نهج البلاغة: الخطبة ٥٠، بحار الأنوار: ٢ / ٢٩٠ و ٣١٥، و: ٣٤ / ١٧٢ و ١٧٦.

**ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً»**[١].

بعبارة أُخرى: أصل الانحرافات هو أهواء ونزوات الحكّام الذين يتولّون قيادة المجتمع. هذه الأهواء تصبح حكماً وأمراً وقانوناً، وتشيع في المجتمع، وتغدو قاعدة للحكم والامتثال.

ثمّ يشير الإمامعليه‌السلام إلى نقطة مهمّة وهي أنّنا ينبغي أن لا نتوقّع أنّ كلّ ما يقوله الأشخاص الذين جرّوا المجتمع الإسلاميّ إلى الانحراف باطل وغالط ، لأنّ بطلان دعوتهم سيتّضح حينئذٍ ويفقدون الدعم الجماهيريّ وتُحبط مؤامرتهم. فيستغلّون سياسة مزج الحقّ بالباطل من أجل أن لا يواجهوا هذا المأزق. ثمّ يرويعليه‌السلام كلاماً عن النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله تنبّأ فيه بظروف المجتمع في عصر الإمامعليه‌السلام، فقال:

**«كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غُيّر منها شيءٌ قيل: قد غيّرت السنّة، وقد أتى الناس منكراً»**[٢].

ويواصل النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله كلامه فيشير إلى المستقبل الخطر، حين يعضد الفقهاء والمحدّثون البائعو دينهم ساسة عصورهم، فيقول:

**«ثمّ تشتدّ البليّة... ويتفقّهون لغير الله، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة»**[٣].

ويصرّح الإمامعليه‌السلام بعد ذكر هذه المقدّمات أنّ ممارسات معاكسة شاعت في المجتمع الإسلاميّ قبل خلافته. فإذا أراد أن يحمل الناس على تركها ويعيد المجتمع إلى ما كان عليه في عهد النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله تفرّق عنه جنده وبقي وحده، أو بقي معه ثلّة من أصحابه

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠.

(٢) الكافي: ٨ / ٥٩ / ٢١.

(٣) نفسه.

الذين كانوا يعرفونه جيّداً.

ويطرح عليه السلام ـ وهو يواصل حديثه ـ مفردات كثيرة من الانحرافات والبدع التي انتشرت بين الناس متّخذة طابع السنّة. ويذكر في آخر كلامه أنّه أراد أن يغيّر إحدى البدع فَجُوبِهَ باعتراض الناس. قال:

**«والله لقد أمرتُ الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غُيِّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً، ولقد خفتُ أن يثوروا في ناحية جانب عسكري»**[1].

أجل، إنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي لم يُهادِن معاوية لحظة واحدة، ولم يمنح طلحة والزبير امتيازاً يُذكر، ويصطدم بالمتغطرسين ومكدّسي الثروة منذ بداية خلافته، يتراجع أمام الرأي العامّ ولايتعجّل في مواجهة الانحرافات والتي اتّخذت طابعاً دينيّاً والتي يفضي تصحيحها إلى سخط الناس وإضعاف الحكومة الإسلاميّة، ويستعمل غاية الكياسة والسياسة في مواجهتها. وهذا النهج درسٌ عظيم للحكومات التي تريد أن تسير سيرته.

(١) نفسه: ص ٦٢.

# الخلاصة

◘ ضرورة اتّصاف القائد بمداراة الناس أمر منطقيّ وبديهيّ من منظار الأُمم والشعوب كافّة. أمّا من منظار الذين يفكّرون برضا الناس مقابل رضا الله تعالى، فإنّه يبدو سقيماً ومشيناً للقادة الربّانيّين أوّل وهلة.

◘ إنّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة حسب الرؤية الإسلاميّة ليست في مقابل مرضاة الله تعالى، بل إنّها تطّرد في مرضاته.

◘ قد تسيطر الثقافة الغالطة على المجتمع بنحوٍ يستتبع الاصطدامُ بها سخطاً عامّاً. وفي مثل هذه الحالة يجوز العدول عن سياسة مداراة الناس ما لم تهدّد أُصول الإسلام وأهدافه.

◘ سياسة النبيّ ﷺ في مداراة الناس: تأمين رضاهم بلا عدول عن المبادئ الإسلاميّة. من هنا كان يدفع مبالغ معيّنة من بيت المال لتأليف قلوب الأعداء ووقاية المسلمين الجُدد من الانحراف. كما كان يعفو عن بعض المجرمين والمتآمرين المحكومين بعقوبات شاقّة.

◘ كانت سياسة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في مداراة الناس كسياسة النبيّ ﷺ. وبدأ بمقارعة الانحرافات التي كانت تهدّد أساس الإسلام منذ اليوم الأوّل لخلافته. بيدَ أنّه لم يتعجّل في مواجهة البدع التي كان الناس قد أَلِفوها.

# الفصل الثامن

# الجاذبيّة الأخلاقيّة

الجاذبيّة الأخلاقيّة سرّ قدرة القيادة ونجاحها. والقائد يستطيع بواسطتها أن يستقطب الأذواق المتنوّعة ويقرّب وجهات النظر المتباينة ويجعلها في مسار أهدافه، وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتّصفون بهذه الجاذبيّة.

وقد عرفنا أنّ القيادة الأخلاقيّة في الإسلام وغيره من الأديان السماويّة شرط أساس للقيادةالسياسيّة[1]. من هنا كان الأنبياء وأوصياؤهم أُسوةً لغيرهم في الجانب الأخلاقيّ، كما كانت الجاذبيّة الأخلاقيّة أحد الأبعاد المهمّة لشخصيّتهم المعنويّة.

## الجاذبية الأخلاقية لنبيناصلى الله عليه وآله

يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبيّة الأخلاقيّة للنبيّصلى الله عليه وآله هي سرّ نجاحه في قيادته الحكيمة. قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا

(١) انظر الفصل الثاني من القسم الأوّل.

مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر﴾[١].

كان للأخلاق الكريمة التي عُرِفَ بها رسول الله ﷺ ـ خاصّةً حِلمه ولينه ـ في تعامله مع عرب الجاهليّة المعروفين بفظاظتهم دور بالغ الأهمّيّة في اجتذابهم وتنظيمهم من أجل تشكيل النواة الأُولى للحكومة الإسلاميّة في العالم. ولولا تلك الجاذبيّة لأفرده الناس من غير شكّ كما توسّم القرآن الكريم ذلك. قال الشاعر جلال الدين الروميّ ما ترجمته:

أنقذ أُناساً كثيرين من القتل بسيف حلمه، سيف الحِلم أقطع من سيف الحديد، بل هو يحقّق نصراً لا يحقّقه مائة جيش.

يوصي الله تعالى نبيّه الكريم أن يعفو عن أخطاء أُمّته، وأن يشاورهم في الأُمور المختلفة تنشيطاً لجاذبيّته الأخلاقيّة أكثر فأكثر.

وبلغ ﷺ الكمال المطلوب بتعليم الوحي الإلهيّ وتربيته له حتّى برّ جميع القادة الربّانيّين، فأثنى عليه ربّه جلّ شأنه بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

لا جرم أنّنا لايمكن أن نجد بين قادة التاريخ البشريّ من أحبّه الناس وتعلّقوا به ونفذ حبّه في أعماق قلوبهم وضمائرهم كرسول الله ﷺ. ومن هنا اتّهمه الأعداء بالسحر، وهذه التهمة دليل حَسَن على إثبات جاذبيّته الأخلاقيّة ونفوذه الخارق في نفوس الناس.

قال ابن أبي الحديد:

**«... فإنّه كان لا يسمع أحدٌ كلامه إلّا أحبّه ومال إليه، ولذلك كانت قريش تسمّي المسلمين قبل الهجرة: «الصُّباة»، ويقولون: نخاف أن يصبو الوليد بن**

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) القلم: ٤.

**المغيرة إلى دين محمّدﷺ. ولئن صبا الوليد وهو ريحانة قريش لتصبونّ قريش بأجمعها. وقالوا فيه: ما كلامه إلّا السحر، وإنّه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر، ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلّا يستميلهم بكلامه وشمائله، وكان إذا صلّى في الحجر وجهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفاً أن يسحرهم ويستميلهم بقراءته وبوعظه وتذكيره... ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم﴾... لأنّهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفاً أن يغيّر عقائدهم في أصنامهم...»**[1].

وينقل لنا التاريخ حكايات عذبة كثيرة عن جاذبيّة النبيّﷺ التي لا نظير لها بالنسبة إلى أصحابه، ولا مجال لنا أن نوردها هنا جميعاً، فنكتفي بالإشارة إلى نموذج منها يحمل لنا اعترافاً لألدّ أعدائهﷺ، وهو أبو سفيان.

## اعتراف العدوّ

في السنة الثالثة من الهجرة دعا كفّار هُذَيل ستّة من المسلمين لتعليمهم القرآن وأحكام الإسلام. وكانوا يريدون القبض عليهم وتسليمهم لكفّار قريش.

ولمّا علم المسلمون بمكيدتهم أخذوا أسيافهم ليقاتلوهم. فقتل ثلاثة منهم، واستسلم ثلاثة. فربطت هُذيل الأسرى الثلاثة بالحبال ثمّ خرجوا بهم إلى مكّة ليسلّموهم لقريش.

انتزع أحدهم ـ وهو عبدالله بن طارق ـ يده من القِران (الحبل) ثمّ أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرمَوه بالحجارة حتّى قتلوه. أمّا الآخران ـ وهما خُبيب بن عَدِيّ وزيدبن الدثنة ـ فقدِموا بهما مكّة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا

(١) شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٠. وانظر تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٥٨٤ و ٩ / ١٦، السيرة الحلبيّة: ١ / ٣٠٣، تفسير القمّيّ: ٢ / ٣٩٣.

بمكّة....

ابتاع صفوان بن أُميّة زيد بن الدثنة ليقتله بأبيه أُميّة بن خلف... واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحبّ أنّ محمّداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنّك في أهلك؟ قال:

**«واللهِ، ما أُحبّ أنّ محمّداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه، وإنّي جالس في أهلي».**

فَغَر أبو سفيان فاه متعجّباً، والتفت إلى من حضر، فقال:

**«ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمّد محمّداً!»**[1].

---

١) انظر سيرة ابن هشام: ٣ / ١٧٩

# الخلاصة

◘ الجاذبيّة الأخلاقيّة سرّ نجاح القيادة، وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتّصفون بها.

◘ القيادة الأخلاقيّة في كافّة الأديان السماويّة شرط للقيادة السياسيّة، والجاذبيّة الأخلاقيّة أحد أبعاد الشخصيّة الأخلاقيّة للقادة الربّانيّين.

◘ يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبيّة الأخلاقيّة للنبيّ ﷺ سرّ نجاحه. ولولاها لأفرده الناس ولما انتصر الإسلام.

◘ لا نجد بين القادة في التاريخ قائداً أحبّه أتباعه وتعلّقوا به كرسول الله ﷺ. ومن هنا اتّهمه أعداؤه بالسحر.

# الفصل التاسع

# السبق إلى العمل

يرى الإسلام أنّ أكفأ إنسان للقيادة السياسيّة هو من كـان سـبّاقاً في مسـيره نحو غاية القيادة الربّانيّة والسلوك إلى الله، وكان طليعة الناس في تحرّكه شطر القِيَم، مضافاً إلى اتّصافه بجميع المواصفات الضروريّة لإدارة المجتمع. فالقائد السياسيّ قائد أخلاقيّ أيضاً، بل إنّ القيادة الأخلاقيّة أهمّ قواعد القـيادة السـياسيّة في الإسـلام. والإمـام ـبـالمفهوم المـطلق ـ هـو مـن كـان في ذروة الكمـالات الروحـيّة جمـيعها كإبراهيم عليه السلام. قال تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1].

وكان نبيّنا صلى الله عليه وآله أُسوةً كإبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿لَقَد كَانَ لَكُم فِي رسول‌الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[2].

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الأحزاب: ٢١.

الناس يحبّون من كان سبّاقاً في العمل بما يقول ويدعو الناس إليه، ويتفاعلون مع قيادته من الصميم. وإنّ أحد البواعث المهمّة على جاذبيّة النبيّ ﷺ ونفوذه وقاعدته الشعبيّة بين أتباعه هو أنّه كان سبّاقاً إلى العمل بجميع الشعارات التي كان ينادي بها.

إذا كان ينادي بشعار التوحيد فهو أوّل الموحّدين، ولم يعتمد إلّا على الله في حياته الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، حتّى أنّه لم يستعن بالمشركين في أحلك الظروف التي مرّ بها.

وإذا كان يدعو الناس إلى العبادة وإقامةالليل فهو أكثرهم عبادةً، حتّى أراد الله تعالى منه أن لا يشقّ على نفسه كثيراً:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[1].

وإذا كان ينادي بشعار العدالة فهو أوّل الناس في تطبيقها على نفسه وأُولي قرباه. حتّى أنّه عندما كان يجلس بين أصحابه يعدل في تقسيم نظراته بينهم. وإذا كان يرفع شعار دعم المستضعفين فهو كأحدهم في عَيشه.

يقسم الإمام الباقر عليه السلام بالله أنّ النبيّ ﷺ لم يشبع من خبز البُرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بِعثته حتّى وفاته[2]، في حين كان قادراً أن يعيش حياة الدعة والنعيم والرخاء. بيدَ أنّه كان يُؤثر الآخرين على نفسه وعلى عائلته.

قال أبو هريرة:

**«ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البُرّ حتّى فارق الدنيا»**[3].

قال عمر:

**«استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة، وإنّه لمضطجع على**

---

(١) طه: ٢.

(٢) انظر الكافي: ٨/ ١٣٠/ ١٠٠.

(٣) سنن الترمذيّ: ٤/ ٥٧٩/ ٢٣٥٨.

**خصفة، إنّ بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوّة ليفاً! وإنّ فوق رأسه لإهاباً عطناً[١]، وفي ناحية المشربة قرظ[٢]. فسلّمت عليه فجلست. فقلت: أنت نبيّ الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير؟! يا رسول الله، ما يؤذيك خشونة ما أرى من فراشك وسريرك؟! فقال: أُولئك عجّلت لهم طيّباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنّا قوم أُخّرت لنا طيّباتنا في آخرتنا. وإنّ فراش كسرى وقيصر في النار، وإنّ فراشي وسريري هذا عاقبته إلى الجنّة»[٣].**

وأشار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الحياة البسيطة الفقيرة التي كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلب من المسلمين أن يتأسّوا بهذا القائد المطلق للأُمّة الإسلاميّة في مواجهتهم للمظاهر الماديّة في الحياة. قال عليه السلام:

**«فتأسّ بنبيك الأطيَب الأطهر صلى الله عليه وآله، فإنّ فيه أُسوةً لمن تأسّى وعزاءً لمن تعزّى. وأحبُّ العباد الى الله المتأسّي بنبيّه والمقتصّ لأثره، قضم الدنيا قضماً، ولم يُعرها طرفاً، أهضمُ أهل الدنيا كشحاً وأخمصُهم من الدنيا بطناً...»[٤].**

أجل، كان رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع أبعاد حياته الفرديّة والاجتماعيّة سبّاقاً إلى العمل بكلّ ما كان يدعو الناس إليه. وهذا ما أدّى إلى جاذبيّته العديمة المثيل وقيادته التي ليس لها بديل.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام مثلَه في ذلك سبّاقاً لأُمّته في العمل بما يقول. من هنا ورد في زيارته أنّه «ميزان الأعمال». أي: إنّ عمله فيما يرتبط بالله والناس ميزان لتقويم

---

(١) الإهاب: الجلد أو ما لم يُدبغ منه. وانعطن الجلد: وُضِع في الدباغ وتُرِك حتّى انتن.

(٢) القَرَظ: ورق السَلَم يُدبغ به. والسَلَم: جنس شجر شائك يُستعمل ورقه في الدبغ.

(٣) انظر الترغيب والترهيب: ٤ / ٢٠٠ / ١٢٠، و: ص ٢٠١ / ١٢١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

أعمال الآخرين. فصلاته وصيامه وإقامته للّيل وجهاده وعدالته وصبره وشجاعته وزهده وجميع فضائله كلّ ذلك مِلاك وميزان لتقويم الفضائل. وإذا كانت هذه الخصائص كلّها عند الآخرين فكلّما اقتربت من خصائص الإمامعليه السلام اقتربت من الكمال، وكلّما ابتعدت كانت أنقص.

وليس بمقدور التاريخ غابراً وحاضراً أن يرينا قائداً ـ بعد النبيّصلى الله عليه وآله الذي كان إمام الأئمّة ـ كعليّعليه السلام في سبقه إلى العمل. وكان القادة غير الربّانيّين على مرّ التاريخ أُولي قول لا أُولي عمل، ولو ظهر بينهم من كان من أُولي العمل فلا جرم أنّه لم يكن سبّاقاً، وإذا ما تسلّم السلطة فإنّه ينسى وعوده وشعاراته جميعها.

ولا يستطيع التاريخ أن يقدّم لنا قائداً كعليّعليه السلام إذ عاش عيشة الفقراء وهو في ذروة قدرته وعظمته. قال عليه السلام:

**«إنّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري ولا يطغي الغنيّ غناه»**[1].

قال ابن أبي الحديد في سرّ الجاذبيّة التي لا نظير لها عند الإمامعليه السلام ونفوذه العجيب في قلوب الناس:

**«قلتُ لأبي جعفر الحسني مرّةً: ما سبب حبّ الناس لعليّ بن أبي طالبعليه السلام وعشقهم له وتهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيّب منها!»**

سؤال رائع ودقيق وجوابه لا يتيسّر ارتجالاً كما يبدو. ضحك أبو جعفر وقال: «كم تجمع جراميزك[2] عليَّ؟!» ثمّ عرض مقدّمة للجواب ورد فيها تحليل جميل لسخط معظم الناس على الدنيا. وذكر أنّ المستحقّين موتورون من الدنيا، وغير

---

(١) الكافي: ١ / ٤١٠ / ١، بحار الأنوار: ٤٠ / ٣٣٦ / ١٧، ميزان الحكمة: ٨٦٧.

(٢) الجراميز: القوائم.

المستحقّين أيضاً. وأكثر المستحقّين محرومون، حتّى أنّهم يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا استحقاق لها. أمّا غير المستحقّين فلا يقنعون بعَيشهم ولا يـرضون بحالهم لما يلحقهم من حسد أمثالهم، بل يستزيدون ويطلبون حالاً فوق حالهم.

وقال بعد شرح هذه المقدّمة:

**«فمعلوم أنّ عليّاًعليه السلام كان مستحقاً محروماً، بل هو أميرالمستحقّين المحرومين وسيّدهم وكبيرهم».**

وواصل كلامه قائلاً:

**«ومعلوم أنّ الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلّة والهضيمة يتعصّب بعضهم لبعض ويكونون إلباً ويداً واحدةً على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا... فما ظنّك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامع للفضائل!... وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرّعته الدنيا علاقمها... وحُكّم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه... ثمّ كان في آخر الأمر أن قُتل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقُتل بنوه بعده، وسُبي حريمه ونساؤه، وتتبّع أهله وبنو عمّه بالقتل والطرد والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم».**

ثمّ استنتج ما نصّه:

**«فهل يمكن أن لا يتعصّب البشر كلّهم مع هذا الشخص؟! وهل تستطيع القلوب أن لا تحبّه وتهواه وتذوب فيه وتفنى في عشقه؟!...»**[1].

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

# الخلاصة

▣ القيادة الأخلاقيّة في الإسلام أهمّ قواعد القيادة السياسيّة، وأكفأ إنسانٍ للقيادة هو من كان سبّاقاً إلى القِيَم، مضافاً إلى ما يتحلّى به من الخصائص العلميّة والإداريّة.

▣ سبْق القائد إلى العمل يجعله يعيش في قلوب الجماهير، ويتفاعل الناس قلبيّاً مع القائد الذي يرونه أُسوة عمليّة للقِيَم.

▣ كان القادة غير الربّانيّين على مرّ التاريخ أُولي قولٍ لا أُولي عمل، وإذا تسلّموا السلطة فإنّهم ينسون وعودهم وشعاراتهم جميعاً.

▣ إنّ أحد البواعث المهمّة على نفوذ النبيّ ﷺ وجميع القادة الربّانيّين الكبار في قلوب الناس سبْقهم في التحرّك نحو القِيَم.

▣ كان أميرالمؤمنين عليه السلام سبّاقاً إلى العمل بعد النبيّ ﷺ. من هنا جاء في زيارته أنّه «ميزان الأعمال».

# الفصل العاشر

# الإيمان بالهدف

أهمّ واجب يقع على عاتق الإمام والقائد هو هداية المجتمع وقيادته نحو الهدف الذي يعتقد أنّه هو الكمال المطلوب، ودعوة الناس إلى الجدّ والتفاني من أجل بلوغ السعادة، والتكامل الماديّ أو المعنويّ أو كليهما.

إذا أراد القائد أن يُحسن القيام بواجبه فعليه:

أوّلاً: أن يؤمن بذلك الهدف ويعتقد به اعتقاداً راسخاً.

ثانياً: أن يستطيع إقناع الآخرين بالإيمان به.

إنّ من يدعو الآخرين إلى هدفٍ لا يؤمن به لا يستطيع أن يقنعهم بالإيمان به.

وتدلّ دراسة لتاريخ حياة القادة الناجحين ـ الربّانيّين منهم وغير الربّانيّين ـ على أنّهم كانوا جميعهم يتّصفون بهاتين الصفتين: الإيمان بالهدف، والقدرة على إقناع الآخرين بالإيمان به.

## المثل الأعلى للإيمان

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفه، المقتدر على إقناع الآخرين

بالإيمان به، وكلّ باحث منصف يدرس سيرته ﷺ يستطيع أن يستنتج بسهولة أنّه كان يعتقد بما يقول، بل كان حائزاً على أرفع درجات الاعتقاد.

وبيّن القرآن الكريم إيمانه واعتقاده ﷺ بالأهداف الإلهيّة بقوله:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّه﴾[1].

وحياته بأسرها آية على إيمانه بأهداف رسالته، ودليل قاطع على تمكّنه من إقناع الآخرين بالإيمان بها. وفيما يأتي نموذج رائع يمكن أن يثبت هاتين المزيّتين، ويتمثّل في حادثة وقعت في بداية الرسالة:

صدع رسول الله ﷺ بدعوته تدريجاً، وكان ملموساً منذ الأيّام الأُولى للدعوة أنّ دعايات الأعداء والعراقيل التي كانوا يضعونها في طريق الدعوة لم تُجْدِ شيئاً، فدخلت الدعوة في قلوب الناس سريعاً، وكان عدد المسلمين الذين آمنوا بذلك القائد السماويّ يزداد على تواتر الأيّام. وبلغت جاذبيّة الإسلام ونفوذه في قلوب الناس مبلغاً شعر فيه عُتاة قريش بالخطر، إذ كانوا يرون بجلاء أنّ الأوضاع لو استمرّت على هذا النسق فإنّ معظم الناس سيغيّرون عقيدتهم ويركنون إلى الإسلام وقيادة نبيّه. من هنا عزموا على مواجهة هذا الخطر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ذهبوا في البداية إلى أبي طالب الحامي الوحيد للنبيّ ﷺ ورئيس قبيلة بني هاشم، فطلبوا منه أن يكفّ عن دعم النبيّ، وكان طلبهم ـ على ما نقل ابن هشام في سيرته ـ كالآتي:

**«يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه».**

لم يُجبهم أبو طالب جواباً مقنعاً، وأبدى موقفاً سياسيّاً قويّاً من خلال تهدئتهم

(١) البقرة: ٢٨٥.

وإرجاعهم.

وسرعان ما انتشر الإسلام، فدفعهم ذلك إلى مواجهة أبي طالب بنحوٍ أشدّ من السابق، وتهديد بالحرب إذا ظلّ على دعمه للنبيّ ﷺ. قالوا له:

**«يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا،إنّا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا وتَسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتّى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك حتّى يهلك أحد الفريقين».**

وهذه المرّة أيضاً أجابهم أبو طالب بهدوءٍ يعبّر عن مدى كياسته وفراسته قائلاً لهم: حَسَناً، سأُبلغ ابن أخي ما تريدون!

ذهبوا عنه، فتحدّث مع ابن أخيه وأبلغه كلامهم منتظراً جوابه الذي يحدّد ميزان اعتقاده وإيمانه بهدفه، فقال ﷺ بحزمٍ تامّ:

**«يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترُك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أُهلك فيه ما تركته».**

ثمّ فارق أبا طالب وعيناه مغرورقتان بالدموع، ولم يبتعد كثيراً حتّى ناداه وهو متأثّر بكلامه الذي يملك القلب، وبإيمانه القاطع بهدفه، فقال:

**«اذهب يابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسلمك لشيءٍ أبداً»**[1].

واصل زعماء قريش سياستهم في الحدّ من انتشار الإسلام، واستخدموا مكائد وحيَلاً مختلفة كالترهيب والترغيب والقذف وضروب الأذى النفسيّ والبدنيّ. بيدَ أنّ إيمان النبيّ ﷺ بهدفه المقدّس كان قويّاً إلى درجة أنّ كلّ شيءٍ لم يستطع أن يصدّه عن مواكبته.

ولا يداخلنا الشكّ أنّ رسول الله ﷺ لو كان يشعر بأدنى ضعف في اعتقاده لما

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

استطاع الصمود أمام تلك الضغوط بأجمعها.

إنّ الإيمان بالهدف أكبر رصيد للقادة الكبار في التاريخ من أجل مواجهة المشاكل ومقاومة المصاعب. لذا نلحظ أنّ أهمّ نقطة ينبغي الالتفات إليها في إعـداد المـدراء الكفوئين الفعّالين هي تنشيط بُنية الإيمان والاعتقاد بالعمل الذي أُنيط أو يناط بهم.

# الخلاصة

▣ ينبغي للقائد أن يؤمن بهدفه ويُقنع الآخرين بذلك كي يتمكّن من القيام بواجبه. وكان جميع القادة الكبار في العالم يتّصفون بهاتين الصفتين.

▣ كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفه، المقتدر على جعل الآخرين يؤمنون به. وتاريخه المشرق دليل ساطع على ما نقول.

▣ من الضروريّ تنشيط بُنية الإيمان عند الأشخاص الذين تناط بهم مسؤوليّة معيّنة، وذلك من أجل إعداد المدراء الكفوئين الفعّالين.

# الفصل الحادي عشر

# الأمل بالنجاح

الأمل بالنجاح ـ إلى جانب الايمان بالهدف ـ سرّ التقدّم في العمل. وينبغي للقائد أن يكون واثقاً بانتصاره ونجاحه في الهدف الذي يدعو الناس إليه. والقائد الذي لا أمل له بنجاحه لا يمتلك صورة واضحة للمستقبل. من هنا لا يتسنّى له أن يهب الناس الأمل والاطمئنان والنشاط. وهذه الصفة جديرة بالاهتمام أيضاً في دراسة الخصائص الروحيّة للقادة الناجحين في العالم.

## النبيﷺ والأمل بالنجاح

إحدى النقاط البارزة في قيادة النبيّﷺ هي أمله وثقته بالمستقبل. وكان منذ بداية قيادته يرى نجاحه بوضوح، ويعرض للناس صورة جميلة طافحة بالأمل عنه. وكان يتحدّث إليهم عن انتصارات عظمى، ويبشّرهم بسعادة الدنيا والآخرة منذ الأيّام الأُولى لبعثته، وذلك في ظروف عصيبة لم يتوقّع فيها أحد نجاح دعوته. وكان يقول بكلّ ثقة:

**«أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما**

**العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنّة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله»**[1].

## الانتصار على الفرس والروم

إنّ إخبار النبيّ ﷺ في معركة الأحزاب بانتصار المسلمين على بلاد فارس والروم واليمن نموذج آخر لأمله واعتقاده الراسخ بنجاحه، ولاستثمار عنصر الأمل في القيادة.

عاش المسلمون ظروفاً حالكة محفوفة بالأخطار في معركة الأحزاب. ذلك أنّ العدوّ شنّ عليهم هجوماً عنيفاً في عُقْر دارهم، وطفقوا يحفرون الخندق باقتراح الصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ رضوان الله عليه، ليحولوا دون تقدّم العدوّ إلى داخل المدينة. فعرضت في أثناء الحفر صخرة عظيمة لم يؤثّر فيها المعول. فأخبروا نبيّهم ﷺ فجاء، فلمّا رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول فقال: بسم الله، ثمّ ضرب ضربةً فكسر ثلثها، وقال:

**«الله أكبر! أُعطيت مفاتيح الشام! والله إنّي لأبصر قصورها الحمراء الساعة!»**.

ثمّ ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال:

**«الله أكبر! أُعطيت مفاتيح فارس! والله إنّي لأبصر قصر المدائن الأبيض!»**.

ثمّ ضرب الثالثة وقال: بسم الله، فقطع بقيّة الحجر وقال:

**«الله أكبر! أُعطيت مفاتيح اليمن! والله إنّي لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة!»**.

ولم يتوقّع أحد تحقّق الانتصارت المذكورة في مثل تلك الأوضاع العصيبة المتوتّرة التي بلغت مبلغاً أنّ أحد الحاضرين قال للآخر بعد سماع الكلام النبويّ: يَعِدُنا بكنوز

---

(١) الارشاد: ١ / ٤٩، كشف اليقين: ٤٨ / ٢٥، و: ص ٢٨٢ / ٣٢٥.

كسرى وقيصر ولا يأمن أحدنا أن يبرح مكانه خوفاً من العدوّ[١]»!.

## الإخبار بظهور الإسلام على الدين كلّه

أخبر القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان، وشموله كافّة أنحاء المعمورة. قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

لا ريب أنّ أحد الأسرار الكبرى لهذا الإخبار هو إحياء عنصر الأمل بالنجاح في قلوب المسلمين، وحثّهم على الاستقامة والصمود في مسار الأهداف العالميّة للإسلام. من هنا فإنّ مثل هذه التنبّؤات دروس في الإدارة والقيادة، مضافاً إلى أنّها تبيّن حقيقة تاريخيّة مهمّة تدلّ على صدق النبيّ ﷺ.

## تفسير النجاح

تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمّة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلاميّة.

لمّا كان هدف القائد في المذاهب المادّيّة وما يماثلها هو التسلّط والتحكّم فحسب فإنّ الحرمان من المكاسب المادّيّة يعدّ إخفاقاً، ومن ثَمّ يُعقبه القنوط والتراجع.

أمّا في الإسلام فإنّ الهدف هو أداء الواجب الإلهيّ.

فالقائد مكلّف أن لا يدّخر وسعاً في تحقيق ما يريده الله تعالى، سواءً أفلح في ذلك أم لم يفلح.

---

(١) انظر كنز العمّال: ١٠ / ٤٤٣ / ٣٠٠٨٠.

(٢) الصفّ: ٩.

من هذا المنطق لا معنى لكلمة «الهزيمة» في قاموس القيادة الإسلاميّة ، لأنّ الهدف الوحيد هو أداء الواجب. وذلك قريب المنال بأيّ نحوٍ كان. وجاء هذا التفسير للنجاح بوضوح في الآية الكريمة الآتية:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1].

يرى الإسلام أنّ القضاء على عدوّ الحقّ والعدالة نجاح، والقتل في طريق مقارعته نجاح أيضاً. فالتغلّب على العدوّ نصر، والهزيمة نصر أيضاً. من هنا فإنّ المسلمين لا يُهزَمون في طريق النضال من أجل تحقيق الحكومة الإسلاميّة أبداً. وإنّ عدوّ الحقّ والعدالة لا يقطف نصراً أبداً، وإنّ حقّق مكاسبه المادّيّة بعض الشيء.

إنّ من يقود أُمّة بهذا المنطق الرائع والفعّال يتمتّع بأعظم قدرة على تعبئة الجماهير الشعبيّة بغية إقامة الحكومة العادلة والإطاحة بالظلم.

كان مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والقائد الكبير للثورة الإسلاميّة رضوان الله تعالى عليه يستهدي كثيراً بهذه القدرة لإيصال الثورة إلى مرفأ النصر، والعمل على استمرارها. وفي ضوء هذا المنطق نحن مكلّفون بأداء الواجب لا بالنتيجة، ولا هدف لنا إلّا القيام بالتكليف الإلهيّ، والمحافظة على استقامة الناس وصمودهم في أحلك الظروف، وإنقاذ الثورة الإسلاميّة من الأزمات المستفحلة.

(١) التوبة: ٥٢.

# الخلاصة

◙ الأمل بالنجاح -إلى جانب الإيمان بالهدف- سرّ النجاح. والقائد الذي لا أمل له بنجاح أهدافه عاجز عن تحريك الناس ورفدهم بالأمل.

◙ من النقاط البارزة في قيادة النبيّ ﷺ أمله واطمئنانه إلى المستقبل. وكان يرى نجاح أهدافه بوضوح، ويتحدّث عن انتصاراته الكبرى منذ بداية قيادته.

◙ تنبّؤ النبيّ ﷺ في معركة الأحزاب بانتصار المسلمين على فارس والروم واليمن أحد النماذج المشرقة لاعتقاده الراسخ بنجاحه، ولاستثمار عنصر الأمل في القيادة.

◙ إنّ إحدى الحِكَم الكامنة في إخبار القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان إحياء عنصر الأمل في نفوس الجماهير المسلمة وتحريكهم في مسار الأهداف العالميّة للإسلام.

◙ تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمّة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلاميّة. ولا معنى لكلمة «الهزيمة» في القيادة الإسلاميّة، لأنّ الهدف ليس إلّا أداء الواجب وهو قريب المنال بأيّ نحوٍ كان.

# الفصل الثاني عشر

# عُلوّ الهِمّة

الهِمّة في اللغة هي العزم والإرادة. وعلوّ الهمّة يعني الترفّع عن مواكبة الأهداف التافهة الدنيئة، كما يعني الإرادة القويّة لتحقيق الأهداف الكبرى.

وكلّما كانت هِمّة الإنسان أعلى من منظار الإسلام، فهي أكثر قيمةً. من هنا لا يرىٰ الإسلام حدّاً لعلوّ الهِمّة، حتّى قال سيّدنا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«خَيْرُ الهِمَمِ أعلاها»[1].

ويعلّمنا الإمام زين‌العابدين عليه السلام أن ندعو الله تعالى أن يمنّ علينا بأعلى الهِمَمِ[2].

## آثار علوّ الهِمّة

إنّ كثيراً من الخصال الحميدة التي لها دور في بناء الشخصيّة الإنسانيّة وإحـراز

(١) غرر الحكم: ٤٩٧٧.

(٢) قال عليه السلام «اللّهمّ ربّ العالمين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين أسألك... من الهِـمم أعـلاها». بـحار الأنـوار: ١٥٥/٩٤.

الفضائل المعنويّة كالقناعة والكرم والحميّة والشجاعة والعزّة والإحسان وغيرها إنّما هو نابع من علوّ الهِمّة، كما ورد في كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«من شرف الهِمّة لزوم القناعة»**[١].

**«الكرم نتيجة علوّ الهِمّة»**[٢].

**«على قدر الهِمّة تكون الحميّة»**[٣].

**«شجاعة الرجل على قدر هِمّته»**[٤].

**«استجلب عزّ اليأس ببُعد الهِمّة»**[٥].

**«من شرف الهِمّة بذل الإحسان»**[٦].

**«من كَبُرت هِمّته كَبُرَ اهتمامه»**[٧].

**«الفعل الجميل يُنبئ عن علوّ الهِمّة»**[٨].

## آثار قِصَر الهِمّة

إنّ قِصَر الهِمّة ـ على عكس علوّ الهِمّة ـ أحد العقبات الأساسيّة التي تحول دون التحلّي بالفضائل الإنسانيّة. نقرأ تعبيراً جميلاً للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال فيه:

**«مَنْ صَغُرَتْ هِمّتُه بَطُلَتْ فضيلتُه»**[٩].

من هنا يمكن أن نقيس قدر الإنسان ومنزلته وقيمته بمعيار هِمّته، إذ أنّ:

**«قَدْرَ الرّجُلِ على قَدْرِ هِمّته»**[١٠].

ويفيدنا هذا المعيار أنّ الذين لا يفكّرون إلّا بإشباع بطونهم وتفريغها ليس لهم

---

(١ ـ ٤) غرر الحكم: ٩٤٣٥، ١٤٧٧، ٦١٧٤، ٥٧٦٣.

(٥) تحف العقول: ٢٨٦، بحار الأنوار: ٧٨ / ١٦٤.

(٦ ـ ٩) غرر الحكم: ٩٢٨٠، ٧٨٥٠، ١٣٨٨، ٨٠١٩.

(١٠) نهج البلاغة: الحكمة ٤٧.

قيمة إنسانيّة:

**«مَنْ كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه»**[١].

إنّ أُولي الأُفق الضيّق والهِمّة الدانية لا يُقدَّر لهم النجاح من الوجهة المعنويّة، ولا يتسنّى لهم أن يحصلوا على موقع في عالم المادّيّات.

نلاحظ أنّ تطوّر الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً رهينٌ بهِمّته. وكان العظماء جميعهم ذوي هِممٍ عالية. قال الشاعر حافظ الشيرازيّ ما ترجمته:

كن عالي الهِمّة، فالعظماء بلغوا المقام الرفيع بهِممهم العالية.

وقال خواجو:

الهِمّة العالية تعلو على الفَلَك، وبها يعلو المرء على المَلَك.

وقال وحشيّ:

لو كانت الهِمّة رائدة لصارت النملة كسليمان.

## درس من حشرة!

نقل المحدّث القمّي في كتاب سفينة البحار -في ذيل كلمة «جُعَل»[٢]- حكاية مفادها أنّ أبا الحجّاج الأقصر العارف قيل له يوماً: مَنْ شيخك؟

قال: شيخي أبو جعران. أي الجُعَل!

فظنّوا أنّه يمزح، فقال: لستُ أمزح.

قيل له: كيف؟

---

(١) غرر الحكم: ٨٨٣٠.

(٢) دويبة معروفة يسمّيها الناس «أبو جعران». سفينة البحار. وهي حشرة سوداء قبيحة لها جناحان تجلس على روث الحيوانات، وتُسمّى خنفساء الروث. معجم عميد (فارسيّ).

قال: كنت ليلة من ليالي الشتاء سهران، وإذا بأبي جعران يصعد منارة السراج فيزلق لكونها ملساء، ثمّ يرجع. فعددت عليه تلك الليلة سبعمائة زلقة يرجع بعدها ولا يكلّ، فتعجّبت في نفسي فخرجت إلى صلاة الصبح، ثمّ رجعت فإذا هو جالس فوق المنارة بجنب الفتيلة، فأخذت من ذلك ما أخذت. أي انّه تعلّم منه الثبات مع الجدّ[1].

نستنتج من هذا كلّه أنّ أفضل رصيد للسلوك إلى الحقّ وبلوغ قمّة التكامل ـ حيث موقع الإنسان الكامل والإمامة ـ الإرادة القويّة والهِمّة العالية، التي تدفع الإنسان إلى اختيار الله سبحانه وتعالى، كما كان الإمام العسكريّ عليه السلام يقول في قنوته:

«وقد علمتُ أنَّ زادَ الراحلِ إليكَ عزمُ إرادةٍ يختارك بها»[2].

قال الشاعر حافظ الشيرازي ما ترجمته:

البحر والجبل في طريقي وأنا ضعيف ومُتعب، فزِدْ في هِمّتي أيّها الخضر المبارك.

## علوّ الهمّة والقيادة

إذا لاحظنا ما جاء في هذا الفصل تبيّن لنا أنّ ضرورة علوّ الهِمّة للقائد لا تحتاج إلى مزيد من التوضيح. وكان القادة جميعهم يتحلّون بهذه الصفة، ويستثمرون هذا الرصيد الثمين من أجل بلوغ أهدافهم.

ونجد في دراسة سيرة القادة الربّانيّين الكبار ـ خاصّةً رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم ـ أنّ علوّ هِممهم لافت للنظر ويعلّم دروساً مفيدة كثيرة. ومن المناسب التوفّر على دراسة سيرتهم عليهم السلام، وعرض نماذج من علوّ هِممهم على الأُمم والشعوب. ونشير فيما يأتي إلى نموذجين من نماذج علوّ الهمّة عند رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) سفينة البحار: ١ / ٦٠٩.

(٢) البلد الأمين: ٥٦٨ قسم قنوتات الأئمّة عليهم السلام، بحار الأنوار: ٨٥ / ٢٥٧.

## أ ـ حكومة الإسلام العالمية

كانﷺ يأخذ بعين الاعتبار أسمى هدفٍ في جميع الأعمال، ويخطّط من أجل بلوغه. وكان أكبر هدفه إقامة حكومة الإسلام العالميّة، وكان يعتقد أنّه سيأتي اليوم الذي ترفرف فيه راية التوحيد على ربوع المعمورة، ويحكم المسلمون العالَم(١).

## ب ـ اجتثاث جذور الجهل

ينبغي تطهير المجتمع من الجهل وذلك لإقامة حكومة الإسلام العالميّة على سنّة الأنبياء، لأنّ حكومة الطاغوت ـ بأيّ اسم وشكل كانت ـ تستغلّ جهل الناس. وجعل رسول اللهﷺ مكافحة الجهل بصورة شاملة في صدر أعماله جميعها من خلال هذه الرؤية:

**«العلمُ رأسُ الخيرِ كلّه، والجهلُ رأسُ الشرِّ كلّه»**(٢).

وأوصى أتباعه قائلاً:

**«أغدُ عالماً أو متعلّماً، ولا تكن إمّعة»**(٣).

و «الإمّعة» هو مَن ليس له رأي في الأمور، بل يقلّد الآخرين تقليداً أعمى. كان هدف القيادة النبويّة بناءَ أُمّةٍ لا جاهل فيها، إلّا من كان في طريقه إلى التعلّم. وفي ضوء ذلك لا يتحقّق هدف النبيّﷺ ما لم يقطع دابر الجهل في المجتمع. وهذا الهدف في غاية الرفعة، تواكبه الهِمّة العالية للنبيّﷺ وجميع القادة الربّانيّين(٤).

---

(١) انظر «الأمل بالنجاح» وهو الفصل الحادي عشر من هذا القسم.

(٢) جامع الأحاديث: ١٠٢، بحار الأنوار: ٧٧ / ١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢ / ٢٢. وقال الإمام الكاظمﷺ: ابلغ خيراً وقل خيراً ولا تكوننّ إمّعةً.

(٤) انظر مباني شناخت (أُسس المعرفة): ٢٥، ٤٧.

# الخلاصة

▣ الهِمّة هي العزم والإرادة. والإسلام لا يرىٰ حدّاً لعلوّ الهِمّة، ويرى أنّ أفضل الهِمم أعلاها.

▣ تنبثق كثير من الفضائل الإنسانيّة كالقناعة والكرم والحميّة والشجاعة والعزّة والإحسان من علوّ الهِمّة.

▣ قِصَر الهِمّة أحد العقبات الأساسيّة في طريق بلوغ الفضائل الإنسانيّة. ومن كان قصير الهِمّة فلا يتسنّى له أن يحرز نجاحاً في الشؤون المادّيّة والمعنويّة.

▣ علوّ الهِمّة أحد الشروط المهمّة للقيادة. وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتحلّون بها، ويستثمرونها في متابعة أهدافهم.

▣ نلاحظ في دراسة سيرة القادة الربّانيّين العظام ـ خاصّةً نبيّنا وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ـ أنّ علوّ هممهم يعلّمنا دروساً كثيرة.

▣ إقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة واجتثاث جذور الجهل من المجتمع والتخطيط لتنظيم أكبر قوّة عسكريّة في العالم نماذج من علوّ الهِمّة النبويّة.

▣ علوّ الهِمّة عند النبيّ ﷺ باتّجاه بناء الاُمّة النموذجيّة نابع من علوّ هِمّته في بناء نفسه حقّاً. وقد بلغ ﷺ أرفع درجات الكمال الإنسانيّ في هذا المجال.

# الفصل الثالث عشر

# الصبر

أكّد القرآن الكريم على شرطين من بين شروط القيادة، وهما: الصبر، واليقين. ويدلّ هذا الاهتمام القرآنيّ على أنّهما يتصدّران خصائص الإمامة والقيادة برمّتها. وسوف نتحدّث عن اليقين في الفصل الرابع عشر. أمّا الصبر فسنتوفّر على دراسته في هذا الفصل.

## القيادة والمقاومة

نقرأ في الآية ٢٤ من سورة السجدة قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

الصبر بمعنى التجلّد ومقاومة المصاعب والمحن والمشكلات الفرديّة والاجتماعيّة، وهو أحد الشروط الأصليّة الضروريّة للقيادة.

ويرى الإسلام أنّ على الناس قاطبة أن يكونوا مقاومين صابرين في أعمالهم

كلّها، كما قال الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام:

**«الصبر من الإيمان بمنزلةالرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له»**(١).

وبدونه تُمنى الأعمال بالفساد والتخلخل. بيدَ أنّ قائد المجتمع الإسلاميّ الذي يتولّى إمامة الصابرين والمقاومين ينبغي أن يتحلّى بهذه الصفة قبل الآخرين وأكثر منهم.

إنّ أُولي الإرادة الخائرة يفقدون روح المقاومة والصمود، ولا طاقة لهم على تحمّل النضال ومواجهة الحوادث الكبرى ومشكلات إدارة المجتمع. من هنا فإنّ تقليدهم أمر القيادة غير سديدٍ، بل هو خطر.

قال الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام في اليوم الثاني من خلافته التي اضطلع بها بعد إصرار شديد من الناس، مبيّناً أهمّ شروط القائد:

**«لا يحمل هذا الأمر إلاّ أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر»**(٢).

وجاء هذا المعنى في نهج البلاغة أيضاً:

**«إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه... ولا يحمل هذا العَلَمَ إلاّ أهل البصر والصبر والعِلم بمواضع الحقّ»**(٣).

يذكر الإمامعليه السلام في هذين القولين عنصر الصبر والصمود ـ إلى جانب الرؤية السياسيّة والوعي القياديّ ـ بوصفه أحد العناصر الأصليّة في القيادة، وأحد خصائص القائد. وهكذا يحذّر نفسه وأتباعه من المؤامرات الخفيّة، وذلك في سياق تبيان شروط القائد الذي يستطيع أن يمسك بزمام الأُمور في المجتمع الإسلاميّ.

---

(١) البحار: ٦٩ / ٣٧٦ / ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧ / ٣٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

## الإخلاص في الثبات

لا ريب أنّ للثبات دوراً مصيريّاً في إحراز الكفاءة القياديّة؛ لأنّ شرط الإمامة والقيادة هو مواجهة المشكلات المتنوّعة.

فالأشخاص غير المقاومين الذين يتأثّرون بسرعة لا طاقة لهم على مواجهة هذه المشكلات.

وما يستحقّ الدراسة في هذا الشرط هو الحافز الذي يشجّع القائد في الإسلام على المقاومة.

لا أرى الحافز إلّا الله تعالى وابتغاء مرضاته، وتطبيق الإسلام في المجتمع. قال تعالى:

﴿والّذين صَبَرُوا ابتغاءَ وَجْهِ رَبّهِم﴾[1].

الصمود والمقاومة من أجل الله سبحانه وكسب رضاه ليس إلّا السعي من أجل التكامل المادّيّ والمعنويّ، والمقاومة لتطبيق الإسلام في المجتمع.

من هذا المنطلق، ليس الحافز على الصبر والمقاومة في القيادة الإسلاميّة سياسيّاً ـ بالمعنى التقليديّ للسياسة ـ بل هو إلهيّ في مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق.

تحقيقاً لهذا الهدف، على القائد ـ كخطوة أُولى ـ أن يكون نموذجاً للإنسان الكامل كي يستطيع أن يقود الآخرين شطر الكمال المطلق. من هنا فإنّ لعنصر الصبر في القيادة الإسلاميّة دوراً مؤثّراً في بناء شخصيّة القائد نفسه وتنضيج قابليّاته قبل قيامه في مواجهة المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة.

## أمر الله تعالى نبيه بالصبر والاستقامة

كان القادة الربّانيّون الكبار كافّة يتّصفون بمزيّة الصبر. وأمر الله سبحانه نبيّه ﷺ

---

(١) الرعد: ٢٢.

أن يتحقّق بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظام جميعهم من قبله. قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(١).

وقال سبحانه:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(٢).

قال ابن عبّاس: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشدّ عليه ولا أشقّ من هذه الآية. ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله! «شَيَّبَتْني هود والواقعة!»(٣).

ورد حديث جامع ورائع عن الإمام الصادق عليه السلام في صبر القادة الربّانيّين ومقاومتهم في مواجهة ضروب الشذوذ الاجتماعيّ، وتسلّم زمام الأُمور، وفيما يأتي ملخّصه:

... إنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً ﷺ فأمره بالصبر والرفق، فقال:

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُم هَجْراً جَمِيلاً﴾(٤).

وقال تبارك وتعالى:

﴿إدْفَعْ بِالَّتي هِيَ أحْسَنُ فَإذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَايُلَقَّهَآ إلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَايُلَقَّهَآ إلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٥).

فصبر رسول الله ﷺ حتّى نالوه بالعظائم ورموه بها (أي: الكذب والجنون)،

---

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) هود: ١١٢.

(٣) مجمع البيان: ٥ / ٣٠٤.

(٤) المزّمّل: ١٠.

(٥) فصّلت: ٣٤ و ٣٥.

فضاق صدره، فأنزل الله عزّوجلّ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[1].

ثمّ كذّبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عزّوجلّ:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾[2].

فألزم النبيّ ﷺ نفسه الصبر، فتعدّوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذّبوه، فقال ﷺ: قد صبرت في نفسي وأهلي وعِرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزّوجلّ:

﴿... فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[3].

فصبر النبيّ ﷺ في جميع أحواله... (ثمّ تمهّدت الأُمور للانتصار النهائيّ على المشركين)، فقتلهم الله على يدَي رسول الله ﷺ وأحبّائه (وأُقيمت الحكومة الإسلاميّة بقيادة رسول الله ﷺ) وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة. فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتّى يقرّ [الله] له عينَه في أعدائه، مع ما يدّخر له في الآخرة[4].

---

(١) الحجر: ٩٧ و ٩٨.

(٢) الأنعام: ٣٣ و ٣٤.

(٣) ق: ٣٩.

(٤) الكافي: ٢ / ٨٨ / ٣، ملخّصاً مع توضيح يسير.

# الخلاصة

◘ الصبر واليقين ـ من منظار القرآن الكريم ـ أهمّ خصائص الإمام وشروط القيادة.

◘ يرى الإسلام أنّ الناس ينبغي أن يكونوا مقاومين صابرين في جميع أعمالهم. وحريّ بقائد المجتمع الإسلاميّ أن يتحلّى بالصبر والمقاومة قبل الآخرين، وأكثر منهم.

◘ الحافز على الصبر في القيادة الإسلاميّة ليس سياسيّاً ـ بالمفهوم التقليديّ للسياسة ـ بل هو إلهيّ يصبّ في مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق.

◘ للصبر دورٌ مؤثّر في بناء شخصيّة القائد الإسلاميّ وتنضيجها قبل دوره في مواجهة المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة.

◘ أوصى الله تعالى نبيّه الكريمﷺ أن يتجهّز بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظامعليهم السلام جميعاً من قبله.

◘ في ضوء السنّة الإلهيّة الثابتة: كلّ من صبر وقاوم لله تعالى فإنّه سينتصر على الأعداء مع ما يُدَّخَر له من الثواب الأُخرويّ. وكان انتصار نبيّناﷺ ثمرةً لصبره وثباته.

# الفصل الرابع عشر

# اليقــين

اليقين في اللغة هو الإدراك العميق، والعلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم[1]. ويطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للإنسان في أعلى درجات التقوى نتيجةً لوضوح حقائق الوجود. من هنا فإنّ من يبلغ درجة اليقين الرفيعة يشاهد الحقائق العقليّة بعين بصيرته[2].

## أهمّ خصائص الإمامة

إذا لاحظنا الأحاديث والروايات بدقّة عرفنا أنّ اليقين من أهمّ شروط القيادة في الإسلام، بحيث إنّ جميع الخصائص الرفيعة للإنسان تنبع منه. وكلّما قويَ اليقين في المرء نضجت فطرته الإنسانيّة أكثر، واقترب من الكمال المطلق، وفاز بمقام الإنسان الكامل والإمامة المطلقة والولاية الإلهيّة الكلّيّة في أرفع درجات «اليقين».

---

(١) اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها... وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم. (المفردات للراغب).

(٢) انظر كتابنا مبانى خدا شناسى (أُسس معرفة الله): ٤٦٦ و ٤٧٦.

يمكن أن نعدّ أبرز الخصائص التي تستمدّ من «اليقين» وتُمِدّ القائد والقيادة بالحركيّة والنضج كالآتي:

## ١ ـ الصبر

ذكرنا آنفاً أنّ الصبر على الشدائد ومقاومتها أحد الخصائص المهمّة للقيادة. وترى الأحاديث والروايات أنّ الصبر ثمرة اليقين وأوّل لوازمه.

قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

**«الصبر ثمرة اليقين»**[١].

**«الصّبر أول لوازم الإيقان»**[٢].

**«سلاح الموقن الصبر على البلاء والشكر في الرخاء»**[٣].

نلاحظ أنّ الصبر ـ في كلام الإمام عليه السلام ـ أقرب فروع الفضائل الإنسانيّة إلى اليقين. فإذا اعتقد الإنسان بحقائق الوجود ـ وعلى رأسها المبدأ والمعاد ـ وأدرك الغاية من خلقه وخلق الوجود فإنّ أوّل ثمرة لهذا الاعتقاد هو تحمّل جميع الشدائد من أجل تطبيق التوجيهات الربّانيّة في مجال ضمان مستقبل واضحٍ له، وبلوغ الغاية من خلقه. فالصبر سلاح فعّال لأُولي اليقين في ميدان مقارعة الشدائد والمحن.

## ٢ ـ التوكل

التوكّل أحد اللوازم الأُخرى للقيادة. وعُدّ في المعرفة الإسلاميّة من آثار «اليقين» أيضاً. وعندما سأل نبيّنا صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام عن التوكّل قال:

**«العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من**

---

(١) غرر الحكم: ٤١١.

(٢) غرر الحكم: ١٥٨٠.

(٣) غرر الحكم: ٥٥٦٠.

**الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحدٍ سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكّل»**[١].

وبعبارة واحدة: التوكّل هو الانقطاع عن الخلق والإقبال على الله تعالى في كافّة الأعمال. فالقائد الذي لا يتوكّل على الله ويحسب أنّ أنصاره هم الرصيد وبيدهم نفعه وضرّه لا يمكنه أن يطبّق العدالة الاجتماعيّة. وهو يحترم حقوق الناس ما دامت لا تهدّد مصالحه الخاصّة ومصالح أنصاره. وإذا شعر بالخطر فإنّ الهوىٰ أو الخوف يحول دون تطبيق الحقّ والعدل.

أمّا القائد الذي يتوكّل على الله وحده ولا يخشى أحداً سواه ولا يرجو غيره فهو قادر بهذه القوّة على إزالة أكبر العقبات التي تحول دون تطبيق العدالة الاجتماعيّة، وعلى هداية المجتمع نحو قمم التكامل.

### دور اليقين في التوكّل

التوكّل في الأحاديث والروايات ثمرة اليقين. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«التوكّل من قوّة اليقين»**[٢].

**«بحُسن التوكّل يُستدلّ على حُسن الإيقان»**[٣].

كلّما تقدّم الإنسان في معرفة ربّه واكتمل يقينه قلّ اعتماده وتوكّله على غيره، وزاد توكّله عليه، وشعر باقتدار بالغ في نفسه لمقارعة الأخطار التي تهدّد المجتمع الإنسانيّ. من هنا كان الأنبياء العظام الذين بلغوا أعلى درجات اليقين يتدرّعون بسلاح التوكّل على الله في مقابلة التهديدات المختلفة للقوى الاستكباريّة.

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦١ / ١، بحارالأنوار: ٧١ / ١٣٨، كنزالدقائق: ١٣ / ٣٠٨.

(٢) غرر الحكم: ٦٩٩.

(٣) غرر الحكم: ٤٢٨٦.

قال تعالى:

﴿وَمَا لَنَا أَنْ لا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

## ٣ـ الإخلاص

هو صفة أُخرى من صفات القادة الربّانيّين. ويعني تهذيب النفس من الميول غير الربّانيّة، والخروج من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى وطلب مرضاته في جميع الأُمور.

ما لم يخرج الإنسان من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى فإنّ الميول غير الربّانيّة لا تدَعه يكون خادماً مخلصاً للأُمّة وإن شقّ شعار حمايته لها عنان السماء! ولهذا السبب تُفضي الرؤية المادّيّة في آخر المطاف إلى الفرديّة والاستبداد، كما هو الحال في المذهب الشيوعيّ.

المخلصون وحدهم همُ الصادقون في شعار حماية الأُمّة، وهمُ الذين لا يتّخذون من خدمتها ذريعةً لتحقيق مكاسبهم المادّيّة، وإحراز الشهرة والاستئثار بالسلطة، ولا يهمّهم إلّا تحقيق مرضاة الله تعالى فحسب.

من هنا يختارون لأنفسهم العمل الأنفع للأُمّة، لا لأنفسهم وذوي قرباهم.

قال الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه في وصيّته لابنه:

**«أي بُنيّ، لا تتهرّب من المسؤوليّة الإنسانيّة المتمثّلة بخدمة الحقّ في إطار خدمة الأُمّة، فإنّ نفثات الشيطان في هذا الميدان لا تقلّ عن نفثاته في نفوس المسؤولين والمتصدّين.**

**لا تتهافت على المنصب مهما كان، معنوياً أم مادّياً بذريعة أنّك تريد أن**

---

(١) إبراهيم: ١٢.

**تقترب من المعارف الإلهيّة أو تخدم عباد الله، فإنّ التفكير بذلك من وساوس الشيطان، فضلاً عن السعي من أجل الحصول عليه.**

**أسمع قلبك وروحك موعظة الله الواحدة، واقبلها جهد المستطاع، وسر في خطّها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾[١]. فالميزان في أوّل السير هو القيام لله في الممارسات الفرديّة الخاصّة وفي النشاطات الاجتماعيّة.**

**أي بُنيّ، نحن عاجزون عن شكر نعمائه وآلائه، فما أحرانا أن لا نغفل عن خدمة عباده! إذ أنّ خدمتهم خدمةٌ للحقّ، لأنّ الجميع منه تعالى. وإيّاك أن تمنّ في خدمتهم وترى نفسك منعماً عليهم، فهمُ الممتنّون علينا حقّاً، لأنّهم واسطة خدمته جلّ وعلا. ولا تبغِ شهرةً ووجاهةً من وراء خدمتهم؛ فانّ ذلك من مكائد الشيطان إذ يحتبلنا بحبائله.**

**واخْتَرْ في خدمة عباد الله ما هو أنفع لهم، لا لك ولأحبّائك، فهذه آية الصدق عند الله جلّ وعلا»[٢].**

القادة الربّانيّون الكبار الذين حازوا على أعلى درجات الإخلاص يبغون خدمة الناس بكلّ ما أُوتوا إرضاءً لله تعالى، ولا يرجون شيئاً لأنفسهم، فهم خدمُ صادقون بلا أجرٍ ولا منّة[٣].

إنّهم لا يريدون أن يكسبوا مكسباً لقاء خدمتهم للناس حتّى في أشقّ ظروفهم إرضاءً لله سبحانه.

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) صحيفة النور: ٢٢ / ٣٥٩، الرسالة المؤرّخة في ١٧ شوّال سنة ١٤٠٤ هـ.

(٣) انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب.

## قصّة ذات عِبرة من إخلاص موسى عليه السلام

رُويت قصّة ذات عبرةٍ وسماعٍ عن أوّل لقاء جرى بين موسى عليه السلام -قبل النبوّة- وشعيب عليه السلام.

لمّا توجّه موسى عليه السلام تلقاء مَدين -بلد شُعيب عليه السلام- فارّاً من فرعون وجد أُمّة من الناس قد اجتمعوا على بئرٍ من أجل سقي قطعانهم، ووجد من دونهم امرأتين تذودان وهما بحاجة إلى من يسقي لهما أغنامها، وكانتا بنتي النبيّ شُعيب عليه السلام. بيدَ أنّ موسى عليه السلام لم يعرفهما، فسقى لهما وارتوت أغنامهما، ثمّ رجعتا إلى البيت.

كان موسى عليه السلام يتضوّر من الجوع، فرفع يديه بالدعاء قائلاً:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سأله إلّا خبزاً يأكله!

عادت إحدى البنتين إلى موسى عليه السلام، ودعته إلى البيت قائلةً له: إنّ أبي يدعوك لِيجزيكَ أجْرَ ما سقَيتَ لنا. فذهب معها، وكان العشاء جاهزاً، لكنّ موسى عليه السلام ظلّ واقفاً ولم يجلس إلى المائدة.

دعاه شعيب عليه السلام وقال: اجلس يا شابّ، فتعشّ!

قال موسى: أعوذ بالله!

سأله شعيب متعجّباً، ولِمَ ذاك؟! ألست بجائع؟!

قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عِوضاً لما سقيتُ لهما.

**«وأنا من أهل بيتٍ لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً».**

قال شعيب: لا والله يا شابّ، ولكنّها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم

---

(١) القصص: ٢٤.

الطعام، فجلس موسى يأكل[١].

### دور اليقين في الإخلاص

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ الإخلاص ـ بما له من دورٍ في قيادة القادة الربّانيّين وخدمتهم الصادقة للناس ـ أحد فروع اليقين.

لنلتفت إلى عدد من أقوال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال، قال:

**«سبب الإخلاص اليقين»**[٢].

**«إخلاص العمل من قوّة اليقين»**[٣].

**«إنّ إخلاص العمل اليقين»**[٤].

إنّه كلّما قويَ يقين الإنسان بالله تعالى ضعفت ميوله غير الإلهيّة، وبلغ الإخلاص الكامل في أرفع درجات اليقين، وأصبح كفوءً لخدمة خلق الله في موقع القيادة.

### ٤ ـ الزهد

هو أيضاً أحد خصائص القادة الربّانيّين، وأحد فروع اليقين.

الزهد ضدّ الرغبة، وبمعنى عدم الميل. والقصد منه في النصوص الإسلاميّة هو الإعراض عن الظواهر المادّيّة والملذّات والمشاغل المُلهية التي تُفضي الرغبة فيها إلى توقّف الحركة التكامليّة للإنسان أو بُطئها.

ينبغي للقائد من منظار الإسلام أن لا يمسك عن الملذّات فحسب، لأنّ الإمساك تزهّد لا زهد، بل عليه أن يُميت الجنوح إليها في نفسه، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ / ٢١.

(٢) غرر الحكم: ٥٥٣٨.

(٣) غرر الحكم: ١٣٠١.

(٤) تحف العقول: ١٥١، بحار الأنوار: ٧٧ / ٢٩١.

البلاغة:

**«ميتة شهوته»**[1].

ذلك أنّ القائد والإمام في الإسلام أُسوةٌ وقدوةٌ للأُمّة، فلابدّ له أن يعلّم المجتمع وأتباعه ـ بقوله وفعله ـ كيف يتحرّكون في مسار التكامل كي لا يقعوا في فخّ المُغريات المضلّلة، ولا يتطاولوا على الحكمة من وراء خلقهم.

على القائد أن يعلّم الناس عمليّاً كيف يحيون، كي لا تصدّهم الثروة والسلطة والرئاسة والشهوات المختلفة عن التحرّك نحو الكمال المطلق.

من هنا إذا كان القائد غير زاهدٍ فلا مناعة عنده من الانحراف نحو المغريات المادّيّة، فكيف يكون أُسوةً للآخرين؟ وكيف يمكنه إيصاؤهم بأن لا يقعوا في فخّ المغريات المضلّلة؟ وأخيراً كيف يدعو الأُمّة إلى الكمالات الإنسانيّة؟!

من هذا المنطلق عُدَّ الزهد في الثقافة الإسلاميّة من أوّل شروط النبوّة والإمامة والقيادة، كما نقرأ في أوّل دعاء الندبة:

**«... بعد أن شرطتَ عليهم الزهدَ في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزِبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمتَ منهمُ الوفاء به، فقَبِلتَهُم وقرّبتَهُم وقدّمتَ لهم الذِكرَ العليَّ والثناءَ الجليَّ، وأهبطتَ عليهم ملائكتَكَ، وكرّمتَهم بوحْيِكَ، ورَفَدتهُم بعلِمك...»**[2].

### دور اليقين في الزهد

جاء الزهد في النصوص الإسلاميّة كأحد آثار اليقين وثماره. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«اليقين يثمر الزهد»**[3].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) انظر مفاتيح الجنان: دعاء الندبة.

(٣) غرر الحكم: ٨٤٣. وانظر أيضاً ٤٥٩ و ٤٦٠١.

**«زهد المرء فيما يفنىٰ على قدر يقينه بما يبقى»**[١].

**«لو صحّ يقينُكَ ما استبدلتَ الفانيَ بالباقي، وما بِعتَ السَنِيَّ بالدنيّ»**[٢].

عندما يتعرّف الإنسان على حقائق الوجود ويخبر حقيقة الدنيا والآخرة في ظلّ نور اليقين فإنّه يدرك أنّ الملذّات المادّيّة لا تستحقّ الركون إليها، بل يعتقد أنّ رخاء الدنيا ولذّاتها هو بالزهد فيها والرغبة عنها.

كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد الذين أدركوا حقيقة الدنيا والآخرة. وقد رسم لابنه صورةً لمعرفته بالدنيا، فقال﵀:

**«نظرتُ في أحوال المقتدرين والأثرياء فرأيتُ أنّ آلامهم الروحيّة ومعاناتهم النفسيّة أكثر من غيرهم، وأنّ عدم إدراكهم لآمالهم وأمانيهم الكثيرة شديد الإيلام لأنفسهم.**

**إنّ الذين يحاولون الاستعلاء والتفوّق بأيٍّ نحوٍ كان سواءً في العلوم ـ بما فيها الإلهيّة منها ـ أم في السلطة والشهرة والثروة إنّما يزيدون في معاناتهم من حيث لا يشعرون.**

**إنّ المتحرّرين من الكُبول المادّيّة ـ الذين أنقذوا أنفسهم من فخّ إبليس نوعاً مّا ـ هم سعداء مرحومون في هذه الدنيا.**

**عندما اشتدّت الضغوط على علماء الدين في عهد رضا خان بهلوي من أجل تغيير زيّهم ـ وكان العلماء في الحوزات العلميّة يعيشون في قلق واضطراب.... ـ رأيتُ شيخاً عليه مسحة التقوى وهو واقف قريباً من أحد المخابز يأكل رغيفاً من الخبز غير مأدوم، فقال لي: «قيل لي: انزع عمامتك فنزعتها، وأعطيتها شخصاً كي يخيط له بها قميصين. الآن أكلتُ رغيفي وشبعتُ. وإذا جنّ عليَّ**

---

(١) نفسه: ٥٤٨٨.

(٢) نفسه: ٧٥٨٨.

**الليل فالله أرحم الراحمين».**

**أي بُنيّ! لو قلتُ إنّي على استعداد لاستبدال هذه الحال بجميع مناصب الدنيا فصدّقني، ولكن هيهات أن يغلبني إبليس والنفس الخبيثة»**[١].

إنّ من عرف الدنيا مثل هذه المعرفة فقد أخذ الزهد بطرفيه. وهيهات أن تحتبله حبائل الشيطان من شهوة وسلطة ورئاسة. أجل، ومثله جدير بقيادة العالم الإسلاميّ.

## ٥ ـ الشجاعة

خاصّيّةأُخرى من خصائص القادة الربّانيّين وهي الشجاعة. قال أميرالمؤمنين عليه السلام في حاجة القائد إليها:

**«يحتاج الإمام الى قلبٍ عقول، ولسانٍ قؤول، وجَنانٍ على إقامة الحقّ صَؤول»**[٢].

ترى التعاليم الإسلاميّة أنّ الأشخاص الذين هم حقّ المسك بزمام قيادة الأُمّة هم الذين يتّصفون بالشجاعة أكثر من غيرهم[٣].

كان رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو إمام الأئمّة وقائد القادة الربّانيّين ـ أشجع من الجميع. وكان يقاتل في الصفّ الأوّل عند اشتداد الحرب، حتّى قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدوّ منه»**[٤].

---

(١) صحيفة النور: ٢٢/٣٥٨، الرسالة المؤرّخة في ١٧ شوّال سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) غرر الحكم: ١١٠١٠.

(٣) انظر معاني الأخبار: ١٠٢/٤، بحار الأنوار: ٢٥/١١٦ و١٦٥، و: ٦٨/٣٩٠.

(٤) بحار الأنوار: ١٩/١٩١/٤٤.

وقال الإمام الصادقعليه السلام أيضاً :

**«أشجع الناس من لاذ برسول الله صلى الله عليه وآله »**[١].

**دور اليقين في الشجاعة**

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ اليقين لا يمنح الإنسان شجاعةً فحسب، بل يبلغ به أرفع درجاتها.

قال أبو بصير: سألت أبا عبدالله (الإمام الصادق)عليه السلام عن اليقين، فقال:

**«أن لا تخاف مع الله شيئاً»**[٢].

عندما يبلغ الإنسان في حركته التكامليّة درجة اليقين ويكشف حقائق الوجود بعين بصيرته يدرك أنّ جميع ضروب الخوف وهميّة عند من كان مع الله، وأنّ كافّة الأشياء التي يخشاها الجبناء إنّما هي كالفزّاعة التي يخاف منها الصغار.

إنّ خوفاً واحداً فحسب له وجوده الواقعيّ، وهو الخوف من الذنب[٣]. من هنا فإنّ أُولي اليقين لا يخافون إلّا ذنوبهم.

وقد كان سيّدهم وإمامهم أميرالمؤمنينعليه السلام مضرب الأمثال في شجاعته، فقال في تبيين فلسفة شجاعته الفذّة الفريدة في ساحة القتال:

**«إنّي والله لو لَقِيتُهُم واحداً وهم طِلاع الأرض كلّها ما باليتُ ولا استوحشت، وإنّي من ضلالِهمُ الّذي هم فيه والهُدى الّذي أنا عليه لَعلىٰ بصيرةٍ من نفسي ويقينٍ من ربّي، وإنّي الى لِقَاءِ الله لمشتاق»**[٤].

---

(١) تفسير العيّاشي: ١ / ٢٦٢ / ٢١٣، بحار الأنوار: ١٦ / ٣٤٠ / ٣١.

(٢) الكافي: ٢ / ٥٧ / ١.

(٣) قال الإمام عليّ عليه السلام: «لا يرجُوَنّ أحدٌ منكم إلّا ربّه ولا يخافَنّ إلّا ذنبَه»، نهج البلاغة: الحكمة ٨٢.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

## ٦ ـ الصدق

وهو أحد الخصائص العظيمة للقادة الربّانيّين. ويرى القرآن الكريم أنّ من طبّقه في وجوده بمفهومه المطلق الواسع[1] فهو جدير بالقيادة، وعلى الناس أن يدعوه إمامهم ومقتداهم، ويكونوا معه في طيّ طريق السعادة والتكامل.

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾[2].

إنّ حجم ثقة الناس بالقائد رهين بصدقه ، فكلّما كان صدقه أكثر زادت ثقتهم به، ومن ثمّ تضاعفت قدرته ونفذ كلامه أبلغ من ذي قبل.

كان صدق الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد أسرار نجاحه في القيادة. فمتى شعر أنّه أخطأ اعترف بخطئه بكلّ صدق وصراحة من دون توجيه. وهو القائل ﷺ كلمته التي هي ذات سماعٍ: «كلام الرجل اثنان» أي: إنّ الرجل هو الذي إذا شعر أنّه أخطأ فلا يلجّ ولا يشاكس بل يقبل خطأه.

وقد ورد أحد مواطن اعترافه الصادق في آخر وصيّته السياسيّة الإلهيّة إذ يقول ﷺ:

**«ذكرتُ بعض الأشخاص وأثنيتُ عليهم في مناسبة أو أُخرى من مناسبات الثورة منخدعاً بريائهم وتظاهرهم بالإسلام. ثمّ تبيّن لي أنّي كنتُ غافلاً عن مكرهم. فأُنبّه على أنّ ذلك الثناء قد صدر منّي حين كانوا يبدون التزامهم بخطّ الجمهوريّة الإسلاميّة، ويصحرون بوفائهم لها».**

### دور اليقين في الصدق

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ الإيمان والكذب لا يجتمعان[3]، فكيف

---

(١) انظر تفسير الميزان: ٩ / ٤٠٢.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) انظر ميزان الحكمة: الباب ٣٤٥٨، «الكذب والإيمان».

تكون الحالة عند بلوغ الإنسان أرفع درجات الإيمان وهو اليقين؟ إنّ أُولي اليقين لا يدركون المناقب والمثالب العقيديّة والأخلاقيّة والعمليّة فحسب، بل يشعرون بها ويجدونها. ومن بلغ هذه الدرجة من الكمالات الروحيّة لا يجد في نفسه أرضيّة للكذب ـ الذي ليس له جذر إلّا الامتهان والخسّة ـ[١]. من هنا يرى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ الصدق أشرف خصائص أُولي اليقين. قال عليه السلام:

**«الصدقُ أشرف خلائق المُوقِن»**[٢].

في ضوء ذلك، كلّما زاد إيمان الإنسان ويقينه زاد صدقه، وبلغ في ذروة اليقين أرفع درجات الصدق، التي هي شرط الولاية والإمامة المطلقة.

**دور اليقين في أرفع درجات القيادة**

تحدّث الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عن الظروف السياسيّة والاجتماعيّة السائدة في عصره[٣] محلّلاً إيّاها تحليلاً عميقاً وموجزاً، وشاكياً من فقدان مَن يستطيع أن يستوعب علمه الجمّ المخزون في صدره، ثمّ قال بعد ذلك:

**«اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحُجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلّاتَبطُل حُججُ الله وبيّناتُهُ».**

وواصل عليه السلام كلامه فقال في عدد الكفوئين ـ الذين وصفهم بأنّهم حجج لله تعالى في جميع الأعصار ـ ومكانهم:

**«وكم ذا؟ وأين أُولئك؟ أُولئك والله الأقلّون عدداً، والأعظمون عندالله قدراً، يحفظ الله بهم حُجَجَه وبيّناتِهِ، حتّى يُودِعُوها نُظَرَاءَهم ويزرعوها في قلوب**

---

(١) روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يكذب الكاذب إلّا من مهانة نفسه». الاختصاص: ٢٣٢، بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٦٢ / ٤٥.

(٢) غرر الحكم: ١٢٥٣.

(٣) انظر كتابنا مبانى شناخت (أُسس المعرفة): ٣٧ و ٤١.

**أشباههم»**.

ثمّ عدّد خصائص هؤلاء الأصفياء الذين ارتقوا أرفع درجات الإنسانيّة والإمامة، وأشار إلى دَور اليقين، فقال عليه السلام:

**«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استعوره المترفون، وأنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقةٌ بالمحلّ الأعلى. أُولئك خلفاءُ الله في أرضه، والدعاةُ الى دينه. آهِ آهِ شوقاً الى رُؤيتهم!!»**[1].

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧.

# الخلاصة

◘ اليقين في اللغة هو الإدراك العميق، والعلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم. ويُطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للإنسان في أعلى درجات التقوى، نتيجةً لوضوح حقائق الوجود.

◘ اليقين أهمّ خصائص القيادة في الإسلام. وجميع الخصائص الرفيعة للإنسان تنبع منه. وفي أرفع درجاته يفوز المرء بمقام الإنسان الكامل والإمامة المطلقة والولاية الإلهيّة الكلّيّة.

◘ أبرز خصائص القيادة التي تستمدّ من اليقين هي: الصبر، والتوكّل، والإخلاص، والزهد، والشجاعة، والصدق.

◘ ورد دَور اليقين في أرفع درجات القيادة في الحكمة ١٤٧ من حِكَم نهج البلاغة.

# القسم الخامس

# آفات القيادة

بيّنا في القسم الرابع أنّ للإمامة أو القيادة شروطها الثقيلة بسبب موقعها الخاصّ في الإسلام. ولا يستطيع أن يضطلع بأعبائها إلّا من كان ذا كفاءات لائقة جسميّاً وروحيّاً وفكريّاً وعائليّاً.

ونتحدّث في هذا القسم عن الآفات التي تسلب الكفاءة من القيادة، وتحول دون الإمامة من منظار الإسلام. ومن الجدير ذكره أنّنا سنقتصر فيه على دراسة أخطر الآفات التي تهدّد الإمامة والقيادة من منظار القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

# الفصل الأوّل

# الهـوى

الهوى هو أخطر الآفات، بل أصلها جميعاً. ومَن تمكّن من الابتعاد عـنها فـقد ابتعد عن الآفات بأسرها. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«الشَّهَواتُ آفَاتٌ»**[1].

**«امنَعْ نَفْسَكَ مِنَ الشَّهَواتِ تَسْلَم مِنَ الآفات»**[2].

تتمثّل حكمة الإمامة والقيادة في هداية المجتمع على نهج الله تعالى وفي طـريق التكامل المادّيّ والمعنويّ للإنسان. وعلى القائد أن يعرف الطريق ليتحرّك في طليعة السائرين ويستطيع أن يكون هادياً. والهوى أُسّ الضلال ، وهـي الآفـة التي تجـرّ الإنسان إلى التيه والضياع. ومن انتظر قيادة الضالّ وتوجيهه فقد ذهب شططاً. من هنا خاطب الله تعالى نبيّه داود عليه السلام، فقال جلّ شأنه:

**﴿يا دَاوُدُ إنّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً في الأرضِ فَاحكُم بَيَنَ النّاسِ بِالحَقِّ**

---

(1) غرر الحكم: ٤٩ و ١٨٨٨. وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: «من تسـرّع إلى الشـهوات تسـرع إليـه الآفـات». غرر الحكم: ٨٥٨٩.

(2) نفسه: ٢٤٤٠.

وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[1].

القادة الربّانيّون خلفاء الله في خلقه. من هنا ينبغي أن تقوم حكومتهم على قاعدة الحقّ والعدل. وانّ اتّباع الهوىٰ انحراف عن صراط الله وابتعاد عن محجّة الحقّ والعدل. على هذا الأساس نجد أنّ ذا الهوىٰ ليس أهلاً للخلافة الإلهيّة وإمامة الناس وقيادتهم.

قال رسول الله ﷺ: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال:

**«حرام على كلّ قلب عالم محبّ للشّهوات أن أجعله إماماً للمتّقين»[2].**

إنّ قيادة المرء للمتّقين ليس أمراً هيّناً يحسن القيام به كلّ فرد.

ذلك أنّ لهم خصائص معيّنة، منها أنّ أحدهم «مَيّتة شهوتُه»[3]، على حدّ تعبير إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة.

من هنا لا يمكن أن يجعل الله تعالى أسيرَ الهوى والشهوات إماماً وقائداً لأُناس فازوا وانتصروا في الجهاد الأكبر، وأفلحوا في كبح النفس الأمّارة. لذا عبّر الحديث المتقدّم من عدم أهليّة العالِم النَّزْويّ لقيادة المجتمع بحُرمة إمامته حرمة تكوينيّة.

في ضوء ذلك، لا يليق بمنصب القيادة الربّانيّة وإمامة المتّقين إلّا مَن خلَع سرابيلَ الشهوات عن بدنه، وألزم نفسَه العدلَ ـ كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ بنحوٍ تكون خطوته الأُولى على طريق العدل نفيَ الهوىٰ عن نفسه.

**«قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمىٰ ومشاركة أهل الهوىٰ، وصار من مفاتيح أبواب الهُدىٰ ومغاليق أبواب الردىٰ، قد أبصر طريقه وسلك سبيله... فهو من معادن دينه وأوتاد**

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ٨٥، روضة الواعظين: ٤٦١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

**أرضه. قد ألزم نفسه العدل، فكان أوّل عدله نفيُ الهوىٰ عن نفسه»**[1].

يستوقفنا في هذا الكلام عدد من الملاحظات الجديرة بالتأمّل:

١ ـ آفة الهوىٰ تُعمي البصيرة، ولا طريق لهُدى البصيرة إلّا خَلْعُ سرابيل الشهوات.

٢ ـ إذا ابتعد المرء عن الهوىٰ أصبح من مفاتيح أبواب الهُدى، وأبصرَ الطريقَ الصحيح، وتحرّك في طليعة السائرين، فيصير أهلاً لقيادة الأُمّة.

٣ ـ يُصبح الإنسان في هذا الموقع من معادن الدِّين وأوتادِ الأرض، ويكون جديراً بالإمامة والقيادة.

٤ ـ مَنْ بلغ هذا المنصب الإلهيّ فلن يَنْكُبَ عن صراط الحقّ والعدل أبداً، لأنّه ـ في أوّل خطوةٍ له على طريق العدل ـ نفى عن نفسه الهوىٰ المفضي إلى الانحراف.

## الإمامة واللهو واللعب

يستبين لنا ممّا تقدّم سبب ورود «اللهو واللعب» في روايات أهل البيت عليهم السلام على أنّه أحد موانع الإمامة والقيادة. قال أميرالمؤمنين عليه السلام في علامات الخليق بالإمامة:

**«لا يلهو بشيءٍ من أمر الدنيا»**[2].

روى معاوية بن وهب ـ أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ـ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال:

**«طهارة الولادة، وحُسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب»**[3].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٤.

(٣) الكافي: ١ / ٢٨٥ / ٤، بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٦ / ٣٤.

ورد اللهو واللعب في هذه الروايات واحداً من آفات القيادة ومن موانع تحقّقها. ولكن لمّا كان مطلق اللهو غير مذموم من منظار الإسلام فمن الضروريّ أن نستعرض بايجاز ضروب اللهو، حسب الرؤية الإسلاميّة، من أجل تبيان المشروع منها وغير المشروع، وما يعدّ منها آفة من آفات القيادة.

## ضروب اللهو من منظار الإسلام

يمكننا أن نقسّمها إلى ثلاثة ضرب:

### ١ ـ اللهو الممدوح

يبيح الإسلام اللهو المفيد في مجال اللياقة البدنيّة، وتنشيط الفكر، وطمأنينة الروح وتهدئة الأعصاب إذا لم يقترن بالأعمال المحرّمة. واهتمّت الأحاديث والروايات ببعض أنواع الرياضة واللهو وأوصت بها كالسباحة والرماية وركوب الخيل والجلسات الترفيهيّة، والمزاح السليم بين المؤمنين وأمثال ذلك[١].

### ٢ ـ اللهو المذموم

يذمّ الإسلام الألعاب وأنواع اللهو التي لا فائدة فيها للإنسان، وأعلن القرآن الكريم بصراحة أنّ إحدى خصائص المؤمنين إعراضهم عن اللغو:

﴿وَالَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون﴾[٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

**«اللهو يفسد عزائم الجدّ»**[٣].

---

(١) انظر ميزان الحكمة: الباب ٣٥٨٦ / «لهو المؤمن».

(٢) المؤمنون: ٣.

(٣) غرر الحكم: ٢١٦٥.

### ٣ـ اللهو الحرام

يحرّم الإسلام بعامّةٍ ضروب اللهو المضرّة كالقمار والغناء والمناظر المثيرة للشهوة ومجالس اللهو.

كان القادة الربّانيّون الكبار لا يُعرضون عن ضروب اللهو الحرام فحسب، بل يتحامون أنواع اللهو المذموم أيضاً. وهذا التحامي فضيلة للمؤمنين وضرورة للقادة الربّانيّين. من هنا نقرأ في الروايات أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا في طفولتهم لا يلعبون كما يلعب سائر الأطفال.

نقل صفوان الجمّال ـ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ أنّه سأل الإمام عليه السلام عن صاحب هذا الأمر (الجدير بالإمامة)، فقال: إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب[1].

### الإمامة والملذّات المباحة

في مضمار الإعراض عن الهوىٰ لم يتجنّب القادة الربّانيّون الكبار وأئمّتنا المعصومون الملذّات المحرّمة فحسب، بل كانوا يَرَون أنّ من واجبهم ـ وهم في موقع الإمامة والقيادة ـ الترفّع عن الملذّات المباحة أيضاً، مواساةً للفقراء البائسين.

قال المعلّى بن خنيس ـ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ: قلت لأبي عبدالله عليه السلام (الإمام الصادق) يوماً: جُعِلتُ فداك، ذكرت آل فلان (آل العبّاس) وما هم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هذا (أمر الحكومة) إليكم لعشنا معكم.

يتبيّن من هذا الكلام أنّ المعلّى كان من أهل الدنيا، ويضاف إلى أنّه لم يكن من أُولي النضال وتحمّل الشدائد والمحن، أنّه لم يعرف أُسس القيادة في الإسلام معرفةً صائبة. وكان يتصوّر أنّ الإمام الصادق عليه السلام لو تصدّى للقيادة السياسيّة لكان له ما

---

(١) الكافي: ١ / ٣١١ / ١٥.

كان لغيره من الحكّام من المتع ووسائل الترف والانغماس في الملذّات الحسّيّة، مع فارقٍ واحد بينهما وهو أنّ أُولئك يمارسون ذلك عن طريق الحرام أمّا أهل البيت عليهم السلام فإنّهم يمارسونه عن طريق الحلال.

قال الإمام عليه السلام في جواب هذا التفكير الساذج:

**«هيهات يا معلّى ! أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلاّ سياسة الليل وسياحة النهار، ولبس الخشن وأكل الجشب»[١].**

وأضاف الإمام عليه السلام، في رواية أُخرى:

**«شِبْه أميرالمؤمنين عليه السلام، وإلاّ فالنار»[٢].**

وقال عليه السلام في رواية أُخرى أيضاً، وهو يجيب أبا بصير:

**«مثل أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلاّ فمعالجة الأغلال في النار»[٣].**

يدلّ هذا الكلام على أنّ العيش البسيط والإعراض عن الملذّات المباحة مواساةً للفقراء ليسا ممّا يختصّ بأميرالمؤمنين عليه السلام -على عكس ما يُسمع أحياناً- بل هما من التكليف الإلهيّ على جميع أئمّة العدل. وتلاحظ هذه الحقيقة بمزيد من الصراحة في كلام الإمام عليه السلام حيث يقول:

**«إنّ الله عزّوجلّ فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بِضَعَفَةِ الناس، كي لا يتبيّغ [٤] بالفقير فقرُه»[٥].**

وعندما دخل الأحنف بن قيس على معاوية قدّم إليه من الحلو والحامض ما كثر

---

(١) الكافي: ١ / ٤١٠ / ٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٨٧ / ٧.

(٣) نفسه: ٢٨٨ / ٨.

(٤) أي: يهيج.

(٥) الكافي: ١ / ٤١١ / ٣، نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٩.

تعجّبه منه، فبكى الأحنف.

فقال معاوية: ما يبكيك ؟!

قال: لله دَرُّ ابن أبي طالب! لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك.

فقال: وكيف؟

قال: دخلت عليه ليلةً عند إفطاره، فقال لي: قم وتعشّ مع الحسن والحسين. ثمّ قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ دعا بجرابٍ مختومٍ بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثمّ ختمه.

فقلت: يا أميرالمؤمنين، لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير؟!

فقال: لم أختمه بُخلاً، ولكن خِفْتُ أن يَبُسَّهُ الحسن والحسين بسمنٍ أو أهالة

فقلت: أحرام هو؟

قال:

**«لا، ولكن على أئمة الحقّ أن يتأسّوا بأضعف رعيّتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميّزون عليهم بشيءٍ لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضىٰ عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغنيّ فيزداد شكراً وتواضعاً»**[1].

الموضوع المهمّ هنا هو: من ذا الذي يستطيع أن يعيش عيشة الفقراء أو عيشة أفقر الناس وبيده جميع الإمكانيّات المتوفّرة في البلاد؟!

إنّ زعم المقتدرين العيشَ كأفقر الناس شعارٌ جميلٌ جذّابٌ على مستوىٰ الألفاظ، ولكنّ تطبيقه في غاية الصعوبة. ولا يعمل به إلّا من تغلّب على نفسه الأمّارة وكما قال أميرالمؤمنين‌عليه السلام: «أوّل عدله نفي الهوىٰ عن نفسه»[2]. وكان كذلك هذا الإمام العظيم

---

(١) تذكرة الخواص: ١١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

الذي يقول:

**«ألا وإنّ إمامَكم قد اكتفىٰ من دنياه بِطِمْرَيه[١] ومن طُعْمِه بِقُرْصَيه... أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أميرالمؤمنين، ولا أُشاركهم في مكاره الدهر، أو أكونَ أُسوةً لهم في جشوبة العيش. فما خُلقتُ ليشغلَني أكلُ الطيّبات، كالبهيمة المربوطة، همّها علفُها، أو المرسلة شغلُها تَقَمُّمُها[٢]، تَكْتَرِشُ من أعلافها، وتلهو عمّا يُراد بها»**[٣].

---

(١) الطِمْر ـ بالكسر ـ: الثوب الخلق البالي.

(٢) التقاطها للقمامة، أي الكناسة.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

# الخلاصة

▣ الهوى أخطر الآفات التي تهدّد القيادة بل أصلها جميعاً، ومن أعرض عنه فقد أعرض عنها برمّتها.

▣ الهوى يضلّ المرء. ومن انتظر قيادة الضالّ فقد ذهب شططاً. ومن هنا لا يصلح ذو الهوى للخلافة الإلهيّة وقيادة الأُمّة.

▣ الجدير بإمامة المتّقين هو الذي تغلّب على نفسه الأمّارة وخلع عنه سرابيل الشهوات. وأوّل خطوة له على طريق العدل نفي الهوىٰ عن نفسه.

▣ القادة الربّانيّون الكبار لا يعرضون عن اللهو الحرام فحسب، بل يُعرضون عن مطلق اللهو المذموم أيضاً. والإعراض عن اللهو المذموم فضيلة للمؤمنين وضرورة للقادة الربّانيّين.

▣ لم يتفرّد الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام ببساطة العيش والإعراض عن الملذّات المباحة مواساةً للفقراء، بل هو تكليف إلهيّ لأئمّة العدل جميعاً.

# الفصل الثاني

# الظـلم

الظلم بمفهومه الواسع[1] المتمثّل بالانحراف عن الموضع الحقيقيّ للأُمور في العقيدة، والأخلاق، والعمل هو تجسيد ماثل للهوىٰ. فلا فرق بين أن نقول: إنّ الهوىٰ أصل جميع آفات القيادة أو إنّ الظلم أصلها. قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، في هذا المجال:

**«الظّلم أُمّ الرذائل»**[2].

من هنا، عندما سأل إبراهيم عليه السلام ربّه تعالى أن يجعل مقام الإمامة في ذرّيّته كان الجواب أنّ الحاجز الوحيد الذي يحول دون إجابة هذا الطلب هو الظلم. قال تعالى:

**﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قال ومِن ذرِّيَّتي قال لا ينالُ عهدي الظالِمِين﴾**[3].

---

(١) انظر كتابنا مبانى شناخت (أُسس المعرفة): ٣١٦ و ٣٢٤.

(٢) غرر الحكم (طبعة النجف): ٢٠ / ١٥، ميزان الحكمة: ١١٠٧٣، وفي غررالحكم (طبعة جامعة طهران): ١ / ٢٠٢ / ٨٠٤ «الظلم ألأم الرذائل».

(٣) البقرة: ١٢٤.

قال الإمام الرضاؑ، في توضيح هذه الآية:

**«فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة»**[١].

النقطة اللافتة للنظر هي أنّ هذه الآية الكريمة لا تقرّر ـ فحسب ـ أنّ الظلم والجور الحاجز الأساس أمام تلقّي القيادة، بل إنّها ـ إذا دقّقنا النظر في مضمونها ـ يمكن أن يُفهم منها أنّ الصيانة من مطلق الظلم في العقائد والأخلاق والأعمال ضروريّ من أجل الوصول إلى أرفع درجات الإمامة والولاية المطلقة[٢].

بعبارة أُخرى: هذه الآية دليل من أدلّة شرط العصمة في الإمامة. قال المرحوم العلّامة الطباطبائيّ في تبيان دلالة الآية المذكورة على ضرورة وجود العصمة:

**«... وقد سُئل بعض أساتذتنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب:**

**إنّ الناس بحسب القسمة العقليّة على أربعة أقسام:**

**١ ـ مَنْ كان ظالماً في جميع عمره.**

**٢ ـ ومَنْ لم يكن ظالماً في جميع عمره.**

**٣ ـ ومَنْ هو ظالم في أوّل عمره دون آخره.**

**٤ ـ ومن هو بعكس هذا.**

**وإبراهيمؑ أجلُّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل والرابع من ذرّيّته. فبقي قسمان، وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أوّل عمره دون آخره. فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره»**[٣].

إنّ القائد الذي بلغ هذا المستوىٰ من العدل في مسير التكامل الروحيّ وصين من

---

(١) الكافي: ١ / ١٩٩ / ١.

(٢) انظر كتابنا مبانى شناخت (أُسس المعرفة): ٣١٦و ٣٢٤.

(٣) تفسير الميزان: ١ / ٢٧٤.

آفة الظلم إلى درجة العصمة ينبغي أن يكون ـ كأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ مبرّاً من آفة القيادة هذه. قال عليه السلام:

**«والله، لأنْ أبيتَ على حَسَكِ السَّعدان مُسَهَّداً أو أُجَرَّ في الأغلال مُصَفَّداً أحبُّ إليّ من أن ألقى اللهَ ورسولَه يومَ القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحُطام، وكيف أَظلِمُ أحَداً لنفسٍ يُسرِعُ الى البِلىٰ قُفُولُها، ويَطُولُ في الثَّرى حُلُولُها؟!»**[1].

إنّ مِثل هذا الإنسان العظيم لا يمكن حَمْله على ممارسة أدنى ظلم مهما كلّف الثمن.

ويشير الإمام عليه السلام ـ وهو يواصل كلامه ـ إلى نقطة مهمّة في تعريف الحكومة الإسلاميّة، فيقول:

**«والله، لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلُبُها جُلْبَ شعيرةٍ ما فعلته»**[2].

يعرض لنا هذا الكلام صورة واضحة عن الحكومة الإسلاميّة التي يريدها الله تعالى لعباده، وهي الحكومة التي لا يجد الظلم سبيلاً إليها مطلقاً، ويسودها العدل بشتّى أبعاده، وليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لأدنى حقّ يتعلّق بأضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

(٢) نفسه.

# الخلاصة

◘ الظلم بمفهومه الواسع المتمثّل بالانحراف عن الموضع الحقيقيّ للأُمور في العقيدة والأخلاق والعمل هو تجسيد ماثل للهوىٰ، وهو أهمّ عقبة تحول دون الإمامة.

◘ تقرّر الآية ١٢٤ من سورة البقرة إلى أنّ مطلق الظلم يحول دون الإمامة. يضاف إلى ذلك أنّها تدلّ على ضرورة اتّصاف الإمام بالعصمة.

◘ الحكومة الإسلاميّة المطلوبة هي الحكومة التي ليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لحقوق أضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

# الفصل الثالث

# الاستبداد

الاستبداد هو «الانفراد بالرأي والعمل»[1]، والمستبدّ هو الذي لا يحترم رأي الآخرين وإرادتهم، ولا يعمل إلّا برأيه وإرادته. لذا يقال له أيضاً: مُعتدٌّ برأيه، ومتهوِّر. وهذه الصفة الذميمة هي من الآفات الخطرة التي تهدّد القيادة .

## خطر الاستبداد

تستهدف آفة الاستبداد أهمّ قواعد القيادة، وهي فكر القائد ورأيه، ولهذا تعدّ من أخطر آفات القيادة. إنّ الإمامة والقيادة تحتاج قبل كلّ شيء إلى فكر صحيح وقويّ من أجل هداية المجتمع نحو التعالي والتكامل المادّي والمعنويّ. فالآفة التي تهدّد صحّة فكر القائد إنّما تهدّد الغاية من القيادة في الإسلام حقّاً .

ونلحظ في الروايات المأثورة اهتماماً صريحاً بنقطتين فيما يرتبط بخطر الاستبداد.

الأُولى: دور الاستبداد في انزلاق الفكر والسقوط في هاوية الآراء والأعمال

---

(١) فرهنگ معين (معجم المعين): ١ / ٢٤٠.

الغالطة.

الثانية: دوره في سقوط الحكومة واضمحلالها.

قال الإمام الصادق عليه السلام في الأثر الهدّام للاستبداد في انزلاق الفكر:

**«المستبدّ برأيه موقوف على مداحض الزلل»**[١].

وبيّن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام خطر هذه الآفة بقوله:

**«المستبدّ متهوّر في الخطأ والغلط»**[٢].

وقوله:

**«الاستبداد برأيك يزلّك ويهوّرك في المهاوي»**[٣].

وقال عليه السلام في خطر ضعف الرأي وزلّة الفكر:

**«من ضَعُفَتْ آراؤه قَوِيَتْ أعداؤه»**[٤].

**«زلّة الرّأي تأتي على المُلك وتؤذِن بالهُلك»**[٥].

## الوقاية من الاستبداد

ذكر الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام «المشاورة» كعنصر مضادّ للاستبداد، قبل قرون من طرحها في الحكومات الديمقراطيّة للوقاية من الاستبداد. وحذّر الذين لا يستهدون بهذه الظاهرة الصائنة من الوقوع في فخّ الاستبداد والهلاك.

**«مَن استبدّ برأيه هلك، ومَن شاور الرجال شاركها في عقولها»**[٦].

---

(١) نزهة الناظر: ١١٢ / ٤٤، أعلام الدين: ٣٠٤، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٥ / ٤١.

(٢) غرر الحكم: ١٢٠٨.

(٣) نفسه: ١٥١٠.

(٤) نفسه: ٨٠٤٨.

(٥) نفسه: ٥٤٧٦.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ١٦١، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٤ / ٣٨، وسائل الشيعة: ٨ / ٤٢٥ / ٦.

من الطريف أن نعرف أنّ هذا الكلام مستلهم من القرآن الكريم والمبادئ الإسلاميّة في هداية المجتمع وقيادته.

يرى القرآن الكريم أنّ الإدارة الصحيحة للمجتمع تحتاج إلى المشاورة وتواصل الأفكار. وفي سورة منه مسمّاة بالشورى ـ لتأكيدها ضرورة الشورى ـ يصرّح في بيانه لخصائص المجتمع الإسلاميّ قائلاً:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

أي: إنّ إحدى مواصفات المجتمع الإسلاميّ هي أنّ شؤونه تُدار على أساس الشورىٰ وتواصل الأفكار.

ونلحظ في آية أُخرى أنّ الله تعالى يأمر نبيّه ﷺ بمشاورة الناس، قال سبحانه:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2].

من البديهيّ أنّ الذي أُمِرَ به النبيّ أن يشاور فيه هو الأعمال الإداريّة للمجتمع، لا الأحكام التي كان مكلّفاً بتبليغها عن طريق الوحي، وسيرته تدعم هذه الحقيقة.

والنقطة الجديرة بالتأمّل هي أنّ القرآن الكريم عندما يأمر كبير القادة الربّانيّين ـ وهو النبيّ ﷺ ـ بالمشاورة، فما بالك بالآخرين؟

## الغنيّ عن المشاور

إنّ الذي لا يحتاج إلى مشاورٍ ومشاورة هو الله تعالى وحده. وهذه ملاحظة مهمّة أكّدتها الروايات الإسلاميّة في تبيين صفات الحقّ جلّ شأنه.

أورد المرحوم المحدّث القمّيّ في «مفاتيح الجنان» دعاءً يُعرف بدعاء «يستشير». وكلمة «يستشير» من مادّة «شور». وتعود هذه التسمية إلى أنّ الدعاء المذكور أثنى

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

علىالله تعالى بأنّه لا يحتاج إلى مشاور ومشاورة في تدبير الأُمور.

روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدعاء، وأمرني أن أدعو به لكلّ شدّة ورخاء، وأن أُعلّمه خليفتي من بعدي، وأمرني أن لا أُفارقه طول عمري حتّى ألق الله عزّوجلّ.

وقال لي: قل هذا الدعاء حين تُصبح وتُمسي، فإنّه كنز من كنوز العرش.

وأوّله:

**«الحمد لله الّذي لا إله إلّاهو الملك المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير ...»**[1].

لعلّ من الأسباب التي أدّت إلى مواظبة جميع القادة الربّانيّين على قراءة هذا الدعاء في كلّ صباح ومساء هو ما أكّد في أوّله ـ وأشار إليه اسم الدعاء أيضاً ـ وهو أنّ الله تعالى وحده قادر على إدارة شؤون العالم بلا وزير ولا معاون ولا مشاور. أمّا الآخرون فإنّهم ـ بالوسائل المتاحة لهم ـ قادرون على تدبير الأُمور والإدارة الصحيحة.

أجل، إنّ دراسة السيرة الإداريّة للنبيّ وأئمّة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين تدلّ على أنّهم كانوا يولون مشاورة الآخرين اهتماماً خاصّاً.

قال الحسن بن الجهم: كنّا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام، فذكرنا أباه عليه السلام فقال:

**«كان عقله لا يُوازَىٰ بِهِ العقول، وربّما شاور الأَسْودَ مِنْ سُودانِهِ، فقيل له: تُشاوِرُ مثلَ هذا؟! فقال: إنّ الله تبارك وتعالى ربّما فتح على لسانه»**[2].

---

(١) مهج الدعوات: ١٥٨، بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٦ / ٩، مفاتيح الجنان: دعاء يستشير.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢ / ٩٩ / ٢٢٨٣، المحاسن: ٢ / ٤٣٧ / ٢٥١٧، بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠١ / ٢٥.

## مشاورة الأعداء!

من التوجيهات الإداريّة المهمّة الملحوظة في كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في حقل المشاورة هي مشاورة الأعداء. وفيما يأتي نصّ كلامه:

**«استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم»**[1].

## ملاحظات حول مشورة القائد

في شأن دور الاستشارة في القيادة والحكومة والإدارة لدىٰ كبار القادة الربّانيّين، ثمّة ملاحظات بارزة من الضروري الالتفات إليها. وهذه الملاحظات هي:

### أ ـ المشاورة لا الطاعة!

يخال بعض الإداريّين الجُدُد وكثير من المستشارين المفرطين أنّ أحد المدراء لو استشار شخصاً واستطلع رأيه فعليه أن يعمل بما يشير به، وإلّا حُكِم عليه بأنّه مدير مستبدّ غير كفوء!

بيدَ أنّ الحقّ غير هذا، ذلك أنّ مسؤوليّة اتّخاذ القرار والنتائج المترتّبة عليه تقع على عاتق المدير، فهو المسؤول أمام الله تعالى والقانون والناس.

والمستشار يساعده على أن يلحظ جميع أبعاد الموضوع وخلفيّاته ونتائجه، ثمّ يتّخذ القرار الصائب. أمّا لو كان اقتراح المشاور غير سديد ـ حسب رأي المدير ـ أو كان هناك تناقض في آراء المشاورين فلا ريب أنّ على المدير أن يعمل بما يراه هو الأصوب، ذلك أنّه هو الذي يتحمّل المسؤوليّة على أيّ حال.

#### من ذكرياتي مع السيّد الإمام

لا أنسى يوم تشرّفت بلقاء السيّد الإمام رضوان الله تعالى عليه مع السادة الوزراء بمناسبة

---

(١) غرر الحكم: ٢٤٦٢.

أُسبوع الحكومة، وكان ذلك أوّل مرّة بعد تكليفي بالتصدّي لوزارة الأمن[١]، وعندما انتهى اللقاء تعمّدت أن أنتحي جانباً لأكون آخر من يودّع الإمام. وحين لم يبق إلّا أفراد قلائل تقدّمت وقبّلت يده المباركة، فأشار إليَّ أن أجلس! في تلكم اللحظة لم يكن يدور في خَلَدي أن أفوز بهذه الحظوة، فلم أتفطّن إلى إشارته، وهَمَمتُ أن أُغادر الغرفة، لكنّه أشار إليَّ مرّة ثانية بالجلوس.

خرج آخر وزير من الوزراء، فلم يبق إلّا أنا ونجله البارّ أخي العزيز المرحوم السيّد أحمد. فقال لي الإمام مباشرة: إعلم أنّ وزارة الأمن هي ليست وزارة الزراعة! فكن حَذِراً! وشاوِر فلاناً وفلاناً وفلاناً[٢] لاختيار الأشخاص الذين يتولّون الوظائف الحسّاسة في الوزارة.

قلتُ: سأعمل بما تأمرون به، ولكن لمّا كنت أنا المسؤول عن الوزارة بالدرجة الأُولى، ومن جانب آخر ربّما يكون لكلّ واحد من الإخوة الذين ذكرتموهم رأي في الأشخاص الذين ينبغي أن يتمّ اختيارهم، فأنا الذي أتّخذ القرار المناسب بعد المشاورة.

قال: هذا هو ما أقصده.

قلتُ مضيفاً: إنّ الخطوط المسيطرة على المرافق الأمنيّة في البلاد الآن سبعة[٣]، فإذا أردتُ أن أعمل كما يشتهي أحد الخطوط فإنّ أصحاب الخطّ الآخر سيعتبون عليَّ، وإذا أردتُ أن أعمل مستقلّاً ـ وسأعمل ـ فالجميع سيعتبون، ولذا يمكن أن

---

(١) كان اليوم الأوّل من أُسبوع الحكومة هو ٢٣ / ٨ / ١٩٨٤م، وكان الإمام لا يستقبل أحداً ذلك اليوم، فتقدّم موعدنا يوماً واحداً. وكان تاريخ اللقاء ـ حسب مذكّراتي ـ هو الأربعاء ٢٢ / ٨ / ١٩٨٤م الموافق ٢٤ ذي القعدة ١٤٠٤هـ.

(٢) كان هؤلاء الثلاثة من الشخصيّات الأُولى في البلاد يومئذٍ.

(٣) كانت هذه الخطوط في بداية تأسيس وزارة الأمن مجموعات أمنيّة تنتسب إلى أجهزة حكوميّة مختلفة، ثمّ اندمجت في وزارة الأمن.

تصل إليكم شكاوى كثيرة في هذا المجال.

فتفضّل عليَّ كثيراً إذ أجابني بجواب لا ضرورة لذكره هنا.

أجل، إنّ المدير الكفوء ـ من منظار الإسلام ـ هو الذي ينأىٰ عن الاستبداد، ويحترم آراء الآخرين، ويشاور أُولي الرأي الحصيف، ولكنّه في الوقت نفسه يحافظ على استقلاله عند اتّخاذ القرار المناسب. أي: إذا رأى أنّ ما قاله المشاور صحيح عمل به، وإلّا عمل برأيه في كلّ ما يعتقده صحيحاً.

وهذا الدرس الإداريّ النفيس عَلَّمَنَاهُ نهج البلاغة:

كان عبدالله بن عبّاس من صحابة أميرالمؤمنين العلماء وذوي الرأي الحصيف، وكان ـ ككثير من أمثاله ـ يتوقّع من الإمام أن يعمل حسب رأيه. وقد أبدى رأياً في موضوع يظنّه في مصلحة الإمام ـ لم يَرِد شرحُه في نهج البلاغة ـ فلم يوافقه الإمام على رأيه، فأصرّ ابن عبّاس، فقال له الإمام:

**«لَكَ أن تُشيرَ عليَّ، وأرى، فَإنْ عَصَيْتُكَ فَأطِعْني»**[1].

النقطة المهمّة الواردة في ذيل كلام الإمام هي أنّ المشاور لايحقّ له أن يفرض رأيه على القائد، بل إذا اتّخذ القائد القرار المناسب وأعلن عن رأيه فعليه وعلى نُظَرائه الذين يفكّرون مثله أن يعملوا بما يرتئيه القائد، شأنهم في ذلك شأن سائر الناس.

من هنا، لا تكون الولاية المطلقة للفقيه في النظام الإسلاميّ بمعنىٰ الاستبداد، بل تعني «الاستقلال في الرأي»، بالمفهوم الذي مرّ شرحه.

بعبارة أوضح: الفقيه الجامع لشروط القيادة في النظام الإسلاميّ هو المسؤول الأصليّ للنظام، وهو المسؤول أمام الخلق اليوم والمسؤول أمام خالقهم غداً. وهو الذي يتولّى صيانة مكاسب الثورة، وتنمية القِيَم الإسلاميّة وتنضيجها. والسلطات

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢١.

الثلاث ـ التشريعيّة، والتنفيذيّة، والقضائيّة ـ والقوّات المسلّحة هي في الحقيقة أجهزة مساعدة ومشاورة للقائد، وقراراتها نافذة حسب الضوابط القانونيّة، ما دامت تمارس نشاطاتها تبعاً للقوانين الإسلاميّة ومصالح الشعب. أمّا في الحالات التي يرى فيها القائد عملاً مخالفاً للإسلام أو لمصالح الشعب والنظام فعليه أن يحول دون ذلك، بل من واجبه أن يعمل وفقاً لرأيه بعد المشورة اللازمة، والجميع مكلّفون باتّباعه.

### ب ـ المشاورة المضرّة

نلحظ أنّ بعض المشاورات تشكّل ضرراً على القائد من الوجهة السياسيّة، وهذه المشاورات هي التي تتمّ مع أُناس يتّخذون منها ذريعة لتحقيق مآربهم السياسيّة. فعلى القائد أن لا يشاور مثل هؤلاء. وهذا الدرس في القيادة تعلّمناه من نهج البلاغة أيضاً.

ونقرأ فيه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام من جهةٍ أراد من الناس بإصرار أن يخبروه إذا رأوا إشكالاً في نهجه الإداري والقياديّ، وأن يُبدوا آراءهم بصراحة في مجال السعي لتطبيق العدالة الاجتماعيّة. قال عليه السلام:

**«فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقّ أو مشورةٍ بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي»**[1].

ومن جهة أُخرى، عندما طلب منه بعض الشخصيّات السياسيّة المعروفة من ذوي السابقة ـ كطلحة والزبير ـ أن يُشركهم في المشورة رفض بشدّة، لأنّه كان يعلم أنّهم يطلبون منه ذلك لتنفيذ مآربهم السياسيّة. قال صلوات الله عليه:

**«... والله ما كانت لي في الخلافة رغبةٌ ولا في الولاية إربةٌ، ولكنّكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلمّا أفضَتْ إليّ نظرتُ الى كتاب الله وما وضَع لنا وأمرنا**

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

**بالحكم به فاتّبعته وما استَنَّ النبيّ ﷺ فاقتديته، فلم احتج في ذلك الى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما»**[1].

لا تناقض بين هذين الكلامين، فهو ﷺ طلب من الناس في الكلام الأوّل أن يشيروا عليه من أجل تطبيق الحقّ والعدل، ولا ينظروا إلى موقعه السياسيّ. وفي هذا الكلام ـ كما يستبيّن من مواصلة الخطبة ـ رفض مشورة الأكابر، لأنّهم كانوا يطمحون إلى منحهم امتيازات خاصّة، وكانوا يَرَون أنّ منطق العدل والمصلحة يحكم بإعطاء ذوي السابقة والنفوذ والقدرة الأكبر حصّةً أكثر عند تقسيم بيت المال!

بعبارة أُخرى: كان المعارضون السياسيّون للإمام يريدون ـ باسم الإسلام وحقوق الإنسان ومبدأ المشورة ـ أن يكون لهم موقع خاصّ وتفضيل على الآخرين، ليستغلّوا ذلك من أجل مآربهم السياسيّة والاقتصاديّة، كما تستغلّ القوى الاستكباريّة اليوم الديمقراطيّة وحقوق الإنسان تحقيقاً للمآرب نفسها.

وهذا هو ما دفع الإمام ﷺ أن يرفض طلبهم ويقول: أنا أفهم الإسلام أفضل ممّا تفهمونه أنتم وغيركم، وأنا في غنىً عن مشورتكم ومشورة أمثالكم لتطبيق العدالة.

## ج ـ المشورة والتردّد في اتّخاذ القرار

تلقّي رأي المشير قبل اتّخاذ القرار مفيد للمستشير. أمّا بعد اتّخاذ القرار فإنّه مضرّ له، إذ يؤدّي إلى تردّد القائد وتزعزعه، إلّا في الحالات التي ينكشف فيها خطأ القرار.

نزلت قوّات قريش عند سفح جبل أُحد يوم الخميس الخامس من شوّال سنة ٣هـ، وتهيّأت لمعركة عرفت فيما بعد بمعركة «أُحد». وبقي النبيّ ﷺ في المدينة ذلك اليوم وليلة الجمعة. ثمّ شكّل يوم الجمعة شورى عسكريّة، واستشار كبار القادة من أُولي

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥.

الحزم في كيفيّة الدفاع.

وفي هذا التجمّع المصيريّ ـ الذي حضره الأمراء والجنود الشجعان ـ نادى ﷺ بندائه البليغ: أشيروا عليَّ. أي: اعرضوا عليَّ رأيكم في أُسلوب مواجهة العدوّ. فكان هناك رأيان:

١ ـ رأي عبدالله بن أُبيّ الذي كان من منافقي المدينة. فقد اقترح أُسلوب «التحصّن»، وكان يقول: لا يخرج المسلمون من المدينة، وعليهم أن يفيدوا من الصَياصيّ والآطام (الحصون). أي ترمي النساء الحجارة على العدوّ من فوق الصياصيّ والآطام، ويقاتل الرجال بأسيافهم في السكك (الأزقّة). وكان يقول ـ من أجل إثبات صحّة رأيه ـ: كنّا نقاتل في الجاهليّة ونُشبّك المدينة بالبنيان، فتكون كالحصن من كلّ ناحية، والنساء تساعدنا من فوق الآطام. ومن هنا كانت مدينتنا عذراء ما فُضّت علينا قطّ. وما خرجنا إلى عدوّ قطّ إلّا أصاب منّا، وما دخل علينا قطّ إلّا أصبناهُ.

٢ ـ رأي عدد من الأُمراء والجنود الأحداث، خاصّةً الذين شهدوا بدراً وذاقوا حلاوة النصر. قالوا: إنّ مثل هذا الدفاع يُجرّئ العدوّ علينا، ويضيع نصرنا الذي مَنّ الله به علينا يوم بدر...

وأيّد الأكابر من المهاجرين والأنصار الرأي الأوّل، بيدَ أنّ حمزة بن عبدالمطّلب وسعد بن عُبادة وكثيراً من الصحابة أيّدوا الرأي الثاني.

أمّا رسول الله ﷺ فقد قبل الرأي الثاني أيضاً، وفضّل الخروج من المدينة على التحصّن والقتال في سككها. فجاء إلى بيته ـ بعد تعيين الخطّ الدفاعيّ ـ ولبس لامةَ الحرب، ثمّ خرج بتجهيزات حربيّة تامّة.

ولمّا نظر إليه عدد من الذين كانوا يدافعون عن الرأي الثاني تردّدوا، إذ لعلّ إصرارهم هو الذي دفع النبيّ ﷺ إلى اختيار الرأي الثاني... فتراجعوا وقالوا: ما كان

لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك! فلم يعتنِ ﷺ برأيهم هذه المرّة، وقال بحزمٍ:

**«لا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمَتَهُ أن يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه»**[1].

هذا الجواب في الحقيقة درسٌ عظيمٌ له قيمته في حقل الإدارة والقيادة، خاصّةً في موضوع القيادة العسكريّة، وفيه إشارة إلى أنّ المدير الكفوء والقائد المؤهّل هو الذي إذا أُشير عليه واتّخذ القرار المناسب فلا يفقد حزمه بتردّد أصحابه، ويعمل بما عزم عليه.

من هنا نلحظ أنّ احترام آراء الآخرين في أمر الإدارة أصل معتبر تجب رعايته من منظار الإسلام ما لم يمنع من الحزم، ولم يُفْضِ إلى التردّد والتزعزع في اتّخاذ القرار.

(١) المغازي للواقدي: ١ / ٢١٤، الطبقات الكبرى: ٢ / ٣٨. انظر فروغ ابديت: ٢ / ٩ [illegible] ٤٥.

# الخلاصة

◘ الاستبداد يستهدف أهمّ مبادئ القيادة، أي أفكارها وتوجّهاتها. ومن هنا، يعدّ من أخطر آفات القيادة.

◘ ترى الأحاديث والروايات أنّ الاستبداد يُفضي إلى انزلاق الفكر وانهيار الدولة الإسلاميّة ودمار الحكومة.

◘ تحتاج الإدارة الصحيحة ـ من المنظار القرآني ـ إلى المشورة وتواصل الآراء، وقد أمر الله تعالى نبيّهﷺ أن يشاور الناس.

◘ «الشورى» اسم لسورة من سور القرآن الكريم، وذُكرت المشورة فيها كإحدى خصائص المجتمع الإسلاميّ.

◘ طرح الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الشورى وقايةً من الاستبداد، مستلهماً ذلك من تعاليم القرآن الكريم، قبل أن تطرحها الحكومات الديمقراطيّة.

◘ الله تعالى وحده لا يحتاج إلى مشاور. وتدلّ دراسة السيرة الإداريّة للنبيّﷺ وأوصيائه عليهم السلام على أنّهم كانوا يعتقدون بمكانة خاصّة للمشورة، حتّى لو كانت مشاورة العدوّ!

◘ المدير الكفوء هو الذي يحافظ على استقلاله عمليّاً، في الوقت الذي ينأىٰ فيه عن الاستبداد، ويقدِّر آراء الآخرين. وعلى المشاور أن لا ينتظر منه الطاعة.

◘ استشارة مَن يستغلّون المشورة لمطامعهم السياسيّة مضرّة للقائد، لذا لا يحقّ لنا أن نعدّ رفضه لهذا اللون من المشاورات نابعاً من الاستبداد.

◘ تلقّي رأي المشاور قبل اتّخاذ القرار مفيد للقائد، أمّا بعد اتّخاذه فمضّر له، لأنّه يؤدّي إلى تزعزع القيادة، إلاّ في الحالات التي يستبين فيها خطأ القرار.

# الفصل الرابع

# الانسياق لآراءِ الآخرين

يقابل الانسياقُ لآراء الآخرين الاستبداد. ويعني: الخضوع لسيطرة الآخـرين فكريّاً وعمليّاً. إنّ المستبدّ لا يحترم رأي الآخرين، والمنساق لا يرى أنّ لرأيه مـن قيمة.

ويرى الإسلام أنّ الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين كليهما من آفات القيادة، فلا المستبدّ يستطيع أن يقود المجتمع الإسلاميّ ولا المنساق.

إنّ إحدى المؤاخذات التي سجّلها أمـيرالمـؤمنينعليه السلام عـلى عـثمان هـي تـوجيه الآخرين له، وسيطرة بعض الأشخاص عليه كمروان بن الحكم ذي السابقة السيّئة، وسوقهم إيّاه أنّى شاؤوا. وعندما ثار الناس عليه طلبوا من الإمام أن يتحدّث معه، ويوضّح له نقاط ضعفه نيابةً عنهم. فاستجابعليه السلام لهم، فتكلّم معه، وقـال في آخـر كلامه حول سوق مروان بن الحكم له:

**«فلا تكوننّ لِمروانَ سَيِّقَةً يسوقُك حيث شاء بـعد جـلال السـنّ وتـقضّي العُمُر»**[1].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٤.

## خطر الانسياق لآراء الآخرين

آفة الانسياق معقّدة وخطرة إلى درجة أنّ القرآن الكريم يحذّر النبيّ ﷺ منها، ويؤكّد أنّ فضل الله ورحمته هما اللّذان يحولان دون انسياقه لآراء الآخرين:

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إلَّا أنْفُسَهُم وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيء﴾[1].

ومهما كان شأن نزول الآية الكريمة[2] فهي تُشعر بوضوح أنّ مؤامرة كانت مُبيَّتَةً. وكان هدف المتآمرين النفوذ في رأي النبيّ وحمله على اتّخاذ قرار خاطئ، بيدَ أنّ فضل الله ورحمته حالا دون ذلك.

النقطة الأدقّ -من منظار القرآن الكريم- هي أنّ آفة الانسياق لآراء الآخرين خطرة إلى درجة أنّها إذا لم يوق منها فقد تبلغ حتّى تحريف الوحي الإلهيّ!

﴿وَ إن كَادُوا لَيَفتِنُونَكَ عَنِ الَّذِيَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَينَا غَيْرَهُ وَإذاً لاتَّخَذُوكَ خَليلاً * وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَد كِدتَ تَرْكَنُ إلَيْهِم

---

(١) النساء: ١١٣.

(٢) روي أنّ رجلاً في عهد النبيّ ﷺ يُدعى «بشيراً» من بني أُبَيْرق دخل بيت مسلم يُعرف برفاعة، وأخذ له طعاماً وسيفاً ودِرعاً. فشكا ذلك إلى ابن أخيه قتادة بن النعمان، وكان بدريّاً. فأتى قتادة رسول الله ﷺ وأخبره، بيدَ أنّ بشيراً وأخويه بِشراً ومُبشِّراً اتّهموا لبيد بن سهل -جار رفاعة- بالسرقة، وكان مسلماً ذا حسبٍ ونسب. فاضطرب لبيد من هذه التهمة المفتراة، وأصلتَ سيفه وخرج إليهم، وقال: أترمونني بالسرَق وأنتم أولى به منّي، وأنتم منافقون تهجون رسول الله وتنسبون ذلك إلى قريش؟! لتبيننّ ذلك أو لأضعنّ سيفي فيكم! فداروه. ولكن عندما علموا أنّ قتادة أخبر النبيّ بذلك طلبوا من أحد خطبائهم أن يأتي رسول الله ﷺ في جماعة ويبرّئ السارقين، ويرمي قتادة بالقذف. فقبل ﷺ شهادتهم عملاً بالظاهر، ووبّخ قتادة. فاغتمّ قتادة البريء غمّاً شديداً، ورجع إلى عمّه وأخبره متأسّفاً كثيراً، فطيّب خاطره، وقال له: الله المستعان! فنزلت الآيات (١٠٥، ١١٣) وبرّأت هذا الرجل، ووبّخت الخونة الحقيقيّين بشدّة. انظر تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): ٤ / ١١٠ ـ ١١١، مجمع البيان: ٣ / ١٦٠ ـ ١٦١.

شَيئاً قَليلاً﴾[1].

## استقلال الرأي والقيادة

في ضوء ما ذكرناه حول الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين نستنتج أنّهما آفتان، وأنّ استقلال الرأي ضروريّ للقائد، وعلى قادة المجتمع الإسلاميّ أن يبتعدوا عن الاستبداد بنحوٍ جادّ ويحترموا آراء الآخرين، بيدَ أنّهم غير مسموحٍ لهم أن يخضعوا لسيطرة الآخرين. وينبغي أن يكونوا أصحاب رأيٍ مستقلّ، ويسمعوا كلام الغير، لكنّهم يقفون عنده ويتأمّلون فيه، ثمّ يتّخذون القرار المناسب.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في استقلال رأيه وعدم انسياقه:

إذا المشكلات تَصَدَّيْنَ لي ... كشفت حقائقها بالنظر
ولستُ بِإمَّعَة[2] في الرجال ... أُسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنّني مدرب الأصغرين ... أُبيِّنُ مع ما مضى ما غبر[3]

يدعو القرآن الكريم النبيّ صلى الله عليه وآله وجميع المسلمين إلى الاستقلال في الرأي، وذلك في وصيّة إداريّة ثمينة، مع تحذيره من خطر الانسياق:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[4].

نلحظ في هذه الآية الكريمة أنّ القرآن ينبّه في البداية على أنّ آراء أكثر الناس وعقائدهم مرفوضة، وأنّ من سار وراء الأكثريّة ضلّ عن سبيل الله الذي هو سبيل

---

(١) الإسراء: ٧٣ و ٧٤.

(٢) الإمّعة: الذي لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع كلّ أحدٍ على رأيه ولا يثبت على شيء. (لسان العرب: ٨/ ٣).

(٣) أمالي الطوسي: ١١٢٥/٥١٤، ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ١٧٩، بحار الأنوار: ٢/ ٦٠، و: ٤٢ / ١٨٧ / ٤.

(٤) الأنعام: ١١٦.

الحقّ والعدل. ثمّ يذكر سبب ذلك، وهو أنّ عقائد معظم الناس لا تستند إلى قاعدة علميّة ثابتة، بل تستند إلى الظنّ.

من هنا، فإنّ الذين يريدون اتّخاذ قرار صائب ويطمحون إلى العمل بنحوٍ سديد ـ خاصّةً أُولئك الذين يشغلون موقع القيادة ـ عليهم أن يحافظوا على استقلالهم الفكريّ.

إنّ المَواطن التي يوصي بها القرآن الكريم قادة المجتمع الإسلاميّ بالاستقلال كثيرة، وجميع الآيات التي تنهى النبيّ ﷺ عن اتّباع الآراء والعقائد المفروضة هي في الحقيقة وصايا للقادة الربّانيّين باستقلال الرأي، وعدم الانسياق للآراء المختلفة.

نستشفّ من هذه الآيات عدداً من الملاحظات النفيسة الآتية حول الإدارة والقيادة:

١ ـ الاستقلال وعدم الانسياق ضرورة قطعيّة ثابتة للقائد. ولا يستطيع قادة المجتمع الإسلاميّ أن يقوموا بواجباتهم الإلهيّة إلّا إذا كانت لهم هذه الصفة المهمّة.

٢ ـ إنّ الوصايا القرآنيّة المتكرّرة في هذا المجال علامة على أهمّيّة خطر الانسياق الذي يهدّد قادة المجتمعات الإسلاميّة، وتستتبع الغفلة عنه خسائر لا تعوّض.

٣ ـ عندما يقول القرآن الكريم بصراحة: إنّ النبيّ لا يستطيع أن يصون نفسه من خطر الانسياق إلّا بتسديدٍ إلهيّ يتبيّن لنا أنّ هذا الخطر جدّيّ في غاية الجدّ، وعلى الآخرين أن ينظروا في أعمالهم ويراقبوا أنفسهم بدقّة من أجل الوقاية منه.

٤ ـ لا يستطيع قادة المجتمع الإسلاميّ أن يصونوا أنفسهم من خطر الانسياق لآراء الآخرين إلّا إذا استظهروا بإمداداتٍ غيبيّة، مضافاً إلى بعض المراقبات اللازمة. من هنا، فإنّ الدعاء والاستمداد من الله تعالى ـ إلى جانب المراقبات اللازمة ـ سرّ استقلال القائد وصلابته وعدم انسياقه.

# الخلاصة

◘ الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين ـمن منظار الإسلامـ آفتان من آفات القيادة. فلا المستبدّ يستطيع أن يكون قائداً للمجتمع الإسلاميّ، ولا المنساق فكريّاً لآراء غيره.

◘ آفة الانسياق معقّدة وخطرة إلى درجة أنّها إذا لم تُضْبَط فلعلّها تستتبع تحريف الوحي الإلهيّ. وينبّه القرآن الكريم رسول الله ﷺ على هذا الأمر، ويذكّره بأنّ الذي يصونه من هذه الآفة هو فضل الله ورحمته.

◘ نستنتج ممّا أوردناه حول خطر الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين ما يأتي:

أ ـ الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين آفتان، والاستقلال ضروريّ للقائد والإداريّ.

ب ـ الوصايا القرآنيّة المتوالية في التحذير من الانسياق لآراء الآخرين تُترجِم جدّيّة هذا الخطر الذي يهدّد قادة المجتمعات الإسلاميّة.

ج ـ الاستمداد من الله تعالى للوقاية من آفة الانسياق ضروريّ، مضافاً إلى وجود الرقابة اللازمة.

# الفصل الخامس

# أمراض أخلاقيّة

ذكرنا في الفصل الثاني من القسم الأوّل أنّ الأخلاق أساس العمل، وأنّ غاية النبوّة والإمامة إحياء القِيَم الأخلاقيّة، وكذلك فإنّ القيادة الأخلاقيّة في الإسلام من الشروط الجوهريّة للقيادة السياسيّة.

**من هنا، لا نرتاب في أنّ جميع ضروب الشذوذ والأمراض الأخلاقيّة تُعدّ من آفات القيادة. ولكن لمّا كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع وردت الأحاديث والروايات لتؤكّد ضرورة ابتعاد القائد بل جميع الإداريّين عنها، على كافّة المستويات الإداريّة.**

١ ـ قال رسول الله ﷺ:

**«لا ينبغي لحاكم من حكّام المسلمين أن يكون فيه ثلاثة أشياء: الحِدّة، والحقد، والحسد»**[1].

٢ ـ وقال ﷺ أيضاً:

**«الإمام عفيفٌ عن المحارم عفيفٌ عن المطامع»**[2].

---

(١) مسند الفردوس: ٥ / ١٣٦ / ٧٧٣٦.

(٢) حلية الأولياء: ٨ / ٢٢٤.

٣ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

**«لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتّبع المطامع»**[١].

٤ ـ وقال عليه السلام أيضاً:

**«لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع ولا يخادع ولا تغرّه المطامع»**[٢].

٥ ـ وقال:

**«لا ينبغي أن يكون على المسلمين الحريص فتكون في أموالهم نَهمَتُهُ، ولا الجاهل فيهلكهم بجهله، ولا البخيل فيمنعهم حقوقَهم، ولا الجافي فيحملهم بجنايته على الجفاء، ولا الخائف لِلدُوَل[٣] فيتَّخذ قوماً دون قوم، ولا المرُتَشِي في الحكم فَيُذهِبُ بحقوق الناس، ولا المعطِّل للسنّة فيهلك الأُمّة»**[٤].

هذه الأحاديث إنذارٌ للمجتمع الإسلاميّ بأن يقوم أفراده بواجباتهم الإلهيّة في اختيار الأُمناء على الشؤون الحكوميّة ورؤساء الدوائر والوزراء، فينتخبوا الكفوئين المؤهّلين للأمانة. أي: يختاروا مَن كان سليماً من أمراض الغضب والحقد والحسد والطمع والمصانعة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء وغيرها. فالمصابون بهذه الأدواء ليسوا أهلاً للأمانة والإدارة. وإذا قصّر الناس في واجباتهم الإلهيّة مُهْمِلِين غير مراعين للدقّة ورضُوا بهيمنة من لا كفاءة لهم في المجال الإداريّ والحكوميّ فلا يتوقّعوا رخاءً وسعادةً ورفاهيّةً مادّيّة ومعنويّة، وحينئذٍ فلا يلوموا إلّا أنفسهم. يضاف إلى ذلك أنّهم مسؤولون أمام الله تعالى. ولو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرفرفت راية الإسلام خفّاقةً على ربوع المعمورة هذا اليوم.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١١٠.

(٢) غرر الحكم: ١٠٨١٣.

(٣) الدُوَل: جمع دُولة ـ بالضمّ ـ: هي المال، لأنّه يُتداول من يدٍ ليد.

(٤) دعائم الإسلام: ٢ / ٥٣١ / ١٨٨٦. وجاءت هذه المواصفات في الخطبة ١٣١ من نهج البلاغة كالآتي: «... وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نَهمَتُه...».

# الخلاصة

◘ جميع الأمراض الأخلاقيّة آفات تهدّد القيادة. ولكن لمّا كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع ومديره فإنّ الأحاديث والروايات أكّدت ضرورة سلامة القائد من تلك الأمراض.

◘ الأحاديث التي ذكرت الغضب والحقد والحسد والطمع والمساومة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء عقباتٍ تحول دون الإمامة إنّما تُنذر المسلمين أن يكونوا واعين في اختيار الأُمناء على الحكومة.

◘ لو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرفرفت راية الإسلام خفّاقةً على ربوع المعمورة هذا اليوم.

# القسم السادس

## الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

# الفصل الأوّل

# حقوق الناس في النظام الإسلاميّ

رضا الناس عن الحكومات ودعمهم لها يرتبطان ارتباطاً مباشراً بتلبية حاجاتهم. فكلّما أفلحت الحكومات في قضاء الحاجات للناس ـ على شتّى الأصعدة ـ نالت دعمهم وتأييدهم.

النقطة الدقيقة اللافتة للنظر هنا هي أنّ حاجات الناس لا تنحصر بمطالبهم المادّيّة فحسب، إذ يمكن إرضاء الحيوان بإشباع بطنه، بيدَ أنّ إرضاء الإنسان لا يتيسّر بهذه الطريقة. بعبارة أُخرى: بقدر ما تكون العوامل المادّيّة مؤثّرة في إرضاء الناس تكون العوامل الروحيّة والمعنويّة مؤثّرة فيه أيضاً، بل قد تتفوّق العوامل الروحيّة على العوامل المادّيّة من حيث الأهمّيّة.

**«من الممكن أن تتساوى الحكومات في تأمين الحاجات المادّيّة للناس، لكنّها لا تتساوى في كسب الناس وفي رضاهم عنها، فمن الحكومات من يفي بإشباع حاجات المجتمع الروحيّة، ومنها ما لا يفي بذلك»**[1].

---

(١) سيري در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغة) للأُستاذ الشهيد مطهّريّ: ١١٨.

إنّ إحد الموضوعات التي حيّرت مُحلّلي القوى المستكبرة هي رضا الأكثريّة الساحقة للشعب الإيرانيّ عن النظام الجمهوريّ الإسلاميّ، وحبّها العجيب لقيادة هذا النظام الإلهيّ.

كان أعداء الثورة الإسلاميّة يتوهّمون أنّ الضغوط العسكريّة والاقتصاديّة والسياسيّة والحملات الإعلاميّة المكثّفة ستقلّل من دعم الناس لهذا النظام، ومن ثَمّ ستقضي عليه خلال عدد شهور أو سنين. وبلغ الوهم درجة أن بعض أقطاب التنظيمات السياسيّة المحلّيّة المعارضة للنظام كانوا يقولون: هذا النظام قباء لا يلائم إلّا جسم مؤسّسه!

إنّ مشاركة ما يربو على عشرة ملايين إنسان في تشييع الجثمان الطاهر للإمام الراحل رضوان الله عليه بتلك الحماسة وذلك العشق الذي لا يوصف قد أدهشت العدوّ والصديق، وأثبتت بجلاء أنّ جميع تلك الضغوط والمصاعب لم تقلّل من حبّ الناس للإمام وللنظام قيد أنملة.

ونلحظ اليوم أيضاً أنّ تكرار المشاهد التي لا تُنسى لقدوم الإمام الراحل إلى إيران سنة ١٣٩٩هـ في الترحيب الحماسيّ الذي يبديه الشعب لخلفه الصالح ـ في شتّى مدن البلاد ـ أفضل دليل على دعم الناس ورضاهم عن النظام الإسلاميّ وقيادته، بالرغم من الضغوط المادّيّة برمّتها.

لا ريب أنّ الباعث الأساس على هذا الدعم والرضا هو الحوافز الروحيّة والمعنويّة، وبتأمّل يسير يمكننا أن ندرك أنّ للإنسان حاجات أُخرى، بالإضافة إلى حاجاته المادّيّة. وإذا اكتشفت الحكومة والقيادة تلك الحاجات ولبّتها كما ينبغي فستكونْ مؤثّرة في إرضاء الناس أكثر من تأمين الحاجات المادّيّة.

## الاعتراف بحقوق الناس

العوامل الروحيّة لدعم الناس الحكومة هي بعدد حاجاتهم المعنويّة.

ولسنا الآن في صدد دراسة هذه العوامل جميعها، وما نستعرضه في هذا الفصل هو أهمّ عوامل الدعم، ونريد به اعتراف الحكومة ـ خاصّةً القيادة ـ بحقوق الناس.

**«وممّا يرتبط به رضا الناس هو نوعيّة نظر الحكومة إلى الأمّة وإلى نفسها. فهل تنظر إليهم على أنّهم عبيدها ومماليكها، وهي المالكة المختارة؟ أم أنّهم ذوو حقوق وهي نائبة عنهم ومؤتمنة عليهم وكفيلة برعاية حقوقهم؟**

**في الحالة الأُولى: كلّ ما تعمله من عمل لأجلهم هو من نوع الرعاية التي يقوم بها صاحب حيوانٍ لحماية حيوانه من الآفات والعاهات.**

**أمّا في الحالة الثانية فإنّ عملها من نوع الخدمة التي يقدّمها أمين صالح. إنّ اعتراف الحكومة بحقوق الناس. واحترازها من كلّ عمل يُشعر بإلغاء دورهم هما من الشروط الأُولى لاسترضائهم وكسب ثقتهم»[1].**

يرى الأُستاذ الشهيد مطهّري رضوان الله تعالى عليه ـ في تحليلٍ علميّ ـ أنّ أحد الدوافع الرئيسة للنزوع نحو المادّيّة في العصر الحديث هو الفكرة الخطرة المضلّة القائلة: إنّ المسؤوليّة أمام الله تستلزم عدم المسؤوليّة أمام الناس، وإنّ حقّ الله يحلّ محلّ حقّ الناس، وحقّ الحاكميّة القوميّة يساوي الإلحاد قال ﷺ:

**«قامت في أُوربا ـ كما نعلم ـ نهضة مضادّة للدين في القرون المتأخّرة، ثمّ توسّع نطاقها نوعاً مّا فامتدّ إلى خارج العالم المسيحيّ، وكانت نزعتها نحو المادّيّة. وإذا تلمّسنا أسبابها وجذورها رأينا أنّ أحدها هو قصور المفاهيم الكَنَسيّة في حقل الحقوق السياسيّة.**

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغة): ١١٨.

فقد حاول رجال الكنيسة وبعض الفلاسفة الأوربيّين أن يقرّوا نوعاً من العلاقة المفتعلة بين الاعتقاد بالله من جهة وسلب الحقوق السياسيّة وتوطيد الحكومات المستبدّة من جهة أُخرى. ومن الطبيعي أنّ نوعاً من العلاقة الإيجابيّة قد افتُرض بين الديمقراطيّة وحكومة الشعب للشعب، وبين العِلْمانيّة.

ومنطق هذا الفرض هو إمّا أن نقرّ بالله ونعتقد أنّه فوّض حقّ الحكومة إلى أشخاص معيّنين لا مزيّة لهم من غيرهم، أو لا نقرّ به حتّى يتسنّى لنا أن نرى أنفسنا ذوي حقٍّ في الحكم.

يرى علم النفس الدينيّ أنّ من عوامل التخلّف الدينيّ هو قيام أولياء الدين بإيجاد تناقض بين الدين وبين حاجة من الحاجات الطبيعيّة، خاصّةً إذا ظهرت تلك الحاجة على مستوى عامّ.

ومن الملحوظ بوضوح أنّ الاستبداد والإرهاب حين بلغا ذروتهما في أوربا ورغب الناس في أن يكون حقّ الحاكميّة لهم عرضت الكنيسة أو أنصارها أو المتوكّئون على مبادئها فكرةً تقول: إنّ الناس لا حقّ لهم في الحكومة، بل هم مكلّفون فحسب.

وكان هذا كافياً أن يثير الظامئين إلى الحرّيّة والديمقراطيّة والسلطة لمناهضة الكنيسة، بل الدين، بل الله تعالى بصورةٍ عامّة.

وكان لهذا اللون من التفكير جذور موغلة في القِدم سواءً في الشرق أم في الغرب...»[1].

في ضوء هذا التفكير الخطر، لا يمتلك الناس حقّاً أمام الإمام والقائد، والولاية والقيادة الدينيّة تساويان سلب الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة للناس، وبكلمة واحدة: القائد مخدوم، والناس كلّهم خدمٌ له! ومن البديهيّ أنّ حكومة تتحرّك على

---

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغة): ١١٩.

أساس هذه الفلسفة تفتقد الرصيد الشعبيّ، والقيادة التي تمتلك هذه الرؤية فيما يخصّ حقوق الناس سوف لا تحظى برضاهم ودعمهم.

## الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

يرى الإسلام أنّ حقّ القيادة السياسيّة للمجتمع -في إطار تعاليمه- لا يغاير حقوق الناس، بل هو رهينٌ بأداء القائد حقوقهم، وهم مكلّفون بطاعته ودعمه إذا رُوعيت حقوقهم في النظام الذي يقوده.

قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام في هذا المجال:

**«أمّا بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقّاً بولاية أمركم، ولكم عليَّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيَقها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له»**[1].

وقالعليه السلام في كلامٍ آخر، وهو يبيّن الحقوق المتبادلة بين الشعب والقيادة:

**«حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدّي الأمانة، فإذا فعل فحقٌّ على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا»**[2].

نلحظ في هذا الكلام أنّ حقّ القائد ليس رهيناً بأداء حقوق الناس فحسب، بل طُرح حقّ الإمامة والولاية والقيادة بوصفه حقّ أداء الأمانة أيضاً.

نصل هنا إلى نقطٍ بالغة الأهمّيّة -في مجال أُسس القيادة في الإسلام- وهي أنّ حقّ الحكومة في الإسلام ليس إلّا تقديم نوع من الخدمة للمجتمع، وأنّ القائد خادم الناس لا مالكهم، كما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في كلام رائع له:

**«سيّد القوم خادمهم»**[3].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

(٢) كنزالعمّال: ١٤٣١٣.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠ / ١٨٧، كنزالعمّال: ١٧٥١٧.

من هنا، يذهب الإسلام إلى أنّ ولاية الأمر والقيادة ـ في الحقيقة ـ أمانة وحراسة وخدمة للناس، ووليّ الأمر أمين وراعٍ وأجير لهم.

## القيادة وحفظ الأمانة

إنّ القرآن الكريم ـ قبل أن يطرح حقّ القيادة ولزوم طاعة الناس قادةَ المجتمع الإسلاميّ ـ يؤكّد حقّ الناس باعتباره أمانةً يجب على القادة الربّانيّين أداؤها. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1].

قال الطبرسيّ‏ﷺ في تفسير مجمع البيان، في توضيح هذه الآية الكريمة:

قيل في المعنيّ بهذه الآية أقوال:

أحدها: إنّها في كلّ من اؤتمن أمانةً من الأمانات، وأمانات الله أوامره ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره...

وثانيها: إنّ المراد به ولاة الأمر، أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعيّة، وحملهم على موجب الدين والشريعة...

ويعضده قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ و أُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾...

أَمَرَ اللهُ تعالى كلّ واحد من الأئمّة أن يسلّم الأمر إلى مَن بعده،... أنّه أمَرَ الرعيّةَ بعد هذا بطاعة ولاةِ الأمر. وروي عنهم‏ﷺ أنّهم قالوا: آيتان إحداهما لنا والأُخرى لكم... ولذلك قال أبو جعفر‏ﷺ: إنّ أداء الصلاة والزكاة والصوم والحجّ من الأمانة،

---

(١) النساء: ٥٨.

ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك ممّا يتعلّق به حقّ الرعيّة...»[١].

قال المعلّى بن خنيس: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله عزّوجلّ: ﴿إنّ اللهَ يَأْمُرُكم أنْ تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها...﴾ قال:

**«على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، وأُمرت الأئمّة بالعدل، وأُمر الناس أن يتّبعوهم»[٢].**

من هنا، فإنّ القيادة والحكومة على الناس ـ من منظار الإسلام ـ قبول الأمانة وحفظها وأداؤها. وكلّ من تولّى عملاً في النظام الإسلاميّ فقد اضطلع بقسم من عبء الأمانة الإلهيّة. وكلّ من كان له مقام وموقع وقدرة أكثر فإنّ عبء أمانته سيكون أثقل.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الأشعث بن قيس عامله على آذربيجان ـ موضّحاً أنّ السلطة أمانة في النظام الإسلاميّ ـ:

**«وإنّ عَمَلَكَ ليسَ لك بِطُعْمَةٍ ولكنّه في عُنُقِكَ أمانةٌ، وأنت مسترعىً لمن فوقَك. ليسَ لك أن تفتاتَ في رعيّةٍ، ولا تخاطر إلّا بوثيقة، وفي يديك مالٌ مِن مالِ الله عزّوجلّ وأنت من خُزّانه حتّى تُسلّمَهُ إليَّ، ولعلّي أن لا أكون شرَّ وُلاتِك لك، والسلام»[٣].**

وقال عليه السلام في كتاب آخر لعامل من عمّاله ـ كان قد أخذ الأموال من بيت المال لِيَتْرَفَ بها في الحجاز ـ:

**«أمّا بعد، فإنّي كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن**

---

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ٣ / ٩٨.

(٢) التهذيب: ٦ / ٢٢٣ / ٥٣٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥.

**رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليَّ... فاتّق الله واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني الله منك لأُعذِرَنَّ إلى الله فيك، ولأضربنّك بسيفي الّذي ما ضربتُ به أحداً إلّا دخل النار»[١].**

## القيادة والرعاية

العنوان الثاني الذي يمكن أن يبيّن رؤية الإسلام بالنسبة إلى موقع حقوق الناس في النظام الإسلاميّ هو تعبير «الراعي» في توضيح موقع القيادة والإمامة.

ورد في كثير من الأحاديث المأثورة أنّ الإمام هو الراعي، والناس هم الرعيّة. علماً أنّ معنى هاتين المفردتين في العربيّة يغاير معناهما في الفارسيّة تماماً، إذ يتداعى في خاطر الفارسيّ إذا سمعهما نظام الإقطاع الذي يصادر فيه الإقطاعيّون وملّاكو الأرض حقوق الناس.

هذا الاستعمال من باب تسمية الأشياء بأضدادها، واستخدام الكلمات المقدّسة للتعبير عن مفاهيم ومآرب غير مقدّسة.

المفهوم الحقيقي للراعيّ هو «الحافظ»، والرعيّة هم الذين تُرعى شؤونهم ويحافظ عليهم.

قال رسول الله ﷺ:

**«كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته»[٢].**

نلحظ في هذا الكلام أنّ رسول الله ﷺ عَرَض في البداية ضرورة رعاية حقوق الآخرين بوصفها مبدأً عامّاً، إذ ينبغي للجميع في النظام الإسلاميّ أن يحافظوا على حقوق ومصالح بعضهم بعضاً. من هنا كلّ مَنْ كان نطاق حفظه ورعايته أوسع

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤١.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ٣٠٤ / ٨٥٣.

فمسؤوليّته أكبر وأثقل. ثمّ ذكر ﷺ مسؤوليّة وليّ الأمر في مقابل حقوق الناس، وبيّن بعد ذلك مسؤوليّة الزوج في حفظ حقوق زوجته وأولاده، ومسؤوليّة الزوجة في حفظ حقوق زوجها وأولادها[١].

من هذا المنطلق، نرى أنّ جميع الأحاديث التي تسمّي القائد «راعياً» والناس «رعيّةً» تؤكّد نقطة حقوقيّة مهمّة، تتمثّل في أنّ حقّ الولاية والإمامة والقيادة ـ في الحقيقة ـ هو حقّ رعاية حقوق الناس، لا حقّ استغلالهم من أجل ميول وليّ الأمر ومآربه.

روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

**«ما أُوتيكم من شيء وما أمنعكموه إن أنا إلّا خازنٌ أضَعُ حيث أُمِرت»**[٢].

«الخازن» حافظ لأموال الآخرين وحارس عليها. ونلحظ في هذا الحديث أنّ النبيّ ﷺ يرى نفسه خازناً يتولّى مهمّة رعاية الناس والمحافظة عليهم بتكليفٍ ربّانيّ، ويعرض ولايته في نطاق مهمّته الربّانيّة، لا في نطاق رغباته الخاصّة.

## القيادة والخدمة

من العناوين الأُخرى التي تعكس الرؤية الإسلاميّة ـ في مجال حقوق الناس في النظام الإسلاميّ ـ عنوان «الأجير». قال رسول الله ﷺ:

**«ألا وإنّي أنا أبوكم، ألا وإنّي أنا مولاكم، ألا وإنّي أنا أجيركم»**[٣].

يؤكّد النبيّ ﷺ في هذا الكلام أنّه أب رحيم، ووليّ أمرٍ مقتدر للمجتمع الإسلاميّ، وفي الوقت ذاته يُعرّف نفسه بأنّه أجير للمسلمين، والأجير هو من يَخْدِم

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ٣٠٤ / ٨٥٣.

(٢) سنن أبي داوود: ٣ / ١٣٦ / ٢٩٤٩، مسند ابن حنبل: ٣ / ١٩١ / ٨١٦١، كنزالعمّال: ١٦٧١١.

(٣) أمالي المفيد: ٣٥٣ / ٣.

الناس بأجرةٍ يأُخذها منهم لقاء خدمته.

إنّ تعريف نفسهﷺ أجيراً ودعاءه في بداية الحديث على من ينتهك حقوق رسالته وقيادته إشارتان إلى آيات قرآنيّة قد أكّدت حقوقهﷺ[١].

وملخّص الكلام: إنّ نبيّناﷺ وجميع الأنبياء عليهم السلام والقادة الربّانيّين خدمٌ لا ينتظرون أجراً مادّيّاً من الناس. والشيء الوحيد الذي يطلبونه منهم كأجرٍ لهم هو تطبيق منهاجهم الواهب الحياة، والوصول إلى الكمال المطلق. قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُم عَلَيه مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[٢].

القائد في النظام الإسلاميّ إذاً خادم لا تنطوي حقوقه على منفعة مادّيّة له. فهو لا يختدم قدرته وإمكانيّاته لأجل مصلحته الخاصّة، بل هو أقلّ من الآخرين في الاستمتاع بالملذّات المادّيّة، وإنّما يستعين بقدرته بوصفه أميناً وحارساً وأجيراً للناس فحسب.

إنّ حقوق القيادة في النظام الإسلاميّ تتحقّق في إطار تأمين حقوق الناس، والقائد في الحقيقة خادم بلا عِوَض ومِنّة، وأجير بلا مالٍ! قال سبحانه:

﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُم مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ﴾[٣].

وقد تكرّر مضمون هذه الآية الشريفة، حول الأنبياء الذين كانوا قادة مجتمعهم، في القرآن الكريم مراراً[٤].

في ضوء ذلك، كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه يعتقد اعتقاداً تامّاً

(١) الفرقان: ٥٧، سبأ: ٤٧، الشورى: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) الشعراء: ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠.

بحقوق الناس في النظام الإسلاميّ، ويسمّي نفسه خادماً. وقد أصحر بهذا الاعتقاد في وصيّته السياسيّة الإلهيّة بنحوٍ تامّ، إذ اعتذر إلى الشعب من القصور والتقصير بهذه الكلمات الرائعة العميقة:

**«أسأل المولى الرحمن الرحيم أن يقبل عذري عن تقصير أو قصور في الخدمة، وأرجو من الشعب أن يقبل عذري أيضاً من تقصير أو قصور. وعليه أن يمضي قُدُماً باقتدار وعزم وإرادة، وليعلم أنّ ذهاب خادم من خدّامه سوف لايُحدث خللاً في سدّه الحديديّ، إذ يخدمه أُناس أسمىٰ وأرفع».**

وهذا من أهمّ أسرار عشق الشعب الإيرانيّ المسلم الباسل المقاوم لإمامه العزيز.

## ولاية الفقيه المطلقة وحقوق الناس

قد يقال: إنّ الإقرار بأنّ القيادة في الإسلام أمانة وإنّ القائد أمين وخادم للناس ممّا لا ينسجم مع الاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة.

ذلك أنّ الناس على هذا الأساس هم أصحاب الحكومة الأصليّون، وأنّ المسؤولين ـ وعلى رأسهم القائد ـ يجب أن يُلبّوا مطالبهم، وأنّ الحكومة لا تتمتّع بأيّ صلاحيّة خارج نطاق رغبتهم.

من هنا، يتحدّد الوليّ الفقيه بصلاحيّات مَنَحها الناس أو ممثّلوهم إيّاه، ولا ولاية له أكثر من ذلك.

من الضروريّ الالتفات إلى النقطتين الآتيتين لتوضيح هذا الغموض:

### ١ ـ التفاوت بين أساس الحكومة الإسلاميّة وأساس الحكومات الديمقراطيّة

أساس الحكومة في النظام الإسلاميّ حاجة الناس، وفي الحكومات الديمقراطيّة رغبتهم، فحاجة الناس في الحكومة الإسلاميّة هي التي تحدّد صلاحيّات الحكومة والقيادة، لا رغبتهم.

على سبيل المثال، لو كان معظم الناس يرغبون في تعاطي المخدِّرات أو المشروبات الكحوليّة فإنّ تعاطيها سيصبح مباحاً في الحكومة الديمقراطيّة، لأنّ رغبة الناس هي الأساس فيها. أمّا في الحكومة الإسلاميّة فلا يُباح ذلك، حتّى لو رغب جميع الناس فيه، فرغبة الناس لا تجعل تعاطي الموادّ المذكورة قانونيّاً، وليس هذا فحسب، بل الحكومة مكلّفة بمكافحتها.

بكلام أدقّ: رغبة الناس محترمة في النظام الإسلاميّ ما دامت لا تتناقض مع حاجتهم[1]. وإذا حدث تضادّ وتزاحم فإنّ أمانة الحكومة والحقوق الحقيقيّة للناس تستدعيان تقديم حاجاتهم.

## ٢ـ معنى الولاية المطلقة للفقيه

الولاية المطلقة للفقيه ليست إلّا الولاية المطلقة للفقه والإسلام. بعبارة أُخرى: للوليّ الفقيه ـ في النظام الإسلاميّ ـ صلاحيّة مطلقة إذ يعمل بما يُمليه عليه القانون الإسلاميّ وحكم الله تعالى، لا بما تُمليه عليه رغبته أو مصالحه الخاصّة.

ولو خَالَ أحدُ أنّ الولاية المطلقة للفقيه تعني أنّ الإسلام أَذِن لوليّ المجتمع الإسلاميّ أن يعمل كما يشاء وينتهك حقوق الناس بهيئة ديكتاتور دينيّ فقد ارتكب خطأً فادحاً. وإذا نقل هذا الوهم الغالط إلى الآخرين فقد اقترف خيانةً عُظمى بحقّ الإسلام والثورة الإسلاميّة.

وصفوة القول: إنّ الولاية المطلقة للفقيه هي في إطار المبادئ القِيَميّة للإسلام، والحاجات الحقيقيّة للإنسان. من هنا فهي لا تتناقض مع حقوق الناس، بل إنّ أساسها هو أداء حقوقهم الحقيقيّة.

(١) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا فلسفهٔ وحى ونبوّت (فلسفة الوحي والنبوّة): الدرس الخامس.

# الخلاصة

◘ رضا الناس ودعمهم للحكومات هو مقاس نجاح الحكومات في تلبية حاجاتهم.

◘ لا تتلخّص حاجات الناس في الماديّات. فقد تؤثّر العوامل الروحيّة في كسب رضاهم أكثر من العوامل الماديّة.

◘ اعتراف الحكومة ـ خاصّةً القيادة ـ بحقوق الناس واجتنابها كلّ عمل يعبّر عن إلغاء دورهم في الحكم هو من شروط استرضائهم وكسب ثقتهم.

◘ التفكير الخطر الذي يرى أنّ المسؤوليّة أمام الله تستلزم عدم المسؤوليّة أمام الناس، وأنّ حقّ الحاكميّة القوميّة يساوي الإلحاد، هو من الدوافع الرئيسة للنزوع نحو الماديّة في القرون الأخيرة.

◘ يرى الإسلام أنّ حقوق القيادة رهينة بحقوق الناس، والناس مكلّفون بطاعة القائد ودعمه، إذا كانت حقوقهم محترمة.

◘ القيادة في الإسلام أمانة ورعاية وخدمة. والقائد أمين وأجير وخادم للناس.

◘ إنّ ما عُرِفَ بحقوق القيادة في الإسلام هو في الحقيقة حقوق الناس أيضاً، والقادة الربّانيّون الكبار هم خَدَمٌ بلا أجر ولا مِنّة.

◘ رغبة الناس محترمة في النظام الإسلاميّ ما دامت لا تتعارض مع حاجتهم، وإذا تعارضت فإنّ أمانة الحكومة وحقوق الناس تستدعيان تقديم حاجتهم.

◘ الولاية المطلقة للفقيه هي في إطار المبادئ القِيَميّة للإسلام والحاجات الحقيقيّة للإنسان . فهي إذاً لا تتعارض مع حقوق الناس، بل إنّ أداء حقوقهم هو الأساس لها.

# الفصل الثاني

# حقّ النقد

حقّ النقد هو حقّ لإقامة سائر الحقوق، وإحياؤه يمكن أن يقي من الاستبداد الذي هو أخطر آفات السلطة.

ومتى كان النقد حرّاً في المجتمع وقَدَر الناس أن يتحدّثوا بنقاط ضعف الإدارة الحاكمة وسلبيّاتها تهيّأ للمسؤولين أن يلحظوا نقاط ضعفهم بوضوح، وأن يكافحوا الفساد والظلم، ويقدّموا خدمات أكثر قيمةً.

ويصدق عكس ذلك أيضاً، فإنّ غياب حقّ النقد يمهّد الأرضيّة لنشوء المتملّقين والمتزلّفين، ويُخفي نقاط الضعف عند المسؤولين في برامجهم السياسيّة وإجراءاتهم، ويؤدّي إلى استشراء الفساد في الأجهزة الحكوميّة، ويقضي على العدالة الاجتماعيّة في آخر المطاف.

وتدلّ دراسة التوجيهات التي أبداها قادة الإسلام الكبار لاسيّما رسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام على أنّ حقّ النقد في الإسلام من حقوق الناس الرسميّة. فإنّه لا يكتفي المسلمون بممارسة حقّ تذكير حكّامهم بنقاط ضعفهم وعرض اقتراحاتهم

البنّاءة فحسب، بل إنّ إقامة هذا الحقّ واجب عليهم كتكليف إلهيّ.

ويرى القادة الربّانيّون الكبار أنّ التملّق مذموم، وأنّ النقد البنّاء هديّة كبيرة، ويعرّفون الناقد على أنّه أفضل صديقٍ وأحبّ أخٍ إليهم. قال الإمام الصادقعليه السلام:

**«أحبّ إخواني إليّ مَن أهدى إليّ عيوبي»**[1].

وهكذا يعلّم قادة ديننا الناس استثمار حقّ النقد لإصلاح السلوك الفرديّ، وإحياء الحقوق الاجتماعيّة.

## انتقدوني!

كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام قائداً كاملاً بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومعصوماً حسب الأدلّة القويّة القاطعة. ولا ريب في سداد آرائه وأفكاره وممارساته، بيدَ أنّه في الوقت نفسه لا يأذَن للناس أن ينقدوه فحسب، بل يريد منهم ـ بجدٍّ ـ أن يجتنبوا التملّق الذي يمثّل عادة عامّة عند مواجهة الجبابرة المستكبرين. وإذا شاهدوا منه رأياً أو عملاً خاطئاً بزعمهم فعليهم أن ينقدوه بلا وجل، ويكونوا واثقين من أنّه لا يمتعض من النقد، بل يمتعض من التملّق والإطراء في غير محلّه.

والأعجب من ذلك كلّه أنّ الإمامعليه السلام لا يسمح بنقده في الظروف الاعتياديّة والطبيعيّة للمجتمع الإسلاميّ فحسب بل يسمح به أيضاً في أحرج ظروف الحكومة وفي أشدّ الحروب التي وقعت أيّام خلافته، أي: في حرب صفّين.

ألقى الإمامعليه السلام خطبة حماسيّة تحدّث فيها عن الحقوق المتبادلة بين القائد والناس، ودور هذه الحقوق في بقاء الحكومات أو سقوطها، والتأكيد على ضرورة رعاية الناس حقوق القيادة. عندها اهتاج أحد أصحابهعليه السلام اهتياجاً شديداً، وطفق يُثني على الإمام ويمجّده وهو يعلن عن طاعته على أسلوب المدّاحين جميعهم.

---

(١) الكافي: ٢ / ٦٣٩ / ٥، الاختصاص: ٢٤٠، بحار الأنوار: ٧٤ / ٢٨٢ / ٤.

لم يتأثّر الإمام‌ﷺ بمدحه وإطرائه، أو لم يأخذ بعين الاعتبار حتّى الظروف الحسّاسة القائمة، فقال صلوات الله عليه:

**«... إنّ مِن أسخفِ حالات الولاةِ عند صالح الناس أن يظنّ بهم حُبُّ الفخر، ويُوضَعَ أمرُهم علَى الكِبْرِ، وقد كرهتُ أن يكون جَالَ في ظنّكم أنّي أُحبّ الإطراء واستماع الثناء، ولستُ بحمدالله كذلك، ولو كنتُ أُحِبُّ أن يقَالَ ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه....**

**... فلا تكلّموني بما تُكلَّمُ به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي بما يُتَحفّظُ به عند أهل البادِرَة، لا تُخالِطوني بالمصانَعَة، ولا تَظُنُّوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي، ولا التماس إعظامٍ لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يُعرَض عليه كان العمل بهما أثقلَ عليه».**

وخَلص إلى القول:

**«فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقّ أو مشورةٍ بعدل، فإنّي لستُ في نفسي بفوق أن أُخطئَ ولا آمَن ذلك من فعلي إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي...»**[١].

نصَّ الإمام‌ﷺ في هذه الخطبة على إمكان خطئه لولا كفاية الله تعالى وحفظه وعصمته. ومع أنّه كان محفوظاً بصيانه إلهيّة، بيدَ أنّه طلب من الناس أن لا تمنعهم شخصيّته السياسيّة والمعنويّة عن نقده، وأكّد أن لو رأوا عملاً غالطاً في حكومته فعليهم أن يذكّروه.

بكلمة بديلة: أدان الإمام‌ﷺ بشدّة في جوابه لذلك المادح العادة السيّئة المتمثّلة بالثناء على الأُمراء ورجال السياسة في المجتمع الإسلاميّ من جهة، ومن جهة أُخرى أراد أن يُربّي في نفوس الناس روح النقد والنظر العميق في أعمال المسؤولين عن

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

النظام الإسلاميّ، حتّى لو كان هؤلاء المسؤولون في أعلى المستويات ـ أي: معصومين ـ كما أراد أن يدرّب القادة على قبول النقد.

## ضروب النقد السياسيّ

بعد أن ذكرنا أنّ الإسلام يعترف بحقّ النقد يثار الآن السؤال الآتي: هل يسمح النظام الإسلاميّ بالنقد الذي يستتبع أهدافاً سياسيّة معيّنة بنحوٍ مطلق؟ أم يضع له شروطاً وضوابط خاصّة؟

الجواب المجمل عن هذا السؤال هو: أنّ النقد السياسيّ ـ بالنظر إلى بواعثه وأهدافه ومحتواه ـ ينقسم إلى قسمين:

١ ـ النقد السياسيّ البنّاء.

٢ ـ النقد السياسيّ الهدّام.

يرى الإسلام أنّ النقد السياسيّ البنّاء واجب على كلّ مسلم، وأنّ النقد السياسيّ الهدّام محظور عليه.

### ١ ـ النقد السياسيّ البنّاء

لا يهدف هذا النقد إلّا إلى الإصلاح والنصح والبناء ومكافحة الفساد والشذوذ، ولا يرمي الناقد فيه إلى فرض كلامه وتحكيم خطّه السياسيّ وإشباع غريزة حبّ الجاه في نفسه. ولم يتّخذ دعم الحقّ والعدالة والناس وسيلةً لبلوغ مآربه السياسيّة، بل هو يدعم الحقّ بصدقٍ. ولم يُجز القرآن الكريم والسنّة الشريفة هذا النقد تحت عنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فحسب، بل أوجباه كعمل ضروريّ لا محيد عنه من أجل استمرار حاكميّة الإسلام.

يرى القرآن الكريم أنّ لجميع المؤمنين حقّاً أن ينقدوا أيّاً كان، دون نظرٍ إلى موقعه السياسيّ والاجتماعيّ. قال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[١].

هذه الولاية هي القدرة القانونيّة للنقد البنّاء، التي وهبها الله سبحانه كافّة المؤمنين ليتمكّنوا من مكافحة المنكرات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها، ومن ثمّ يبنوا مجتمعاً ليس فيه إلّا المعروف والحُسن والجمال.

تنصّ الآية الكريمة المتقدّمة على أنّ أدنى إنسان في المجتمع الإسلاميّ يتمتّع بولايةٍ وقدرةٍ تمكّنه أن ينقد بصراحة أرفع شخص يشغل موقعاً سياسيّاً واجتماعيّاً مهمّاً، وأن يلفت نظره إلى نقاط ضعفه، ويأمره أن يؤدّي واجبه على نحوٍ صحيح.

يرى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ النقد البنّاء قوام الشريعة، أي: إنّ حاكميّة الإسلام في المجتمع رهينة بمثل هذا النقد. قال عليه السلام:

**«قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»[٢].**

في ضوء هذه الرؤية كان الإمام عليه السلام في أيّام خلافته يستاء من التملّق والمتملّقين، ويطلب من الناس بإلحاحٍ ألّا ينظروا إلى موقعه السياسيّ، ولا يَنُوا عن التذكير إذا رأوا ضعفاً أو خطأً في حكومته.

## ٢ ـ النقد السياسيّ الهدّام

لا يختلف هذا النقد في ظاهره عن النقد البنّاء، فالناقد هنا يتظاهر بالنصح وطلب الإصلاح. ويرفض كلّ منفعةٍ شخصيّة وفِئَويّة من وراء نقده. من جانب آخر، تبلغ الحوافز النفسيّة في الإنسان من الدقّة مبلغاً بحيث يُمنى الناقد بخداع الذات. قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

---

(١) التوبه: ٧١.

(٢) غرر الحكم: ٦٨١٧.

**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لا يَشْعُرُونَ﴾**[1].

ليس الهدف الأصليّ والنهائيّ في النقد السياسيّ الهدّام مكافحة الفساد والشذوذ، بل هو إشباع غريزة حبّ الذات والجاه. فالتظاهر بنصرة الله ودعم الحقّ، ومكافحة الفساد تمثّل في الحقيقة جسراً لبلوغ الأهداف السياسيّة. وأصحاب هذا النقد ـ كما قال الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام ـ جعلوا آخرتهم وسيلة لطلب الدنيا. قالعليه السلام:

**«ومنهم من يطلبُ الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلبُ الآخرة بعمل الدنيا»**[2].

أجل، النقد الهدّام خطر بالقدر الذي يكون فيه النقد البنّاء أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفيداً ومفرّجاً وضروريّاً للمجتمع الإسلاميّ.

ونظراً إلى أنّ هذين الضربين من النقد لا تفاوت بينهما في الوهلة الأُولى، وأنّ موضوع النقد السياسيّ من أهمّ القضايا المعاصرة، فلا بدّ من التوفّر على دراسة بعض الموضوعات من أجل التعرّف على النقد البنّاء، وكذلك التعرّف على آراء الإسلام في موقفه من النقد الهدّام:

١ ـ مواصفات النقد البنّاء.

٢ ـ آفات النقد البنّاء.

٣ ـ أُسلوب التعامل مع النقد الهدّام.

## مواصفات النقد البنّاء

تلخّصت مواصفات النقد البناء في حديثين نبويّين رائعين حول (علامات الناصح) و(شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

---

(١) البقرة: ١١ و١٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢.

قالﷺ في مواصفات مَن لا يهدف في نقده لغير البناء:

**«أمّا علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحقّ، ويُعطي الحقّ من نفسه، ويرضىٰ للنّاس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد»**(١).

وقالﷺ في شروط من يريد أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر:

**«لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلّا من كان فيه ثلاث خصال: رفيقٌ بما يأمر به رفيقٌ فيما ينهى عنه، عدلٌ فيما يأمر به عدلٌ فيما ينهى عنه، عالمٌ بما يأمر به عالمٌ بما ينهى عنه»**(٢).

يمكننا في ضوء هذين الحديثين النبويّين الشريفين أن نقول: للنقد البنّاء ثلاث مزايا هي:

### ١ ـ العلم

النقد البنّاء: هو النقد الذي يكون فيه الناقد قد درس موضوع نقده بنحوٍ تامّ، وأدرك فيه ظروف من ينقده بشكلٍ دقيق، وأخيراً عَلِم وأحاط إحاطةً كاملة بمعروف شيء يأمر به، ومنكر شيء ينقده: «عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه».

### ٢ ـ الإنصاف

المزيّة الثانية من مزايا النقد البنّاء هي: مراعاة الإنصاف في نقد آراء الآخرين وأعمالهم. نقرأ للإمام أميرالمؤمنينؑ حديثاً يرى فيه أنّ الإنصاف أرفع درجات العدل. قالؑ:

**«لا عدل كالإنصاف»**(٣).

---

(١) تحف العقول: ٢٠.

(٢) نوادر الراوندي: ٢١، الجعفريّات: ٨٨، بحار الأنوار: ١٠٠ / ٨٧ / ٦٤.

(٣) البحار: ٧٨ / ١٦٥ / ١.

ونلحظ أنّ النبيّ الكريمﷺ يؤكّد على هذه الصفة أكثر من غيرها في تبيان سمات النقد البنّاء، فقد تكرّر في كلامه المذكور التركيز على مراعاة الحقّ والعدل والإنصاف في النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستّ مرّات. والنقطة اللافتة للنظر هي أنّ إعطاء المرء الحقّ من نفسه علامة من علامات النصح للآخرين، وقد نصّ عليها الكلام النبويّ بصراحة. وإنّ تطبيق الإنسان الحقّ والعدل على نفسه وإنصافه منها يمثّلان أعلى درجات العدل والإنصاف. قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام:

**«غاية الإنصاف أن يُنصفَ المرءُ نَفسَه»**[1].

لا يتسنّى لأحدٍ أن ينقد آراء الآخرين وأعمالهم ويكون ناصحاً لهم إلّا إذا بلغ هذه الدرجة من الإنصاف، فلا ريب أنّ نقد مثل هذا الشخص ثمين وبنّاء.

بعبارة أُخرى: إنّ من يستطيع أن يرى عيب الآخرين وينقدهم هو من رأى عيوبه وجرأ على نقد نفسه أيضاً.

## ٣ـ الأُسلوب المَرْضِيّ

لأُسلوب النقد دورٌ مهمّ في سلامته وبنائه. فكون النقد حقّاً لا يكفي لجعله بنّاءً، بل إنّ عرض النقد بنحوٍ مناسب هو من شروطه الأصليّة والمصيريّة أيضاً. وفي التوصية بالرفق والمداراة في الأمر والنهي ـ المارّ ذكرها في الحديث النبويّ ـ إشارة إلى هذه الصفة المهمّة.

المعيار العامّ في أُسلوب النقد الصحيح هو أنّ الناقد ينقد الآخرين بالشكل الذي يحبّ أن ينقدوه بمثله أيضاً: «ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه».

---

(١) غرر الحكم: ٦٣٦٧.

## خصائص النقد الهدّام

تشير الأحاديث المأثورة إلى آفاتٍ لو مُنيَ بها النقد فإنّه يفقد صفة البِناء. من هنا يمكننا أن نعدّ هذه الآفات خصائص للنقد الهدّام أيضاً:

### ١ ـ جهل الناقد

الجهل من أخطر آفات النقد، فالجاهل لمّا كان لا يعلم دوافع ما يفعله الآخرون ولا يُدرك عقبات العمل ومشكلاته فإنّه يفتح فاه بالنقد حالما تعارض العمل مع ذوقه ورؤيته، دون الأخذ بعين الاعتبار ظروف العمل ومتطلّباته وعقباته. قال أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في هذا الصدد:

**«مَن جَهِلَ شيئاً عابه»**[١].

**«مَن قَصُرَ عن معرفة شيءٍ عابه»**[٢].

من هنا يُعدّ الجهل أصلاً لكثيرٍ من ضروب التعييب، كما قال الإمام عليه السلام:

**«الناس أعداءُ ما جَهِلُوا»**[٣].

وإذا بلغ الإنسان يوماً هذه الدرجة من المعرفة وصياغة النفس واستطاع أن ينقد ويوالي ويعادي على أساس العلم والوعي فلن تبقَ في المجتمع أرضيّة النقد الهدّام والعداء الناجم عنه.

وأشار القرآن الكريم إلى هذه النقطة المهمّة في جوابه من الطعون التي صوّبها الأعداء إلى الإسلام في عصر البعثة. قال تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[٤].

---

(١) كشف الغمّة: ٣ / ١٣٧، بحارالأنوار: ٧٨ / ٧٩ / ٦١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ١ / ٣٠١، بحارالأنوار: ٧٧ / ٤٢٠ / ٤٠.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٢ و ٤٣٨، خصائص الأئمّة: ١١٠، الاختصاص: ٢٤٥.

(٤) يونس: ٣٩.

## ٢ ـ الظلم

آفة أُخرى من آفات النقد الهدّام. وينبغي أن نقول ـ آسفين ـ: إنّه قلّما يسلم النقد والناقد من هذه الآفة. ويطغى اللسان والقلم عادةً في مدح الآخرين أو ذمّهم، ويتجاوز حدّ العدل والإنصاف. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«قلّما ينصفُ اللسان في نشر قبيحٍ أو إحسان»**[1].

إنّ ضروب الأمراض الأخلاقيّة ـ خاصّةً الأنانيّة والحسد ـ تدفع الإنسان إلى الإجحاف في النقد. من هنا يصدر أكثر أنواع النقد بناءً من أفضل الناس أخلاقاً.

إنّ الدور الهدّام للأمراض الأخلاقيّة في الانتقادات السياسيّة هو أعقد وأخطر. ولا يمكن للأنانيّ أن يُنصف في انتقاداته، فهو يتظاهر بأنّه ناصح للناس بألفِ دليلٍ ودليل، بيدَ أنّه لا يهدف في الحقيقة إلّا إلى الاستعلاء وفرض ذوقه وخطّه السياسيّ. والحسد أخطر من الأنانيّة. والحسود لا يفكّر حتّى بمصلحته، إذ لا يرضى إلّا بزوال نعمة الغير، من هنا قال الإمام الصادق عليه السلام:

**«النصيحةُ من الحاسد مُحال»**[2].

## ٣ ـ الأُسلوب المذموم

إنّ استخدام الأساليب الغالطة لا يجرّد النقد من الفائدة والبناء، ولا يفقد أثره في إزالة النقائص ونقاط الضعف من الفرد والمجتمع فحسب، بل يزيد الطين بلّة والنار حطباً، ويجعل النقد هدّاماً كلّ الهدم.

القصد من أُسلوب النقد هو الطريقة التي يختارها الناقد لطرح نقده، كنوع التعامل، واللفظ وأُسلوب التعبير، والظروف الزمانيّة والمكانيّة، والمخاطَب، وغير

---

(١) غرر الحكم: ٦٧٢٤.

(٢) الخصال: ٢٦٩ / ٥، بحار الأنوار: ٧٤ / ١٩٤ / ١٨، و: ٧٨ / ١٩٤ / ٩١، و: ١٠٣ / ٢٢٥ / ١١.

ذلك.

على سبيل المثال، يرى الإسلام أنّ الموقف العلنيّ والنقد أمام الآخرين ـ إلّا في حالات استثنائيّة ـ مذمومان، ويمثّلان أُسلوباً غير سليم. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

**«نَصحُكَ بينَ الملأِ تَقريعٌ»**[١].

وقال الإمام العسكريّ عليه السلام:

**«مَن وَعَظَ أخاهُ سرّاً فقد زانه، ومن وَعَظَهُ علانيةً فقد شانه»**[٢].

ومن الأساليب غير السليمة أيضاً: الموقف الحادّ العنيف، واستعمال الألفاظ القبيحة المشينة، واختيار الظروف غير المناسبة لطرح النقد.

لذلك، فالنقد الهدّام إمّا ينشأ عن جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقيّة تفرضه، أو أنّ أُسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده.

وكلّما كان جهل الناقد أكثر وحافزه أفسد وأُسلوب نقده أسقم ازداد هدم نقده وتضاعفت آثار شذوذه في المجتمع.

## أُسلوب التعامل مع النقد الهدّام

نظراً إلى مواصفات النقد الهدّام وآثاره فلا ريب أنّ هذا الضرب من النقد يُعدّ جُرماً وذنباً، وأنّ الناقد يُعتبر مجرماً ومذنباً، لذلك فأُسلوب التعامل مع هذا الذنب ـ كأُسلوب التعامل مع سائر الذنوب ـ يرتبط بمراعاة الآداب والظروف ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في ضوء ذلك، ليس النظام الإسلاميّ وحده مكلّفاً بالتخطيط للحؤول دون الانتقادات الهدّامة واتّخاذ الموقف منها، بل إنّ كلّ مسلم مكلّف أيضاً باتّخاذ الموقف

---

(١) غرر الحكم: ٩٩٦٦.

(٢) تحف العقول: ٤٨٩، بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٧٤ / ٣٣.

منها حسب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا وجد نفسه عاجزاً عن ذلك فعليه أن ينهج أُسلوب النضال السلبيّ، عملاً بتوصية القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ...﴾[1].

قال الإمام الصادقعليه السلام، في بيان هذه الآية الكريمة:

**«إنّما عنىٰ بهذا: إذا سَمِعتم الرجل الذي يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع في الأئمّة فقم من عنده ولا تقاعده، كائناً من كان»**[2].

بالرغم من أنّ المعيار الكلّيّ في الموقف المتّخذ من النقد الهدّام هو قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيدَ أنّ تطبيق هذا القانون بالنسبة إلى النقد السياسيّ ـ خاصّةً النقد الموجّه إلى الحكومة الإسلاميّة ـ ليس أمراً هيّناً. فالموقف من مثل هذا النقد يتطلّب دراسات شاملة، ويحتاج إلى ممارسة أُسلوب متّزن وتخطيط دقيق.

وبكلمة واحدة: فقدان الحَنَكة السياسيّة في مواجهة الانتقادات السياسيّة أمرٌ بالغ الخطورة.

## درس من السيرة النبويّة

اتّخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله موقفاً حكيماً في مواجهة متطرّفٍ معاصر كان قد قدح في عدالتهصلى الله عليه وآله، بل في حاكميّة العدالة في الإسلام. وفي ذلك الموقف درسٌ تربويّ ثمين لكلّ مسؤول من مسؤوليّ النظام الإسلاميّ، عند مواجهة الانتقادات في جميع العصور.

---

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٧٧ / ٨، تفسير العيّاشي: ١ / ٢٨٢ / ٢٩١.

كانﷺ مشغولاً فيتقسيم غنائم الحرب يوماً، وكانت سياسة تأليف القلوب تقتضي اهتماماً أكبر بالمسلمين الجُدد من أُولي النفوذ الذين كانوا يرون لأنفسهم شخصيّةً متميّزة عن الآخرين.

وعندما كان النبيّﷺ يعطي كلّ مسلم حصّته كان يلتفت إلى اليمين قليلاً، وكأنّه كان يكلّم أحداً، ثمّ يعطي الحصّة المذكورة، وكان الحاضرون يعتقدون أنّه يكلّم جبريل‌عليه‌السلام.

خالَ بعض المتظاهرين بالقداسة أنّ طريقة تقسيم الغنائم غير عادلة، لذا عزم أحدهم على أن ينتقد النبيّ بشدّةٍ أمام الصحابة. وهذا الشخص هو ذو الخويصرة من قبيلة بني تميم. كان طويل القامة، أسود الوجه، غائر العينين، مشرف الحاجبين، محلوق الرأس، على جبهته آثارالسجود. فتقدّم والنبيّﷺ مشغول بالتقسيم، ولم يسلّم عليه وسلّم على الحاضرين. ثمّ ذكره باسمه، وخاطبه خطاباً مُهيناً، فقال:

**«يا محمّد، والله ما تعدل!»**.

غَضِب رسول اللهﷺ من هذا النقد الجاهل والموقف الفظّ المهين. ولم يكن غضبه بسبب انتقاده الجافي لشخصه، بل لأنّ مثل هذا الانتقاد الصادر من هؤلاء «المتنسّكين» يمكن أن يقدح في النبوّة والإسلام، ويزعزع النظام الإسلاميّ.

أجل، بانت آثار الغضب على المحيّا الملكوتيّ لرسول اللهﷺ، وبينما كانت وجناته قد احمرّت من شدّة الغضب أجابه بهدوء:

**«ويحك! فمن يعدل اذا لم أعدل ؟!»**.

وامتعض الحاضرون أشدّ الامتعاض من هذا الموقف الفظّ، واستأذنوا نبيّهم في قتله.

فقال لهم نبيّ الرحمةﷺ: لا، لا أُريد أن يسمع المشركون أنّي قتلتُ أصحابي... فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن

لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة... ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء... ليس لهم أدنى صلة بالإسلام! لا تتعرّضوا لهم، سيقتلهم الله بعدي بأحبّ خلقه إليه[1]!.

وكان الأمر كما أخبرﷺ، إذ قُتِلَ ذوالخويصرة وأصحابه في حرب النهروان، على يد أميرالمؤمنين عليّبن أبي طالبعليه السلام.

نلحظ في هذه القصّة وفي موقف رسول اللهﷺ من ذلك الانتقاد الجاهل المتطرّف المتعصّب الذي وجّهه أحد «المتنسّكين» المتحجّرين نقاطاً تربويّة مهمّة تفيد الجميع، لا سيّما مسؤولي الجمهوريّة الإسلاميّة والشعب الإيرانيّ الوفيّ المقاوم. ويبدو أنّ الالتفات إليها ضروريّ:

### ١ ـ لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجّهة

لايسلم امرؤ ولا عمل ولا حكومة من انتقادات اللامزين. فكلّ إنسان وكلّ حكومة مهما حاولا أن تكون أعمالهما خليّةً من كلّ عيب ونقص، ومهما عملا بصورة صحيحة فلا يأمنان على أنفسهما من ظهور مَن يعيبهما وينتقدهما بلا حقّ.

نحن نعتقد أنّ التاريخ لم يشهد قائداً أكمل من النبيّﷺ، وحكومةً أعدل من حكومته، بيدَ أنّنا نلحظ كيف يوجّه إليه الانتقاد بلا مروءة، وفي قضيّة ترتبط بالعدالة التي هي أساس رسالة الأنبياء جميعهم! والأنكى من ذلك كلّه أنّ الله تعالى نفسه لم

---

(١) نقل محدّثو الشيعة والسنّة هذه القصّة بأشكال مختلفة، وما ذكرناه كان مركّباً من مضمون أكثرها. انظر صحيح البخاري: ٣ / ١١٤٨ / ٢٩٨١، صحيح مسلم: ٢ / ٧٤١ ـ ٧٤٤، مسند ابن حنبل: ٢ / ٦٨١ / ٧٠٥٩، و: ٤ / ١١٣ / ١١٥٣٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ١ / ١٤٨، دعائم الإسلام: ١ / ٣٨٩. كانت الأموال التي انتقد النبيّﷺ على تقسيمها تتعلّق بغنائم حرب حُنين، كما تفيده أكثر الروايات. ولكن نقلت بعض الروايات قصّة شبيهة بها ترتبطُ بالأموال التي كان الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام قد أتى بها من اليمن. ولعلّهما في الأصل قصّتان. أُنظر: صحيح مسلم: ٢ / ٧٤١ / ١٤٣، تاريخ المدينة المنوّرة: ٢ / ٥٤٠.

يسلم من الانتقاد أيضاً!

روى السيّد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه أنّ موسىٰ عليه السلام قال:

**«يا ربِّ، احبس عنّي ألسنة بني آدم، فإنّهم يذمّوني...»**.

فأوحى الله جلّ جلاله إليه:

**«ياموسى، هذا شيء ما فعلته مع نفسي، أفتريد أن أعمله معك؟!»**.

فقال:

**«قد رضيت أن تكون لي أُسوة بك!»**[1].

إنّ ما يمكن أن يتعلّمه مسؤولو النظام الإسلاميّ من هذا المأثور هو أنّ الانتقاد غير الموجّه وتعييب العدوّ العالم والصديق الجاهل والمتطرّف المتعصّب... أمر طبيعيّ لا مناص منه. إنّهم لا يستطيعون أن يعملوا عملاً يمدحهم عليه جميع الناس ولا يلومهم أحد، فهذا لم يُقَدَّرْ حتّى لله تعالى وأنبيائه عليهم السلام. فمن الجدير ألّا يصابوا بالفتور لانتقادٍ غير موجّه أو لومٍ في غير محلّه. وعليهم أن يستثمروا وقتهم في أعمالٍ أساسيّة تُرضي الله سبحانه بدل أن ينشغلوا بنزاعاتٍ لا تُجدي نفعاً. ومن البديهيّ أنّ اهتمامهم بالنقد البنّاء ـ كما مرّ بنا ـ واجب إلهيّ مفروغ منه.

### ٢ ـ التشكيك في مطالبة المتطرّفين السياسيّين بالعدالة

الموضوع الآخر الذي نتعلّمه من قصّة ذي الخويصرة هو التشكيك في مطالبة المتطرّفين السياسيّين بالعدالة في النظام الإسلاميّ، إذ تدلّ بوضوح على أنّه ليس كلّ من رفع شعار المطالبة بالعدالة وعليه سيماء الدين والصلاح هو من طُلّاب العدالة حقّاً، وربّما جعل الجهل أو السياسة المطالبة بالعدالة أداة لإضعاف النظام الربّاني، ولتنفيذ مآرب سياسيّة معيّنة.

---

(١) انظر كتاب فتح الأبواب: ٣٠٨ و ٣٠٩، بحار الأنوار: ٧١ / ٣٦١ / ٥، المحجّة البيضاء: ٤ / ٣٤.

تدلّ هذه القصّة بجلاء على أنّ الذين يتكلّمون بصوتٍ أعلى من القائد في النظام الإسلاميّ ويرفعون شعار المطالبة بالعدالة بنحوٍ أشدّ وأعنف من الإمام ويتحرّكون قبله لتحقيق الأهداف الثوريّة إنّما يخطون باتّجاه دحر الإسلام ودمار الحقّ والعدالة، عَلِموا أم جَهِلوا. وعلى الناس أن يعرفوهم جيّداً ولا ينخدعوا بشعاراتهم المتطرّفة البرّاقة.

### ٣ـ مبدأ مراعاة المصالح السياسيّة

النقطة الأُخرى الملحوظة في قصّة ذي الخويصرة هي اهتمام الإسلام بمصلحة النظام. ويبدو أنّ عملين قد تحقّقا في هذه القضيّة على أساس المصالح السياسيّة، وهما:

أ ـ الشخصيّات المتنفّذة الحديثة عهدٍ بالإسلام قبضت أكثر ممّا قبضه المسلمون الآخرون، وتمتّعت بتسهيلات بيت المال وإمكانيّاته أكثر منهم، وذلك مراعاةً للمصلحة السياسيّة المتمثّلة بتأليف القلوب.

لأنّ أحد مصارف الزكاة ـ حسب النصّ القرآنيّ الكريم ـ يصرف لتأليف قلوب الذين يمكن أن يفيدوا النظام الإسلاميّ بنحوٍ من الأنحاء وإن كانوا أثرياء. وهذا هو ما ظنّه ذلك الجاهل «المتنسّك» مخالفاً للعدالة.

ب ـ إنّ من يستحقّ القتل بسبب إهانته للنبيّ وتحقّق خطره على مستقبل العالم الإسلاميّ لا يأذن النبيّ ﷺ بقتله.

جاء في بعض الروايات أنّ سبب منعه هو أنّه لم يُرِد أن يُشاع في الناس أنّه يقتل أصحابه، ولا جَرم أنّ هذه القضيّة تُعدّ مصلحةً سياسيّةً. وترشدنا هذه الحادثة إلى أنّ مراعاة المصالح السياسيّة ـ إذا تطلّبت مصلحة النظام الإسلاميّ ـ مبدأ مقبول في الإسلام.

## ٤ ـ مصير النقد السياسيّ الهدّام

النقطة التربويّة الثمينة الأُخرى في هذه القضيّة هي التنبّؤ بمصير الذين يجيزون لأنفسهم بانتقاداتهم غير الموجّهة وغير السديدة أن يطعنوا في النظام الربّانيّ والقيادة الإسلاميّة، ويكونوا سبباً في إضعاف الإسلام وفي تقوية أعدائه.

كان رسول الله ﷺ يتنبّأ أنّ هؤلاء الأشخاص لا يكتفون بالانتقاد واللمز والمشادّة الكلاميّة مع النظام الربّانيّ وقيادته، بل إنّ هذا الذنب الكبير يدفعهم إلى الاصطدام بالحكومة الإسلاميّة وقيادتها تدريجاً. وهذا هو ما حصل في آخر المطاف كما قال رسول الله ﷺ، إذ أنّ النقد الموجّه إلى النبيّ أفضى إلى مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام!

ويبدو أنّ هذا المصير لم يقتصر على عصر صدر الإسلام وانتقاد الرسول الأكرم ﷺ، بل هي سُنّة إلهيّة أن تؤدّي الانتقادات المتطرّفة غير الموجّهة ـ التي تصوّب نحو القادة الربّانيّين والأنظمة المبتنية على أحكام الإسلام وقوانين القرآن النورانيّة ـ إلى الاصطدام العمليّ بالحكومة الإسلاميّة. وإذا لم يَتُبْ أمثال هؤلاء الناقدين فلا مصير لهم إلّا الهلاك الأبديّ، وهذه حقيقة أثبتتها تجربة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

### الإمام علي عليه السلام والنقد الهدّام

إنّ دراسةً لسيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في موقفه من الانتقادات التي وجّهها إليه معارضوه في أيّام خلافته ضروريّة من أجل التعرّف على الأُسلوب الصحيح المتّخذ من الانتقادات السياسيّة، لا سيّما بالنسبة إلى مسؤولي النظام الإسلاميّ.

ونظراً إلى الظروف الخاصّة لحكومة الإمام وظهور التيّارات السياسيّة وغير السياسيّة المعارضة في المجتمع الإسلاميّ فإنّ في أيدينا وثائق تاريخيّة كثيرة تدور حول مواقف الإمام عليه السلام من الانتقادات، ويمكن أن تكون نموذجاً للموقف المتّخذ من المعارضين السياسيّين في النظم الإسلاميّة.

كان الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتّلات سياسيّة رئيسة معارضة للإمامعليه السلام خلال الفترة القصيرة لحكومته. وكانوا يعترضون على الإمام ونهجه الحكوميّ، ويُبدون تذمّرهم واستياءهم بأشكالٍ مختلفة.

وتدلّ سيرة الإمامعليه السلام في موقفه من اعتراضات تلك التيّارات السياسيّة الثلاثة على أنّه إذا طلب من الناس رسميّاً أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فليس مراده كلّ انتقاد. وليس مراده أن يتحرّك طلّاب السلطة والحاقدون والمتآمرون فيقولوا ويكتبوا ما شاؤوا بذريعة حرّيّة الرأي من أجل نيل أهدافهم السياسيّة، ومن ثمّ يُضعفوا النظام الإسلاميّ ويقدحوا في قيادته.

بعامّة، كان موقف الإمامعليه السلام من الناكثين والقاسطين والمارقين مناسباً للأُسلوب الذي كانوا يختارونه فيإظهار الانتقاد. على سبيل المثال، نُلقي فيما يأتي نظرة خاطفة على انتقاد المارقين وموقف الإمام منهم.

## انتقاد المارقين

المارقون والخوارج والشُّراة[1] أسماء لجماعة كانت من المعارضين المتشدّدين في معارضتهم للإمام أميرالمؤمنينعليه السلام، بدأوا تحرّكهم ضدّه بانتقادهم قضيّة التحكيم في حرب صفّين. ثمّ تبلوروا كحزبٍ سياسيّ وفرقةٍ دينيّة بأُصول عقائدهم الخاصّة.

وقصّة التحكيم ـ بنحو مجملٍ ـ كالآتي: كان جيش الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام في حرب صفّين على وشك الانتصار. ولمّا رأى معاوية نفسه على مشارف الهزيمة

(١) المارقون اسم وضعه النبيّصلى الله عليه وآله لهؤلاء قبل ظهورهم ـ حسب ما كان يتنبّأ به عنهم ـ بسبب مروقهم (خروجهم) من الدين. وسمّوا الخوارج لتمرّدهم وخروجهم على الإمام. والشراة بمعنى البائعين، اسم اختاروه لأنفسهم زاعمين أنّهم يبيعون أنفسهم لتحصيل الجزاء الأُخروي. وكانوا يرون أنفسهم مصداق الآية ٢٠٧ من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ﴾، والآية ١١١ من سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللهَ اشترىٰ من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنَّ لَهُمُ الجنَّةَ﴾، انظر: موسوعة الفِرق الإسلاميّة تحت العناوين المذكورة.

استشار عمرو بن العاص، فأشار عليه برفع المصاحف ومناداة الناس أنّنا أهل قبلةٍ وكتاب، لنحكّم أحداً لرفع الخلاف بيننا.

بيدَ أنّ الإمامعليه السلام أمر بمواصلة القتال، ونبّه الجيش على أنّ هذه خدعة لا أكثر، وأنّ معاوية وأصحابه أعداء القرآن، وإنّما لجأوا إليه لإنقاذ أنفسهم من الهزيمة المحتومة.

وكان في جيش الإمام عدد ملحوظ من الجهّال «المتنسّكين»، فأشار بعضهم إلى بعض متغامزين: ماذا يقول عليّ؟! هل نقاتل القرآن؟! قتال القرآن مُنكَر علينا مكافحته... وهكذا تمرّدوا على الإمام بهذه الذريعة، وحالوا دون تنفيذ أوامره.

وكان مالك الأشتر رضوان الله عليه يقاتل قتالاً شديداً قريباً من مقرّ معاوية، ومعه القوّات التي كانت تحت إمرته، ولم يبق أمامه إلّا أن يسيطر على المقرّ وتنتهي الحرب بانتصار الإمامعليه السلام.

وضغط الخوارج على الإمام، وهدّدوه بالهجوم من خلفه إذا واصل القتال. فكان إصرار الإمام على مواصلة القتال بلا جدوى!

وأخيراً أرسل إلى مالك أن يوقف الحرب، ويترك ساحة القتال. فأجاب مالك أن لو أذن الإمام بمواصلة القتال لحظاتٍ أُخرى لانتهت الحرب بانتصار الإسلام وإبادة العدوّ.

وهدّد المارقون الإمامعليه السلام بالقتل، فأرسل إلى مالكٍ مرّةً أُخرى أن إذا أردتَ أن أبقى حيّاً فارجع!

توقّفت الحرب، لكي يحكّموا القرآن بينهم. وينبغي تعيين شخصين ممثّلين عن الجيشين لإنهاء الحرب على أساس حكم القرآن.

قال الإمامعليه السلام: ليختر أهل الشام من ينوب عنهم، فاختار معاوية عمرو بن العاص السياسيّ المحترف المعروف، فاقترح الإمامعليه السلام عبدالله بن عبّاس أو مالك

الأشتر أو من كان بمستوى ابن العاص في الذكاء والتدبير والسياسة. لكنّ الجهلة الحمق اختاروا أبا موسى الأشعري الذي لم يُعرف بالتدبير، ولم يكن على علاقة طيّبة بالإمام، وأصرّوا على تمثيله لهم، وأجبروا الإمام على إيفاد أبي موسى.

وأخيراً خَدَعَ عمرو بن العاص أبا موسى بعد مضيّ شهور، وأقنعه بوجوب خلع الاثنين بذريعة رعاية مصالح المسلمين، ودفع ذلك الأحمق إلى صعود المنبر، فخلع أبو موسى الإمام. ثمّ استوى عمرو بن العاص على المنبر وقال: سمعتم ما قاله أبو موسى إذ خلع عليّاً من الخلافة، وأنا أخلعه أيضاً وأُقلّد معاوية أمرها!!

اضطرب أمر الناس، وحملوا على أبي موسىٰ، فلاذ بالفرار. وجاء الخوارج الذين سبّبوا هذه الفضيحة إلى الإمام، وقالوا له: لقد أخطأنا إذ لجأنا إلى التحكيم، فكفرتَ وكفرنا، ونحن تبنا فتب[1]!

لم يستجب الإمامعليه السلام لطلبهم ووقف أمامهم بكلّ صلابة، فبدأ انتقادهم الشديد له. وكانوا يستغلّون كلّ فرصة للانتقاد، بخاصّة في الأوساط العامّة، وبحضور الإمام نفسه، وكانوا يرفعون شعارهم ضدّه عَلَناً:

«لا حُكمَ إلاّ لله».

إذاً، بدأ انتقاد المارقين للإمامعليه السلام بإثارتهم السؤال الآتي: لماذا لم يعترف الإمام بخطئه ولم يتب من كفره في قضيّة التحكيم؟ فأصبح هذا الاعتراض سبباً في معارضتهم السياسيّة، ثمّ أفضى إلى اصطدامهم المسلّح في النهروان.

## الإمامعليه السلام والناقدون الجهلة المتعصّبون

المسألة المهمّة في هذه القضيّة هي كيف تعامل الإمامعليه السلام مع هؤلاء الناقدين الجهلة المتعصّبين؟

(١) انظر جاذبه ودافعه عليّعليه السلام (فارسيّ): ١١٨ ـ ١٢٠.

استرشاداً بسيرة الإمام عليه السلام في موقفه من المارقين نرى من الضروريّ الالتفات إلى النقطتين الآتيتين كمقدّمة:

١ ـ لا شكّ أنّ انتقاد المارقين للإمام وإصرارهم على انتزاع الاعتراف منه بخطإٍ هُم ارتكبوه ذنب كبير بيّن.

٢ ـ المتظاهرون بالقداسة والتنسّك، والشعارات الخدّاعة، وأنصار المارقين الكثيرون، وأخيراً الجوّ السياسيّ المعاكس للمجتمع في عصر حكومة الإمام عليه السلام، كلّها حواجز مهمّة جعلت الحؤول دون انتقاداتهم الهدّامة عسيراً.

مع هذا كلّه، لم يدع الإمام عليه السلام فرصة في مجال الحملات الإعلاميّة المركّزة ضدّهم ما داموا مسالمين لم يشهروا السلاح، ولكنّهم عندما شهروا سلاحهم بوجه الإمام وأعلنوا الحرب أبادهم جميعاً، إلّا شرذمة قليلين منهم.

وصف الإمام عليه السلام هؤلاء المنتقدين السياسيّين في حملة إعلاميّة بأنّهم شرّ الناس. قال عليه السلام مخاطباً إيّاهم:

**«ثمّ أنتم شِرارُ الناس ومَن رَمَىٰ به الشيطانُ مَرَامِيهُ وضَرَبَ به تِيهَهُ»**[1].

وخطب عليه السلام ذات يومٍ بالكوفة ـ وهو يتحدّث إلى الناس عن موضوع التحكيم المؤسف ـ فقام أحد الحاضرين، وقال:

**يا أميرالمؤمنين، نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد؟**

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأُخرى [أسفاً]، ثمّ قال:

**«هذا جزاء من ترك العُقدة»**[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده للمرحوم السيّد عبدالزهراء الحسيني: ١ / ٣٦٧ ـ ٣٦٩.

يريد الإمامعليه السلام جيشه الذي عصى أمره وانخدع بمكيدة معاوية.

ظنّ الأشعث بن قيس[١] ـ الذي كان من المناوئين السياسيّين للإمام ـ أنّ الإمام يقصده، فاستغلّ الفرصة وقام معترضاً فقال له:

**«هذا عليكَ لا لكَ!»**

أراد بكلامه هذا أن ينبّه الحاضرين على وجوب لوم الإمامعليه السلام، إذ رضي بالتحكيم، لا لوم الذين أجبروه عليه!

خفض الإمامعليه السلام إليه بصره وقال:

**«ما يُدريك ما عَلَيَّ مِمّا لي! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين حائكٌ ابنُ حائكٍ[٢]، منافقٌ ابنُ كافرٍ! واللهِ لقد أسَرَك الكُفرُ مرّةً والإسلام أُخرىٰ، فما فَدَاكَ من واحدةٍ منهما مالُك ولا حسبُك وإنَّ امرءً دلَّ على قومه السيفَ وساقَ إليهمُ الحَتْفَ لَحَرِيٌّ أن يَمقُتَهُ الأقرَب ولا يأمَنَهُ الأبعد»[٣].**

---

(١) كان من المعارضين والمنافقين في حكومة الإمامعليه السلام. وهو الذي فرض عليه التحيكم في حرب صفّين مع الخوارج. وكان له دور في قتل الإمامعليه السلام، وبنته سمّت الإمام الحسنعليه السلام، وابنه قيس اشترك في قتل الإمام الحسينعليه السلام.

(٢) فسّرت بالمنحرف ابن المنحرف، والمتكبّر ابن المتكبّر، والكذّاب ابن الكذّاب، انظر شرح ابن أبي الحديد، مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيّد الحسيني وغيرها.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩.

# الخلاصة

◘ حقّ النقد هو حقّ لإقامة سائر الحقوق، ويمكن أن يحولَ إحياءَ هذا الحقّ دون الاستبداد الذي يُعدّ من أخطر آفات الحكومات.

◘ حقّ النقد في الإسلام من الحقوق الثابتة والرسميّة للناس. وعلى كافّة الناس إقامة هذا الحقّ باعتباره تكليفاً إلهيّاً.

◘ النقد السياسيّ البنّاء واجب في الإسلام، والنقد السياسيّ الهدّام محظور فيه.

◘ كان الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام يستاء من التملّق والمتملّقين في أيّام خلافته، ويطلب من الناس أن لا ينظروا إلى موقعه السياسيّ، وأن يذكّروه إذا رأوا ضعفاً أو خطأً في حكومته.

◘ للنقد البنّاء ثلاث خصال: العلم، والإنصاف، والأُسلوب المحمود.

◘ للنقد الهدّام ثلاث خصائص: جهل الناقد، والظلم، والأُسلوب المذموم.

◘ ينطلق النقد الهدّام إمّا من جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقيّة تفرضه، أو أنّ أُسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده.

◘ من الضروري مراعاة الآداب والظروف ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الموقف من النقد الهدّام، كما في الموقف من سائر الذنوب والآثام.

◘ المسلمون كافّة مكلّفون، على أساس الواجب الإلهيّ المتمثّل بالنهي عن المنكر، أن يحولوا دون النقد الهدّام، وإذا لم يجدوا في أنفسهم قدرة على ذلك فعليهم اختيار أُسلوب النضال السلبيّ.

◘ فقدان الحنكة السياسيّة في اتّخاذ الموقف من الانتقادات السياسيّة أمر شديد

الخطورة. وينبغي أن يكون الموقف من مثل هذه الانتقادات على أساس دراسات شاملة وتخطيط دقيق.

◘ انتقد أحد المتطرّفين الدينيّين المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله طريقة النبيّ في تقسيم الغنائم على مرأى ومسمع من الناس. ولم يصطدم به النبيّ لمصلحة سياسيّة، واكتفى بالإخبار عن مستقبله الخطر، وتمرّد هذا الشخص وأصحابه وخرجوا على خلافة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ هلكوا في حربهم معه.

◘ نلحظ في هذه القضيّة عدداً من النقاط التربويّة المفيدة الآتية:

أ ـ لا تسلم حكومة من النقد غير الموجّه.

ب ـ مطالبة المتطرّفين السياسيّين بالعدالة جديرة بالتأمّل والتشكيك.

ج ـ مراعاة المصالح السياسيّة مبدأ من المبادئ الإسلاميّة.

د ـ مصير النقد السياسيّ في الحكومة الإسلاميّة الاصطدام بالحكومة، ثمّ الهلاك الأبديّ.

◘ الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتّلات سياسيّة رئيسة عارضت الإمام عليّاً عليه السلام في الفترة السياسيّة القصيرة التي حكم خلالها. واعترضت على أُسلوبه في الحكم، وأبدت سخطها واستياءها بأشكالٍ شتّى.

◘ تدلّ سيرة الإمام عليه السلام في موقفه من اعتراضات هذه التيّارات السياسيّة الثلاثة على أنّه إذا طلب من الناس أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فإنّما يريد النقد البنّاء، لا النقد المنطلق من بواعث فاسدة وهدّامة.

◘ الأُسلوب الذي اتّخذه الإمام في موقفه من اعتراضات التيّارات المذكورة يناسب الأُسلوب الذي كانت قد اختارته في التعبير عن النقد.

◘ بدأ انتقاد المارقين للإمام عليه السلام بإثارتهم السؤال عليه أنّه: لماذا لا يعترف بخطئه في التحكيم ويتوب من كفره؟ وأفضى هذا الاعتراض إلى المعارضة السياسيّة والاصطدام المسلّح تدريجاً.

# القسم السابع

# أئمّة الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله

# الفصل الأوّل

# أوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله

غاية الرسالة النبويّة والثورة العظيمة التي تحـقّقت في العـالم لأوّل مـرّة بـقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله تأسيس حكومة ترتكز على الوحي وتهدف إلى تكامل الإنسان. وقد قطعت تلك الثورة الكبيرة في أوّل مراحلها وفي حياة قائدها العظيم صلى الله عليه وآله أشواطاً بعيدة في سبيل ذلك، مع جميع ما رافقها من مصاعب. وكان حقيقاً بها ـ من أجل بلوغ ذلك الهدف ـ أن تستمرّ وتتّصل بـالفترة التي أعـقبت وفـاة الرسـول الأعـظم لتـتحقّق شموليّتها، ولتحمل مشعل الهدى إلى جميع الناس حتّى يوم القيامة. وأهمّ باعث على ذلك الاتّصال هو موضوع القيادة، إذ ارتبط به مصير القضايا الثقافيّة والاجـتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة كلّها.

وإنّ أدنى خطأ وأقلّ انحراف في هذا المجال يستتبعان خسائر لا تُعوَّض للإسلام والثورة الإسلاميّة وأهدافها السامية.

كانت وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله غير مفاجئة، ذلك أنّه كان يخبِر بها من قبل، وأصحر بها في حجّة الوداع[1]. من هنا لو فرضنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كـان قـائداً عـاديّاً وتـغاضينا عـن

---

(١) قال صلى الله عليه وآله «... كأنّي دُعيتُ فأجبتُ...» انظر خصائص أميرالمؤمنين للنسائيّ: ١٥٠ / ٧٩ تحقيق الشيخ محمّد

ارتباطه الثابت بالوحي فلابدّ أن يخطّط للقيادة ويضع لها برامجها، حرصاً منه على مستقبل الثورة وتعاهداً منه لأهداف دعوته الرفيعة.

## فرضيات

أمام قائد الثورة ـ من الوجهة العقليّة ـ ثلاث طرق من أجل استمرار الثورة والحكومة بعده، وتتحدّد باختيار أيٍّ سياستهُ حيال مستقبل الثورة وقيادتها:

الطريق الأوّل: أن يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبيّاً، أي إنّه لا يشعر بالمسؤوليّة تجاه مستقبل الثورة وقيادتها، ويرى أنّ مسؤوليّته تنحصر بفترة حياته فحسب، وهكذا لا ينظر إلى المستقبل كأمرٍ يخصّه. وكأنّ لسان حاله يقول: فليكن من بعدي ما يكون!

الطريق الثاني: أن يترك الأمر شورىٰ، فيوجّه الناس ويعلّمهم كيف يختارون القائد ويديرون شؤونهم عن طريق الشورىٰ بشكل رسميّ.

الطريق الثالث: أن يعيّن القائد الذي يقود الأُمّة بعده. وعلى هذا الأساس لا يعيّن القائد بعده فحسب، بل عليه أن يبيّن واجب أتباعه أبد الدهر.

يمكن أن نستنتج من خلال هذه المقدّمة أنّه لا يمكن تصوّر طريق آخر غير هذه الطرق الثلاث. وعلينا أن نعرف الطريق الذي اختاره رسول الله ﷺ من بين هذه الطرق لاختيار القيادة بعده.

### ١ ـ الطريق السلبيّ:

من المُحال على النبيّ ﷺ أن يختار هذا الطريق، لأنّه إمّا يدلّ على أنّه كان لا يشعر بالخطر على دعوته، أو أنّ مستقبل الدعوة ليس مهمّاً عنده. وكلّ من عرف النبيّ ﷺ

---

⇔ باقر المحموديّ. وجاء في بعض الروايات: «يَا أَيُّهَا النّاس، إنّه لم يُبْعَثْ نبيٌّ قطّ إلّا عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإنّي أُوشكُ أن أُدْعَىٰ فَأُجيب...». المستدرك على الصحيحين: ٦١٣ / ٦٢٧٢.

أدنى معرفة لا يمكن أن يقبل أيّاً من هذين الاحتمالين.

### أ ـ أخطار هذا الطريق

إنّ كلّ من كانت له معرفة بألف باء السياسة والقيادة يدرك جيّداً أنّ ترك ثورةٍ فتيّة بلا تخطيط صحيح يولّد خطراً على قيادتها المستقبليّة، بل يعدّ خطوةً لمحقها، خاصّةً إذا كانت ثورة قد أوجدت حركة ثقافيّة عظيمة في العالم، وهدّدت المصالح غير الشرعيّة للقوى المحلّيّة والأجنبيّة، في مجتمع لم يبتعد كثيراً عن جاهليّته الأُولى، ولم تَيْبس فيه جذور الجهل والتعصّب بعد. من هنا كيف نصدّق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ـ لعدم شعوره بالخطر على مستقبل الإسلام ـ لم يُبد رأياً في أهمّ المسائل بعده، وهي مسألة الحكومة الإسلاميّة ـ أي مسألة القيادة ـ ويمرّ على هذه المسألة المهمّة التي يرتبط بها مصير جميع الأحكام ومستقبل دعوته غير مبالٍ ولا مكترث بها؟!

من جانب آخر، لو لم يتّضح ـ في حياة قائد الثورة الإسلاميّة ـ تكليف الأُمّة في مجال مستقبل القيادة وكيفيّة إدارة الحكم فلا ريب أنّ مستقبل الثورة سيتعرّض للخطر من عدّة جهات، في الأقل:

### اتّخاذ القرار المتعجّل

هَبْ أنّ أُسلوب اختيار قائدٍ للثورة الإسلاميّة في إيران ـ بعد مؤسّس الجمهوريّة ـ ظلّ غامضاً، وأنّ قانوناً لم يصدر في حياة الإمام يحدّد موقف الشعب من مستقبل القيادة، ولم يدعمه قائد الثورة رحمه الله، وأنّ الشعب أراد بنفسه، ـ في ظلّ الفراغ القياديّ والظروف المؤلمة لرحيل الإمام ـ أن يتّخذ القرار القاضي باختيار القائد الذي يتولّى حمل أمانة الإمامة الثقيلة، فماذا يحدث؟ وماذا تجرّ الخلافات بين الأحزاب والتجمّعات على الشعب والثورة الإسلاميّة من ويلات؟ وكم يكون اتّخاذ القرار المتعجّل خطراً على الثورة!

ولو رجعنا إلى عصر صدر الإسلام لوجدنا أُمّةً كانت في طريقها إلى التبلور،

وإذا هي تُفاجأ ـ على أساس فرضيّة الطريق السلبيّ ـ بخلوّ الساحة من وجود قائد لها بلا خطّة وبرنامج سابق، فتضطرّ ـ وهي لا تحمل صورة عن كيفيّة الحكم بعد النبيّ ـ إلى اتّخاذ قرار عاجل حول أهمّ قضايا الثورة وأكثرها حسّاسيّة، مواجهةً منها للخطر الذي يهدّد أساس الإسلام.

فلا يخفى على أحدٍ خطر مثل هذا القرار على أهداف الرسالة في تلك اللحظات المتوتّرة المتأزّمة، فكيف يخفى على أعظم أنبياء الله؟

**افتقار ورثة الثورة الإسلاميّة إلى النضج الإسلاميّ**

بعد مضيّ أربعة عشر قرناً على أوّل ثورة إسلاميّة في العالم أثبتت تجربة الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة أنّ من ورثوا الثورة عاجزون، ليسوا قادرين ـ بدون دعم وتوجيه من قائد الثورة الكبير ـ على أن يتّخذوا قراراً مناسباً بشأن مستقبل القيادة.

ذلكم القرار الذي يتوثّق فيه ويترسّخ الانسجام بين القيادة السياسيّة وأهداف الثورة.

وكلّ من اطّلع على تاريخ هذه الثورة وتوجيهات قائدها الراحل وضروب دعمه في مراحلها الحسّاسة عرف أنّ هذا الكلام ليس زعماً محضاً، علماً أنّ ورثة الثورة هذا اليوم أفضل من ورثة الثورة في عهد رسول الله ﷺ، وأوعى منهم كما قال الإمام الخميني رضوان الله عليه:

**«أستطيع أن أقول بكلّ جرأة: إنّ شعب إيران وجماهيرها المليونيّة هذا اليوم أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ﷺ وشعب الكوفة والعراق في عصر أميرالمؤمنين والحسن بن عليّ صلوات الله عليهما...»**[1].

لا ريب أنّ هذا الكلام مطابق للواقع، ذلك أنّ رسول الله ﷺ كشف عن هذه

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه.

الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً، عبر الأحاديث التي اتّفق عليها الفريقان، ولهذا السبب سمَّى المسلمين المعاصرين له أصحاباً، والمسلمين الملتزمين في آخر الزمان إخواناً[١]، ونصَّ على أنّ أجر المسلم الثابت المستقيم يومئذٍ يعادل أجر خمسين من المسلمين المعاصرين له! وقال في جواب من استوضحه في هذا الصدد: لم تصبروا صبرهم[٢].

عندما لا يستطيع ورثة الثورة الإسلاميّة هذا اليوم ـ مع ما هم عليه من النضج والوعي الإسلاميّ ـ أن يتّخذوا القرار اللازم بشأن مستقبل القيادة بدون توجيه القائد الكبير للثورة فماذا ننتظر من ورثة الثورة الإسلاميّة قبل أربعة عشر قرناً، ومن أُناس لم يبتعدوا عن الجاهليّة القديمة كثيراً، ولم تتطهّر نفوسهم من رواسب الشرك، وقد قسمتهم عصبيّاتهم الجاهليّة إلى مهاجرين وأنصار، وقريشيّين وغير قريشيّين، ومكّيّين ومدنيّين؟

وكيف ننتظر منهم أن يتّخذوا القرار الصائب بشأن مستقبل القيادة بلا توجيهٍ من الرسول الأكرم ﷺ؟ وأيّ قرار؟ إنّه القرار الذي يضمن أهداف الثورة. ألا يعني تركهم وشأنهم خطراً على الثورة؟ ألم يشعر النبيّ ﷺ بالخطر على مستقبل المسلمين إذا تركهم بلا منهاجٍ واضح، وهو الذي كان يعرف ـ منذ قرون ـ مستوى النضج والوعي الإسلاميّ لأتباعه في المستقبل، ويسمّيهم إخوانه، ويرى أنّ تضحيات أصحابه قليلة إذا قيست بنضجهم؟

---

(١) قال ﷺ «إنّكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان، آمنوا ولم يَرَوني...». بصائر الدرجات: ٨٤ / ٤، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٤. وقال ﷺ «متى ألقى إخواني؟ قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوني، إنّا إليهم بالأشواق». كنزالعمّال: ٣٤٥٨٣.

(٢) قال ﷺ «سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم! قالوا: يا رسول الله، نحن كنّا معك ببدر وأُحد وحُنين، ونزل فينا القرآن! فقال: إنّكم لو تحملون لما حُمّلوا لم تصبروا صبرهم». الغيبة للطوسي: ٤٥٦/ ٤٦٧، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٣٠ / ٢٦. وانظر أيضاً المعجم الكبير: ١٧ / ١١٧ / ٢٨٩، و: ١٠ / ١٨٢ / ١٠٣٩٤، وكنزالعمّال: ٣٠٩٧٦، ٣٠٩٧٧.

### الأقليّة المتغلغلة

إنّ أحد الأخطار التي كانت تهدّد الثورة الإسلاميّة النبويّة ـ منذ البداية ـ بشكل جادّ هو خطر الأقلّيّة التي تظاهرت بالإسلام وتغلغلت في صفوف المسلمين، وكانت تتحيّن الفرَص للتآمر على الثورة الإسلاميّة وضربها، وأطلق القرآن الكريم على هذه الأقلّيّة عنوان «المنافقين». وكان يحذّر المسلمين باستمرار من خطرهم، وأفرد لهم سورة تتحدّث عن وضعهم، وهي سورة «المنافقون».

وإذا أضفنا إلى هذه الأقلّيّة الضئيلة تلك الأفواج التي دخلت في الإسلام كارهةً بعد فتح مكّة أدركنا مدىٰ الخطر الذي يشكّله هذا التيّار المتغلغل إذا ما أحسّ بالفراغ القياديّ الكبير.

أجل، إنّ الخطر الذي يتركه إهمال ثورة فتيّة بلا تخطيط دقيق لمستقبل قيادتها واضح أشدّ الوضوح، بحيث إنّه لا يخفى على أيّ قائد سياسيّ، فضلاً عن خاتم الأنبياء ﷺ!

هل يمكن أن نصدّق أنّ أبا بكر كان يشعر بالمسؤوليّة تجاه مستقبل الحكم، ولم يدع المجتمع الإسلاميّ بلا قائد بعده، وأنّ عمر عالج مشكلة القيادة أيضاً عن طريق الشورى السداسيّة، أمّا رسول الله ﷺ فلم يشعر بالخطر على الإسلام، ولم يهتمّ بقضيّةٍ هي من أهمّ القضايا المستقبليّة للثورة الإسلاميّة، ويمرّ عليها مرّ الكرام؟

### ب ـ إهمال المستقبل

لا جَرم أنّ الاحتمال القائل: إنّ النبيّ ﷺ ـ بالرغم من شعوره بالخطر على مستقبل دعوته ـ لم يتحدّث عن الحكومة والقيادة بعده، إذ كان مسؤولاً عن الفترة التي يعش فيها، والمستقبل ليس مهماً عنده، فترك الأُمّة حائرة بلا موقف واضح... إنّما هو احتمال مرفوض، لا يمكن أن يقبله باحث منصف بأيّ حال من الأحوال. حتّى لو فرضنا ـ خلافاً للواقع ـ أنّ النبيّ ﷺ كان قائداً كسائر القادة، فذلك الاحتمال مرفوض

أيضاً، فكيف وهو أعظم الأنبياء جميعهم؟ ولا يمكن أن يدلّنا التاريخ على شخصيّة بين الأنبياء العظام ورجال الفكر في العالم كالرسول الأكرم ﷺ الذي كان حتّى اللحظات الأخيرة من حياته يفكّر بمستقبل دعوته وأُمّته. وسيرته المباركة كلّها برهان ساطع على ما نقول.

كان ﷺ حتّى على فراش الموت ـ وقد اشتدّت به علّته، وشعر أنّه في اللحظات الأخيرة من حياته ـ كان يفكّر كذلك بحملةٍ خطّط لها من قبل، وأعدّ جيش «أُسامة» للجهاد في سبيل الله. وفي تلك الحالة المؤلمة التي كان يُغمى فيها عليه ﷺ يوصي بإنفاذ الجيش كلّما أفاق، ويكرّر قوله المشهور: «جهّزوا جيش أُسامة. أنفذوا جيش أُسامة»[1].

ولو تغاضينا عن جميع ما ذكرناه فإنّ حادثة مهمّة واحدة وقعت في اللحظات الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ واتّفق على نقلها المحدّثون من الفريقين تكفي لإثبات بطلان فرضيّة «الطريق السلبيّ».

وتتلخّص الحادثة المذكورة في أنّ النبيّ ﷺ كان على فراش المرض، وفي البيت رجال ـ منهم عمر بن الخطّاب ـ فقال:

**«ائتوني بكتفٍ ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»[2].**

يدلّ هذا الكلام الذي اتّفق على نقله وصحّته المحدّثون الكبار من المسلمين على أنّ الرسول الكريم ﷺ كان ملمّاً إلماماً تامّاً بالأخطار التي تهدّد مستقبل دعوته، وكان يشعر بضرورة التخطيط للوقاية منها. لذلك لم يختر الطريق الأوّل ـ الذي يمثّل موقفاً

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ٢٤٨، و: ٤ / ٦٧، السيرة الحلبيّة: ٣ / ٢٠٧، المغازي: ٣ / ١١١٨، الإرشاد للشيخ المفيد: ١ / ١٨٣، الخصال: ٣٧١ / ٥٨.

(٢) صحيح البخاري: ١/٥٤/١١٤، و: ٣/١١١١/٢٨٨٨، و: ٤/١٦١٢/٤١٦٨، و: ٥/٢١٤٦/٥٣٤٥، الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٣، تاريخ الطبريّ: ٣/١٩٣، الكامل في التاريخ: ٢/٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ١/١٨٤، وغيرها.

سلبيّاً من الدعوة ـ قطّ.

## ٢ـ نظام الشورىٰ:

بعد أن أثبتنا أنّ فرضيّة الطريق السلبيّ مرفوضة كان على النبيّ ﷺ ـ من منطلق اختيار سياسة إيجابيّة حيال مستقبل الثورة الإسلاميّة ـ أن يفوّض إدارة الحكم بعده إلى نظام الشورىٰ، أو يعيّن للناس قادتهم في المستقبل.

نحن نعلم أنّ الحجاز قبل الإسلام لا عهد لها بنظام الشورىٰ، بل كان هذا النظام مجهولاً حتّى عند الأُمم والشعوب الأُخرى يومئذٍ. فما كان مهمّاً لقوام الحكومات ولترسيخها واستمرارها آنذاك هو توطيد السلطة بشكلٍ وراثيّ. لذا لو أراد النبيّ ﷺ أن يترك مستقبل الثورة الإسلاميّة بعده للشورىٰ فلابدّ له من القيام بعملين، مضافاً إلى أنّ ورثة الثورة كان ينبغي أن يتمتّعوا بالكفاءة المطلوبة للاضطلاع بمثل هذه المهمّة:

### أ ـ تبيين قانون الشورىٰ

إنّ أوّل خطوة تبدو ضروريّة للتخطيط لنظام الشورىٰ ـ بخاصّة في مجتمعٍ لم يعهد حكومة تقوم على أساسه ـ هي تبيان حدود الشورىٰ وضوابطها. ولو كان رسول الله ﷺ يفكّر بالشورىٰ كأساسٍ للحكومة الإسلاميّة ويراها الأُسلوب الأفضل لاختيار القائد بعده فلابدّ له من إخبار المسلمين بالشروط اللازمة لانتخاب أعضاء الشورىٰ ـ وكيفيّة الانتخاب، ومدّة اعتبار الأصوات، وبكلمة واحدة: يبيّن لهم قانون الشورىٰ وضوابطه، إذ لا يمكن أن نقول في غير هذه الحالة: إنّه اختار نظام الشورىٰ لإدارة الحكم بعده.

وتدلّ دراسة دقيقة للتاريخ الإسلاميّ على أنّ رسول الله ﷺ ـ في أيّ حالة من الحالات ـ لم يبيّن للمسلمين نظام الشورىٰ وحدوده ومواصفاته التشريعيّة قطّ. ولم

يطرح القرآن الكريم والحديث الشريف الشورىٰ ـ بضوابطها وكيفيّتها ـ كنظامٍ للحكم ولو مرّة واحدة، مع تأكيدها المشورة في الأعمال. فلا يداخلنا الشكّ ـ إذاً ـ أنّ النبيّ ﷺ لو كان تحدّث في هذا المجال لَلوحظ ذلك في الأحاديث المأثورة، ولانعكس في أذهان المسلمين، أو في أذهان كبار الصحابة في الأقلّ. في حين لا نجد أدنى أثرٍ لذلك حتّى في ذهن الجيل الأوّل من المسلمين، بل نجد خلافه في عمل الخليفة الأوّل والثاني لتعيين القائدبعدهما. وتُرشدنا المدوّنات التاريخيّة الثابتة إلى أنّهما كانا يَريان أنّ من حقّهما تعيين الخليفة، ولم يعترض عليهما أحد ويحتجّ بأنّ النبيّ ﷺ جعل نظام الشورىٰ أساساً لتعيين القائد.

## ب ـ توعية ورثة الثورة

يضاف إلى ما تقدّم أنّ بيان قانون الشورىٰ وضوابطه لا يكفي في مجتمع لم يعهده من قبل، فمن الضروريّ أن يقوم الرسول القائد بتوعية الناس على النظام الجديد وخصائصه، وعطاءاته وفوائده، وتحذيرهم من الأخطار التي تنجم عن رفضه، وذلك كي يتهيّأوا ذهنيّاً وروحيّاً لقبوله.

من الطبيعيّ أنّ الناس لو تمّ توجيههم في هذا المجال لَعُدَّ ذلك العمل واقعة مهمّة في التاريخ، ولما أمكن كتمانه، في حين لم يلاحظ أيّ أثرٍ له في التاريخ الإسلاميّ.

## ج ـ استعداد ورثة الثورة

ثبت إلى هنا أنّ النبيّ ﷺ لم يختر نظام الشورىٰ لقيادة المجتمع الإسلاميّ بعده. ونريد الآن أن نثبت أنّه ﷺ يكن ممكناً له أن يوصي الناس بمثل هذا النظام، لأنّ ورثة الثورة لم يمتلكوا الاستعداد اللازم لقبول هذه المسؤوليّة.

توضيحاً لهذا الموضوع ينبغي في البداية أن نتساءل قائلين: في أيّة ظروف يستطيع المجتمع البشريّ أن ينتخب قائده ونظامه القياديّ؟ ومن هُم الذين يتحقّق على أيديهم الانتخاب الأفضل؟ من الضروريّ وجود شرطين لهذا العمل:

## القدرة على تشخيص الأصلح

ضرورة وجود هذا الشرط لا تحتاج إلى توضيح. ولا شكّ أنّه لا يمكن أن يُنتظر ممّن لا قدرة له على تشخيص الأفضل أن يختار لنا الأفضل. وعلى هذا يكون أوّل شرط للنجاح في نظام الشورىٰ هو بلوغ الناس درجة من النضج الثقافيّ والسياسيّ بحيث إنّهم يستطيعون أن يختاروا أفضل أنظمة القيادة وأفضل قائد. وبلوغ هذه الدرجة من الوعي والتبصّر العمليّ أمر في غاية الصعوبة، بل إذا أخذنا بنظر الاعتبار التعقيد الموجود في حقيقة الإنسان وباطنه[1] عرفنا أنّه لا يتيسّر اختيار الأفضل ـ حتّى لأهل الخبرة ـ بلا توجيه من عقلٍ كلّيّ محيطٍ بزوايا الإنسان الباطنيّة، فكيف بأكثريّة المجتمع؟ وكيف بمجتمعٍ كان حتّى الأمس يرى أنّ معرفة الله لا تعدو السجود للحجارة والخشب؟!

روى سعد بن عبدالله القمّيّ أنّه سأل الإمام المهديّ ـ أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ـ فقال: أخبرني يا مولاي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أو مفسد؟ قلتُ: مصلح.

قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد؟... قلت: بلى.

قال: فهي العلّة.

وواصل الإمامعليه السلام كلامه، ونقل حادثةً، وذكر أنّ اختيار الأصلح لابدّ أن يتمّ بمساعدة من يعرف ما تكنّ الضمائر، وتنصرف عنه السرائر[2].

## استقامة الناخب

لا تكفي القدرة وحدها على تمييز الأفضل لاختيار قائد المجتمع الإسلاميّ، فلابدّ للناخب أن يكون متحرّراً من الهوىٰ والخوف كي يستطيع أن يستثمر تلك القدرة.

---

(١) انظر كتابنا فلسفۀ وحی و نبوّت (فلسفة الوحي والنبوّة): ٣٦.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٥٣٠ / ٣٤١، بحار الأنوار: ٢٣ /٦٨ /٣، إثبات الهداة: ١ / ١١٦.

من هنا لا يتسنّىٰ للأشخاص الذين يتّبعون أهواءهم وميولهم الفئويّة أن يختاروا الأصلح، لأنّهم سيصوّتون لمصلحة من يلبّي حاجاتهم، لا حاجات المجتمع. في حين أنّ القائد الأكفأ هو الذي يقود المجتمع باتّجاه تلبية حاجاته الواقعيّة، ويحترم رغبات الناس ما لم تتعارض مع حاجاتهم.

في ضوء ذلك، ما دام الناس لا يمتلكون الوعي الفكريّ والأخلاقيّ المناسب لاختيار القائد الأفضل والنظام القياديّ الأحسن فإنّ الديمقراطيّة لن تحلّ مشكلات المجتمع، بل تزيدها تعقيداً، وكما قال البروفسور شاندل:

**«أكبر عدوٍّ للحرّيّة والديمقراطيّة بنوعهما الغربيّ هو الديمقراطيّة والليبراليّة والحرّيّة الفرديّة نفسها»[1].**

ونلحظ في عالم اليوم أنّ الديمقراطيّة تُطرح كنظام ضعيف، بل خطر ومضادّ للثوريّة. ومن هذا المنطلق، لا تربط المدارس العقيديّة مصير الثورة بعد انتصارها التمهيديّ بالديمقراطيّة في بادئ الأمر، بل تعتقد أنّ المجتمع ما لم يتهيّأ لاختيار قائد عقائديّ عن طريق الشورىٰ والرجوع إلى التصويت العامّ فلابدّ له أن يواصل حياته الثوريّة بتوجيهٍ من قيادة عقائديّة.

إذا ألقينا نظرة خاطفة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعي والأخلاق الذي كان عليه المجتمع الإسلاميّ يومئذٍ أدركنا بيسرٍ أنّ ورثة الثورة بعد النبيّ ﷺ لم يكونوا يمتلكون الاستعداد الكافي لاختيار القائد الأفضل. والحوادث التي وقعت خلال ربع قرن بعد وفاة النبيّ ﷺ دليل آخر على مانقول. ولو كان المجتمع الإسلاميّ آنذاك مستعدّاً لاختيار القائد الأفضل لما صارت الخلافة الإسلاميّة ملكاً وراثيّاً خلال أقلّ من خمسين سنةً، ولما حكم أعداء الإسلام المسلمين هذا اليوم باسم الإسلام. من هنا كان متعذّراً على النبيّ ﷺ المتّصل بالوحي أن يترك قيادة الأُمّة لنظامٍ

---

(١) امّت وامامت (الأمّة والإمامة): ١٨٦.

كان واثقاً أنّه سينتهي بدمار الإسلام والثورة الإسلاميّة.

### ٣ـ تعيين القائد القادم:

الطريق الوحيد الذي ينسجم مع طبيعة الأشياء في المجتمع الإسلاميّ إبّان البعثة ويمكن أن يصون مستقبل الثورة الإسلاميّة من الأخطار المترقّبة هو أن يعيّن الرسول المرجعيّة الدينيّة والقيادة السياسيّة للأمّة مباشرةً، في زمانٍ لم يبلغ المسلمون فيه المستوى المطلوب من الوعي الفكريّ والسياسيّ اللازم لاختيار القائد الأفضل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار اتّصال النبيّ بالوحي فإنّ هذا الاختيار لم يكن عسيراً عليه. وفي أيدينا أدلّة قاطعة كثيرة أيضاً تثبت أنّه ﷺ اختار هذا الطريق بأمر الله تعالى.

وعلى الرغم من أنّ الجوّ السياسيّ للمجتمع الإسلاميّ بعد النبيّ كان يحول دون ذكر ما قاله في القائد القادم بيدَ أنّ توجيهاته ﷺ في هذا المجال بلغت من الكثرة حدّاً أنّها لم تخف على الأجيال القادمة. ولمّا كان ﷺ يتنبّأ بمستقبل العالم الإسلاميّ فإنّه كان ـ من أجل أن يعمل بتكليفه الإلهيّ ـ يستثمر كلّ فرصة لتعريف أفضل من يستطيع أن يواصل طريقه، منذ بداية البعثة إلى يوم وفاته، كما نصّت على ذلك الأحاديث المتواترة المتّفق عليها بين المسلمين.

منها: الأحاديث التي ذكرت الإمام عليّاً عليه السلام بوصفه وصيّاً للنبيّ ﷺ[1]، والأحاديث التي عرّفته وارثاً له[2]، والأحاديث التي نصّت على أنّه منه بمنزلة هارون من موسى[3]،

---

(١) تاريخ دمشق «ترجمة الإمام عليّ عليه السلام»: ٣/٥/١٠٢١ و١٠٢٢، مناقب ابن المغازلي: ٢٠١/ ٢٣٨. وانظر المعجم الكبير: ٦/ ٢٢١ / ٦٠٦٣، و: ٣/ ٥٧/ ٢٦٧٥، والمستدرك للحاكم: ٣ / ١٧٢، ونهج البلاغة: الخطبة ٢ و ٨٨.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٧٥ / ٦٢، المعجم الكبير: ١ / ١٠٧ / ١٧٦، مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٣ / ١٤٧٦٥، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٢٦.

(٣) صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧٠ / ٢٤٠٤، سنن الترمذي: ٥ / ٦٤٠ / ٣٧٣٠، صحيح البخاري: ٤/١٦٠٢/٤١٥٤، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٥٩/٧٤، وص ٦٠، مسند ابن حنبل: ١/٣٦١/١٤٦٣، وص ١٤٩٠/٣٦٦.

والأحـــاديث التي عـرّفته للـناس أمـيراً للـمؤمنين[١]، والأحـاديث التي صرّحت بإمامته[٢]، والأحاديث التي وردت في ولايته[٣]، والأحاديث التي ذكرته هادياً للناس بعد النبيّ[٤]، والأحاديث التي دلّت على عصمته من الخطأ[٥]. وهذه الأحاديث كلّها أدلّة على قولنا إنّ النبيّ ﷺ اختار الطريق الثالث لأُمّته.

يضاف إلى هذه الأحاديث جميعها وأحاديث أُخرى لا تُحصىٰ ـ ذكر فيها النبيّ ﷺ للأُمّة أرجحيّة الإمام عليه السلام العلميّة والعمليّة والأخلاقيّة ـ أنّه ﷺ عندما عاد من حـجّة الوداع وقف في غدير خمّ، ونصبه خليفةً له[٦].

---

(١) حلية الأولياء: ١ / ٦٣، تاريخ دمشق «ترجمة الامام عليّ عليه السلام»: ٢ / ٤٨٧ / ١٠٠٥، و ص ٢٥٩ / ٧٧٦، مسند الفردوس: ٥ / ٣٦٤ / ٨٤٤٩، مناقب الخوارزمي: ٨٥، الكافي: ١ / ٤٤٢ / ١٣.

(٢) عـيون أخـبار الرضـا عليه السلام : ١/ ٢٨١/٢٦ ، مـعاني الأخـبار : ٦/٦٦ ، الخـصال: ٤٦٥، الاحـتجاج: ١/١٠٣، مناقب الخوارزمي: ٦١ / ٣١.

(٣) البداية و النهاية : ٧ / ٣٤٦، مسند ابن حنبل: ١ / ٣٣١، خـصائص أمـيرالمـؤمنين عليه السلام لـلنسائي: ٤٦ / ٢٣، و ص ٧٧ / ٦٥، وص ٩٣ / ٨٧، تاريخ بغداد: ٤ / ٣٣٩.

(٤) تفسير الطبريّ :٨ / الجزء ١٣ / ١٠٨ ، التفسير الكبير: ١٩ / ١٥، الدرّ المـنثور: ٤ / ٤٥، تـفسير ابـن كـثير: ٢ / ٦١١، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٢٩.

(٥) انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنّة: ١١١ ـ ١١٤، من منشورات دار الحديث.

(٦) حديث الغدير من الأحاديث التي استأثرت بكثرة النقل والرواة على مرّ تاريخ الحديث. مـن ذلك أنّ مـؤلّف كتاب تاريخ دمشق «ترجمة الإمام عليّ عليه السلام» ذكر في الجزء الثاني من الكتاب ص ٥ ـ ٩٠ تسعين طريقاً لهذا الحديث.

وجمع المرحوم العلّامة الأمينيّ في بحث موسّع من موسوعته الثمينة النفيسة «الغدير» أسـماء ١١٠ مـن الصحابة (١/١٤ـ ٦١) و ٨٤ من التابعين (١/٦٢ ـ ٧٣) و ٣٦٠ من العلماء (١/٧٣ ـ ١٥١) رووا حديث الغدير.

وفيما يأتي نصّ الحديث كما نقله زيد بن أرقم: لمّا دفع النبيّ ﷺ من حجّة الوداع ونزل غـدير خـمّ أمـر بدوحاتٍ فقممن، ثمّ قال: «كأنّي دعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. ثـمّ قـال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن. ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام ، فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه وعاد مـن

⇔

## تعريف قادة المستقبل

لم يعيّن رسول الله ﷺ القائد بعده فحسب، بل أبدى توجيهاته اللازمة للأجيال القادمة، بشأن معرفة أفضل القادة للمجتمع الإسلاميّ أيضاً. وهذه التوجيهات مثبّتة في الكتب الموثوقة للفريقين.

من الطبيعي أنّنا ينبغي أن نلتفت إلى أنّ خطر نقل الأحاديث التي تدلّ على هذا الموضوع أكثر من خطر نقل الأحاديث التي ترتبط بالقيادة بعد النبيّ ﷺ. إذ إنّ هذه الأحاديث كانت تُلغي حكومة المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة قروناً من الزمان.

عندما يضع باحث دقيق النظر عميق الفكر الأحاديثَ النبويّة الشريفة جنباً إلى جنب، فإنّه يلحظ بوضوحٍ الضغوطَ السياسيّة في تضاعيفها، ويستطيع أن يدرك جيّداً كيف حَرّف بعضُ المحدّثين غير الملتزمين أحاديث رسول الله ﷺ، وفقاً لمشتهيات السياسة الحاكمة في عصرهم. وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث[1]:

في مسند ابن حنبل: روى جابر بن سمرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

**«يكون بعدي اثنا عشر أميراً» ثمّ لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألت القوم كلّهم، فقالوا: قال: «كلّهم من قريش»**[2].

وروي في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**«لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت**

---

⇐ عاداه. فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وأنّه ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينيه وسمعه بأُذنيه». خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٨٤ / ٧٦، البداية والنهاية: ٥ / ٢٠٩، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٦١٣ / ٦٢٧٢، المعجم الكبير: ١٥ / ١٦٦ / ٤٩٦٩.

(١) لمزيد من التحقيق والتوضيح انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنّة، من إصدارات مؤسّسة دارالحديث الثقافيّة.

(٢) مسند ابن حنبل: ٧ / ٤١٥ / ٢٠٩٠٤.

**لأبي : ما قال ؟ فقال : «كلّهم من قريش»[١].**

ونقل ابن حنبل في حديث آخر عن مسروق أنّه قال : كنّا جلوساً عند عبدالله ابن مسعود وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: هل سألتم رسول الله ﷺ : كم تملك هذه الأُمّة من خليفة ؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذُ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله ﷺ، فقال:

**«اثنا عشر، كعدّة نُقباء بني إسرائيل»[٢].**

وقد نُقل مضمون هذه الأحاديث من طرقٍ متنوّعة وبصوَرٍ متباينة في المصادر الحديثيّة الموثوقة لأهل السنّة. وعلى الرغم من التلاعب الذي حصل لأسباب سياسيّة ـ إذ حُذفت كلمة «بعدي» من بعضها، واستبدلت كلمة «الأمير» بكلمة «الخليفة» فيها[٣]، وارتبط قوام الإسلام في بعضها بخلافة الخلفاء الاثني عشر إلى يوم القيامة[٤]، ولم يُلحَظ هذا الارتباط في بعضها الآخر. وتعلّقت مصالح المجتمع الإسلاميّ بخلافتهم في بعضها الآخر[٥]، وبعضها يخلو من هذا التعلّق. وفي قسم منها نلاحظ أنّ ولايتهم هي التي تتكفّل بتحقيق السير الطبيعيّ للأُمور في المجتمع الإسلاميّ[٦]، وفي قسم آخر لا نلاحظ ذلك[٧].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٣ / ٨ و ٩. ونُقل قريب من مضمون هذا الحديث أيضاً في مسند ابن حنبل: ٧ / ٤١٢ / ٢٠٨٨٢، تاريخ بغداد: ١٢ / ١٢٦.

(٢) مسند ابن حنبل: ٢ / ٥٥ / ٣٧٨١، المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٥٤٦ / ٨٥٢٩، أمالي الصدوق: ٢٥٥ / ٧.

(٣) صحيح البخاريّ: ٦ / ٢٦٤٠ / ٦٧٩٦ عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: «كلّهم من قريش».

(٤) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٣ / ١٠ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».

(٥) مسند ابن حنبل: ٧ / ٤٢٧ / ٢٠٩٧٦ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ: «لا يزال هذا الأمر صالحاً حتّى يكون اثنا عشر أميراً...».

(٦) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٥٢ / ٦ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وَلِيَهم اثناعشر رجلاً...».

(٧) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنّة «القسم الأوّل»، إصدار مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة.

على الرغم من هذا كلّه فهي تشترك جميعها في نقطتين جوهريّتين:

١ـ عرّف النبيّ ﷺ أفضل الأشخاص الذين يمكن أن يقودوا المجتمع الإسلاميّ بعده سنين طويلة.

٢ـ إنّ عدد القادة الذين أيّد النبيّ ﷺ قيادتهم اثنا عشر قائداً.

تستبين هذه الحقيقة أكثر عندما يرجع الباحث إلى أحاديث أهل البيت. وحينئذٍ سيلحظ أنّها نقلت المضمون المذكور[١]، وعرضت توضيحات أكثر حول أسمائهم ومواصفاتهم[٢]. ويتبيّن أيضاً أنّ النبيّ ﷺ عندما قال: «كلّهم من قريش»، فإنّما أراد أُسرة خاصّة من قريش، وتلاحظ هذه المطالب في بعض الروايات بنحوٍ صريح[٣]. قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

**«إن الأئمّة من قُرَيشٍ غُرِسوا في هذا البطن من هاشمٍ لا تَصلُحُ على سِواهم، ولا تَصلُحُ الوُلاةُ من غَيرِهم»**[٤].

---

(١) الخصال: ٤٦٩ / ١٢ وص ٤٧٠ / ١٦ وص ٤٧٣ / ٣٠، أمالي الصدوق: ٢٥٥ / ٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٥٠ / ١٢ و ١٣، كمال الدين: ٢٧٢ / ١٩ وص ٢٧٣ / ٢٣ و ٢٤.

(٢) كمال الدين: ٢٥٣ / ٣ عن جابر بن يزيد الجعفيّ، قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: لمّا أنزل الله عزّوجلّ على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾، قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أُولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: «هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين [من] بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سَمِيّي وكَنِيّي حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان».

(٣) جاء في بعض الروايات: «كلّهم من بني هاشم»، ينابيع المودّة: ٣ / ٢٩٠ / ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٤.

لا ريب أنّ حذف المواصفات الدقيقة لخلفاء النبيّ الاثني عشر من بعض المصادر الروائيّة كان لأسباب سياسيّة، بيدَ أنّ المقدار الوارد في هذه المصادر يكفي لجلاء الحقيقة، لأنّ العدد المذكور لا ينطبق إلّا على أئمّة أهل البيت عليهم السلام. وإذا وضعنا «حديث الثقلين» المتواتر وسائر الأحاديث المأثورة في وجوب التمسّك بأهل البيت عليهم السلام[١] إلى جانب ما يتحصّل من هذه التحقيقات يتبيّن لنا أنّ النبيّ الأكرم ﷺ تحدّث عن موضوع قيادة العالم المستقبليّة وعن الأئمّة من بعده بشكل دقيق وواضح، أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

## أوصياء النبيّ الاثنا عشر

فيما يأتي أسماء الأوصياء الاثني عشر، وتاريخ ولادتهم، وتاريخ استشهاد أحد عشر منهم:

**١ـ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:**

الولادة: الثالث عشر من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة[٢] (قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة).

الاستشهاد: الحادي والعشرون من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ[٣].

**٢ـ الإمام الحسن بن عليّ (المجتبىٰ) عليهما السلام:**

الولادة: الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣ هـ[٤].

الاستشهاد: آخر صفر سنة ٥٠ هـ[٥].

---

(١) انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنّة، من منشورات دارالحديث.

(٢) تهذيب الأحكام: ٦ / ١٩.

(٣) الكافي: ١ / ٤٥٢.

(٤) كشف الغمّة: ٢ / ١٤٠. وانظر الكافي: ١ / ٤٦١.

(٥) الكافي: ١ / ٤٦١. وفي رواية أُخرى فيه أيضاً: سنة ٤٩ هـ.

٣ـ الإمام الحسين بن عليّ (سيّد الشهداء)عليه السلام:

الولادة: الثالث من شعبان سنة ٤ هـ[١].

الاستشهاد: العاشر من المحرّم (عاشوراء) سنة ٦١ هـ[٢].

٤ـ الإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين)عليه السلام:

الولادة: الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ[٣].

الاستشهاد: الثاني عشر من المحرّم سنة ٩٥ هـ[٤].

٥ـ الإمام محمّد بن عليّ (الباقر)عليه السلام:

الولادة: الأوّل من رجب سنة ٥٧ هـ[٥].

الاستشهاد: السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ هـ[٦].

٦ـ الإمام جعفر بن محمّد (الصادق)عليه السلام:

الولادة: السابع عشر من ربيع الأوّل سنة ٨٣ هـ[٧].

الاستشهاد: الخامس والعشرون من شوّال سنة ١٤٨ هـ[٨].

٧ـ الإمام موسى بن جعفر (الكاظم)عليه السلام:

الولادة: السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ[٩].

---

(١) إعلام الورى: ٢١٣، مصباح المتهجّد: ٨٢٦. وانظر الكافي: ١ / ٤٦٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ٦ / ٤٢. وانظر الكافي: ١ / ٤٦٣.

(٣) مطالب السؤول: ٧٧.

(٤) إعلام الورى: ٢٥١.

(٥) مصباح الكفعميّ: ٥٢٢.

(٦) الكافي: ١ / ٤٦٩.

(٧) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٤ / ٢٧٩، مصباح الكفعميّ: ٥٢٣. وانظر الكافي: ١ / ٤٧٢.

(٨) الكافي: ١ / ٤٧٢.

(٩) نفسه: ١ / ٤٧٦، إثبات الوصيّة: ٢٠٣.

الاستشهاد: الخامس والعشرون من رجب سنة ١٨٣ هـ[١].

٨ـ الإمام عليّ بن موسى (الرضا)عليه السلام:

الولادة: الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٤٨ هـ[٢].

الاستشهاد: آخِر صفر سنة ٢٠٣ هـ[٣].

٩ـ الإمام محمّد بن عليّ (الجواد)عليه السلام:

الولادة: العاشر من رجب سنة ١٩٥ هـ[٤].

الاستشهاد: آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ[٥].

١٠ـ الإمام عليّ بن محمّد (الهادي)عليه السلام:

الولادة: الخامس عشر من ذي الحجّة سنة ٢١٢ هـ[٦].

الاستشهاد: الثالث من رجب سنة ٢٥٤ هـ[٧].

١١ـ الإمام الحسن بن عليّ (العسكريّ)عليه السلام:

الولادة: الثامن من ربيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ[٨].

الاستشهاد: الثامن من ربيع الأوّل سنة ٢٦٠ هـ[٩].

---

(١) إعلام الورىٰ: ٢٨٦.

(٢) مصباح الكفعميّ: ٥٢٣، تاج المواليد: ٤٨. وانظر الكافي: ١ / ٤٨٦.

(٣) الكافي: ١ / ٤٨٦، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٢٤٧، إعلام الورى: ٣٠٣. ولم يرد لفظ «آخِـر» فـي الكـافي والإرشاد.

(٤) الكافي: ١ / ٤٩٢، التهذيب: ٦ / ٩٠. وفي مسارّ الشيعة: ١٥ رمضان، وفي إثبات الوصيّة: ١٩ رمضان.

(٥) مناقب ابن شهرآشوب: ٤ / ٣٧٩، الكافي: ١ / ٤٩٢، تهذيب الأحكام: ٦ / ٩٠.

(٦) إعلام الورىٰ: ٣٣٩، الكافي: ١ / ٤٩٧، تهذيب الأحكام: ٦ / ٩٢.

(٧) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٤ / ٤٠١، الكافي: ١ / ٤٩٧. ولم ترد فيه كلمة «الثالث».

(٨) إعلام الورىٰ: ٣٤٩. وانظر الكافي: ١ / ٥٠٣، وتهذيب الأحكام: ٦ / ٩٢.

(٩) تهذيب الأحكام: ٦ / ٩٢، الكافي: ١ / ٥٠٣.

١٢ ـ الإمام المهديّ الموعود عجّل الله فرجه ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه وخليفته الثاني عشر، وإمام عصرنا.

ولد أرواحنا فداه في النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ[١] بسامرّاء، تولّى شؤون الإمامة بعد استشهاد والده الإمام العسكريّ عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ.

هو ذخيرة الله تعالى لإنقاذ المستضعفين وإبادة المستكبرين، وهو الموعود الذي سيؤسّس حكومة الإسلام العالميّة، وسيظلّ غائباً عن الأنظار ما دامت الأرضيّة غير ممهّدة لحكومته، وتنقسم غيبته إلى قسمين:

**أ ـ الغَيبة الصغرىٰ:**

بدأت هذه الغيبة سنة ٢٦٠ هـ، ودامت حتّى سنة ٣٢٩ هـ.

ولم يتيسّر الاتّصال بالإمام ـ خلال تلك الفترة ـ إلّا عن طريق نوّابه الخاصّين.

عُرفت هذه الغيبة بالغيبة الصغرىٰ لقصر زمانها.

**ب ـ الغَيبة الكبرىٰ:**

الغيبة الكبرىٰ أو الغيبة التامّة، بدأت سنة ٣٢٩ هـ بوفاة النائب الأخير للإمام عليه السلام. ومازالت، وستستمرّ ما دامت الظروف غير مؤاتية لحكومة الإسلام العالميّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في أحاديث يتّفق محدّثو الشيعة والسنّة على مضمونها ـ:

**«لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»**[٢].

---

(١) الكافي: ١ / ٥١٤ / ١. وفي مصباح الكفعميّ: ٥٢٣ وإعلام الورىٰ: ٣٩٣، سنة ٢٥٥ هـ.

(٢) سنن أبي داود: ٤ / ١٠٧ / ٤٢٨٣، وانظر الغيبة للطوسي: ٤٦ / ٣٠، و: ١٨١ / ١٤٠، و: ٤٢٥ / ٤١٠، وإعلام الورىٰ: ٤٣٠، وكشف الغمّة: ٣ / ٢٦٦، وبحار الأنوار: ٥١ / ١٠٢ / ٣٩.

**«المهدي منّي... يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].**

## بركات الإمام الغائب

مع أنّ الأُمّة محرومة من قيادة الإمام عليه السلام الظاهريّة خلال غيبته عجّل الله فرجه ـ بخاصّة غيبته التامّة ـ بيدَ أنّها تنتفع ببركات هدايته الباطنيّة وأنوارها[٢].

سأل جابر بن عبدالله الأنصاري النبيّ صلى الله عليه وآله عن غيبة الإمام فقال: فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله:

**«إي والّذي بعثني بالنبوّة، إنّهم يستضيؤون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب»[٣].**

قال سليمان بن مهران الأعمش: قال أبو عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام:

**«ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله».**

قال سليمان: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال عليه السلام:

**«كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[٤].**

وقال إسحاق بن يعقوب: ورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

**«... أمّا وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»[٥].**

---

(١) سنن أبي داود: ٤ / ١٠٧ / ٤٢٨٥، سنن الترمذي: ٤ / ٥٠٥ / ٢٢٣٠ و ٢٢٣١، بحار الأنوار: ٥١ / ٩٠.

(٢) انظر الفصل الرابع من القسم الأوّل: «القيادة الباطنيّة».

(٣) كمال الدين: ٢٥٣ / ٣. وروي هذا المضمون عن جابر في كفاية الأثر: ٥٤، ينابيع المودّة: ٣ / ٣٩٩ / ٥٤.

(٤) كمال الدين: ٢٠٧ / ٢٢، أمالي الصدوق: ٢٥٢ / ٢٧٧.

(٥) الغيبة للطوسي: ٢٩٢ / ٢٤٧، كمال الدين: ٤٨٥ / ٤.

تؤيّد هذه الأحاديث والروايات الموضوعات التي دارت حول فلسفة القيادة الباطنيّة في الفصل الرابع من القسم الأوّل من هذا الكتاب.

وذكرنا هناك أنّ الإمام في موقع الولاية التكوينيّة كالشمس التي تُنير الباطن غير المحسوس من العالم، وتشرق على ملكوت السماوات والأرض، وتُضيء ضمائر الناس المؤهّلين، والمؤمنون الأبرار في ظلّ نوره لا يرون مقصدهم فحسب، بل يدركونه ويظفرون به.

يضاف إلى ذلك أنّ الإمام هو الركن الباطنيّ لعالم المادّة، وبدونه ينهار نظام الأرض والسماء[1].

---

(١) انظر الفصل الرابع من القسم الأوّل: «القيادة الباطنيّة».

# الخلاصة

◘ كانت الثورة الإسلاميّة في مرحلتها الأُولى ناجحة، بيدَ أنّها ينبغي أن تستمرّ لبلوغ الهدف النهائي، وتتّصل بعصر ما بعد ارتحال النبيّ ﷺ . وأهمّ عوامل استمرار الثورة الإسلاميّة هي القيادة.

◘ لم تكن وفاة قائد الثورة الإسلاميّة مفاجئة، لذا حتّى لو فرضناه قائداً عاديّاً، فقد كان عليه أن يحدّد سياسته حول مستقبل الدعوة والقيادة بعده.

◘ كان أمام رسول الله ﷺ ثلاث طرق، بالإمكان انتهاج أحدها تجاه مستقبل القيادة، وهي : أ ـ الطريق السلبيّ. ب ـ نظام الشورىٰ. ج ـ تعيين القائد القادم.

◘ الطريق السلبيّ مَعْلَم على عدم الشعور بالخطر أو عدم الاهتمام بمستقبل الدعوة، وهذان الاحتمالان لا يمكن أن يصحّ صدورهما من النبيّ ﷺ.

◘ أخطار الطريق السلبيّ هي: ١ ـ خطر اتّخاذ القرار المتعجّل. ٢ ـ خطر افتقار ورثة الثورة إلى النضج الإسلاميّ. ٣ ـ خطر الأقلّيّة المتغلغلة.

◘ إنّ الاحتمال القائل بعدم اهتمام النبيّ ﷺ بمستقبل دعوته ـ حتّى لو فرضناه قائداً كسائر القادة ـ احتمال مرفوض، فكيف وهو أعظم الأنبياء؟ وتدحض السيرة النبويّة والتاريخ الإسلاميّ هذه الفرضيّة بجلاء.

◘ ينبغي ـ عند اختيار نظام الشورىٰ ـ أن يمتلك ورثة الثورة الكفاءات اللازمة لقبول هذه المسؤوليّة. يضاف إليه أنّ على قائد الثورة أن يقوم بعملين، هما: تبيين قانون الشورىٰ، وتوعية ورثة الثورة الإسلاميّة.

◘ يدلّ التاريخ الإسلاميّ بوضوح على أنّ النبيّ ﷺ لم يمارس توعيةً للمسلمين

على نظام الشورىٰ، بل لم يتحدّث عنه وعن حدوده ومواصفاته التشريعيّة قطّ.

◘ القدرة على تشخيص الأصلح والاستقامة الأخلاقيّة شرطان أساسيّان لاختيار القائد والنظام القياديّ. وعندما يفقد المجتمع هذين الشرطين فإنّ نظام الشورىٰ سيؤدّي إلى محق الثورة.

◘ إذا ألقينا نظرة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعي والأخلاق الذي كان عليه المجتمع الإسلاميّ يومئذٍ يتبيّن لنا أنّ ورثة الثورة الإسلاميّة لم يكونوا يمتلكون أيّ استعداد لقبول مسؤوليّة نظام الشورىٰ من هنا كان متعذّراً على النبيّ ﷺ أن يترك قيادة الأُمّة لنظامٍ يفضي إلى دمار الإسلام.

◘ السياسة الوحيدة المنسجمة مع طبيعة الأشياء في المجتمع الإسلاميّ إبّان البعثة هي تعيين الرسول القائد من يخلفه في المستقبل.

◘ على الرغم من أنّ الجوّ السياسيّ للمجتمع الإسلاميّ بعد النبيّ ﷺ كان يحول دون ذكر ما قاله ﷺ بشأن القائد الذي يخلفه، إلّا أنّ كلماته في هذا المجال كانت كثيرة إلى حدٍّ أنّها لم تخف على الأجيال القادمة.

◘ تدلّ أحاديث الوصاية والوراثة والمنزلة والإمارة والإمامة والولاية والهداية والعصمة والأهمّ منها جميعاً حديث غدير خمّ على أنّ رسول الله ﷺ قد نصب الخليفة بعده.

◘ يضاف إلى تعيين النبيّ ﷺ الخليفة بعده أنّه عيّن اثني عشر إماماً من أهل بيته قادةً للمجتمع الإسلاميّ بالترتيب.

◘ كان لحذف المواصفات التامّة للخلفاء الاثني عشر في قسم من المصادر الروائيّة أسباب سياسيّة، غير أنّ المقدار الوارد في هذه المصادر يكفي لاستبانة الحقيقة.

◘ تدلّ دراسة دقيقة شاملة للأحاديث المأثورة على أنّ النبيّ ﷺ قد تحدّث

بشكل دقيق واضح عن الأئمّة بعده أكثر ممّا تحدّث عن شيءٍ آخر.

◘ الخليفة الثاني عشر لنبيّنا هو إمام زماننا، وهو الموعود الذي سيقيم الحكومة الإسلاميّة العالميّة. ويظلّ غائباً عن الأنظار ما دامت الأرضيّة غير ممهّدة لإقامة هذه الحكومة.

◘ غيبة الإمامعليه السلام من سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ هي «الغيبة الصغرىٰ»، والغيبة التي تليها هي «الغيبة الكبرىٰ» أو «الغيبة التامّة».

◘ كان الاتّصال بالإمام صاحب الزمانعليه السلام في أيّام «الغيبة الصغرىٰ» متيسّراً، عبر نوّابه الخاصّين.

◘ ينتفع المجتمع في عصر الغيبة الكبرىٰ للإمامعليه السلام ببركاته وأنوار هدايته الباطنيّة وولايته التكوينيّة.

# الفصل الثاني

## الفقهاء الحائزون على شروط القيادة

لم تتمهّد الأرضيّة لحكومة أوصياء النبيّ ﷺ مع تأكيداته المتكرّره. ويعود هذا الأمر لأسباب ليس هنا موضع ذكرها وتفصيلها. وحكم منهم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبيّ ﷺ بخمس وعشرين سنة، عندما بايعه الناس طائعين، ودامت حكومته أربع سنين وتسعة أشهر. ثمّ حكم بعده ولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قرابة ستّة أشهر. ومنذ ذلك التاريخ حتّى سنة ٢٦٠ هـ واستشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام وغيبة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه لم يكن زمام الحكم بأيديهم عليهم السلام. بل لقُوا ما لقُوا في حياتهم من المضايقات والشدائد والمِحن، واستشهدوا جميعهم على أيدي الحكّام الجائرين.

السؤال المصيريّ المهمّ هنا هو: ماذا فعل أوصياء النبيّ صلّى الله عليه وعليهم في ما يخصّ مسؤوليّة قيادة الأُمّة الإسلاميّة، بعد أن رأوا أنّ الأرضيّة الاجتماعيّة غير مساعدة لحكمهم؟

هل اعتزلوا الساحة السياسيّة اعتزالاً تامّاً وتخلّوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنضال ضدّ الجائرين حتّى تمهيد الأرضيّة لحكومة الإسلام العالميّة؟ وهل

تركوا الناس يعانون من الساسة الظالمين، وعكفوا على العبادة والقيام بالواجبات الفرديّة، وانشغلوا بالتعليم والتربية الأخلاقيّة، وهم عِدل القرآن والمسؤولون عن هداية الأُمّة وقيادتها، كما نصّ على ذلك رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى ؟!

لا ريب أنّ الإجابة عن هذه الأسئلة كلّها سلبيّة، فتاريخ حياة أوصياء رسول الله ﷺ يدلّ على أنّهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن السعي والنضال وتبصير الأُمّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منذ صلح الإمام الحسن عليه السلام حتّى غيبة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، كما شهد بذلك الإمام الهاديّ عليه السلام في الزيارة «الجامعة الكبيرة» وقال:

**«وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حقّ جهاده»**[١].

وأفضل دليل معبّر على إثبات نضال أوصياء رسول الله الجادّ لحكّام عصورهم الجائرين هو استشهادهم جميعاً في سبيل الله[٢] كما نقرأ ذلك في زيارتهم:

**«وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه»**[٣].

## خطّة النضال عند أهل البيت عليهم السلام

تدلّ الدراسة الدقيقة لسيرة أهل البيت عليهم السلام النضاليّة على أنّ خطّة نضالهم تتمثّل في هداية المسلمين وقيادتهم ـ لا مركزيّاً ـ عبر نيابة الفقهاء العامّة. ومع أنّهم كانوا يبذلون قصارىٰ جهودهم من أجل المحافظة على وحدة المجتمع الإسلاميّ وحفظ ظواهره لكنّهم كانوا يوصون أتباعهم سرّاً أن لا يقدّموا أيّ عونٍ ومساعدةٍ لأئمّة

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦١٢ / ٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ٦ / ٩٧ / ١٧٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٧٤ / ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٥٦ / ٩، كفاية الأثر: ١٦٢، بحار الأنوار: ٢٧ / ٢١٧ / ١٨، ميزان الحكمة: الباب ٢١٢٤، شهداء أهل البيت عليهم السلام.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦١٢ / ٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ٦ / ٩٧ / ١٧٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٧٤ / ١.

الجور وحكمهم غير الشرعيّ، وكانوا يحرّمون عليهم مراجعة دوائرهم الحكوميّة وأجهزتهم القضائيّة. وإذا ما أرادوا أن يأخذوا حقّهم الثابت في المسائل التي ينبغي أن تعالج عن طريق الحكومة فعليهم أن يراجعوا الفقهاء الحائزين على الشرائط. ومن الروايات التي تدلّ على ما نقول بوضوح رواية تعرف بـ«مقبولة عمر بن حنظلة».

قال عمر بن حنظلة ـ أحد أصحاب الإمام الصادقعليه السلام ـ: سألت أبا عبداللهعليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دَين أو ميراث فيتحاكمان إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ فقالعليه السلام:

**«من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطلٍ فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سُحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفروا به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[1].**

قلت: فكيف يصنعان؟ قال:

**ينظران الى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حَكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً. فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، فهو على حدّ الشرك بالله»[2].**

وقال أبو خديجة[سالم بن مكرم] ـ أحد ثقات الإمام الصادقعليه السلام ـ: بعثني أبو عبداللهعليه السلام إلى أصحابنا، فقال: قل لهم:

**«إيّاكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تداري في شيء من الأخذ والعطاء أن تتحاكموا الى أحد من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلاً ممّن قد عرف حلالنا**

---

(١) النساء: ٦٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ٦/٣٠١/٨٤٥، الكافي: ١/٦٧/١٠، الاحتجاج: ٢ / ٢٦٠ / ٢٣٢ بحار الأنوار: ٢ / ٢٢١.

**وحرامنا، فإنّي قد جعلته قاضياً. وإيّاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر»**[1].

بيّنت لنا هاتان الروايتان السياسة النضاليّة لأوصياء النبيّ ﷺ ضدّ الجائرين المتسلّطين على المجتمعات الإسلاميّة، وكذلك وضّحت موقف المسلمين الملتزمين الواعين من القيادة واختيار القائد حتّى ظهور الإمام المهديّ عجّل الله فرجه. ومن الضروريّ القيام بعملين أساسيّين من أجل إقامة حكومة الإسلام العالميّة، وهما:

### ١ ـ عدم الاعتراف بشرعيّة الحكومات الجائرة

إنّ إحدى السياسات المبدئيّة لأوصياء النبيّ ﷺ في ضوء تعاليمه هي الإعلان عن عدم شرعيّة الحكومات الجائرة. وكانوا من هذا المنطلق ينهون المسلمين عن التعاون مع الحكّام الظالمين. والنقطة المهمّة المؤكّدة في مقبولة عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة هي أنّ أفراد المجتمع الإسلاميّ لا ينبغي لهم الرجوع إلى الحكّام الجائرين لأخذ حقوقهم الثابتة القطعيّة. وإذا شاعت هذه الثقافة في المجتمع الإسلاميّ فإنّ الحكّام غير الكفوئين يُمسون في عُزلة، وتتمهّد الأرضيّة لإقصائهم ولبسط حكومة العدل الإلهيّ.

بيدَ أنّ المسألة المهمّة هنا هي القيام بعملٍ أساسيّ آخر، وهو التعريف بالفقهاء العدول لقيادة المجتمع تنفيذاً للسياسة المذكورة.

### ٢ ـ قيادة الفقهاء العدول

في ضوء ما تنبّأ به أئمّة أهل البيت عليهم السلام فإنّ سلطة الحكّام الجائرين على المجتمعات الإسلاميّة ستطول كثيراً، نتيجة لعدم مساعدة الظروف الاجتماعيّة على إقامة حكومة الإسلام العالميّة. من جانبٍ آخر لا يحقّ للمسلمين الملتزمين أن يتعاونوا معهم

---

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ٣٠٣ / ٨٤٦.

ويديروا شؤونهم عن طريق عملائهم. فما هو واجب أنصار الإسلام لضمان حاجاتهم الاجتماعيّة ولإعداد الأرضيّة لإقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة وهو الهدف الأهمّ؟

لقد أعلن الإمام الصادقعليه‌السلام بصراحة أنّ واجبهم هو الرجوع إلى الفقهاء الذين حازوا الشروط اللازمة. بعبارة أُخرى: عندما لا تساعد الظروف السياسيّة والاجتماعيّة على إقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة أوصياء النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله ـ سواءً في أيّام حضورهم[1] أم في أيّام غيبتهم ـ فإنّ الفقهاء المتوفّرة فيهم الشروط المطلوبة هم المسؤولون عن مرجعيّة الأُمّة الإسلاميّة وقيادتها، نيابةً عن أوصياء النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله. إنّهم مكلّفون بتمهيد الأرضيّة لعالميّة حكومة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، من خلال إقامة الحكومات التي تعتبر مقدّمة لتطبيق الأحكام الإلهيّة من جهة، ونواة مقاومة لتحرير المستضعفين وعالميّة الإسلام من جهة أُخرى.

قال القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه ـ في مبحث «ولاية الفقيه» ـ بشأن «مقبولة عمر بن حنظلة» بعد شيءٍ من التوضيح:

**«هذه الرواية من الواضحات، ولا وسوسة في سندها ودلالتها. ولا ريب أنّ الإمامعليه‌السلام نصب الفقهاء للحكومة والقضاء. وعلى عامّة المسلمين أن يطيعوا أمر الإمامعليه‌السلام»**[2].

وكان الفقيه العظيم سماحة آية الله البروجرديّ رضوان الله تعالى عليه يعتقد أنّ الروايات التي تدلّ على الولاية والمرجعيّة لاتنحصر برواية عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة، لكنّه أضاف أنّ هذه الروايات غير موجودة اليوم في كتب الحديث. وقام بتوضيح هذا الموضوع بعد ذكر مقدّمات حول حاجة المجتمع الإسلاميّ إلى القيادة، وأنّ الإسلام دين سياسيّ اجتماعيّ، وأكثر أحكامه تدور حول سياسة المدن وتنظيم

---

(١) كما في عصر إمامة الإمام الحسن المجتبىعليه‌السلام بعد صلحه مع معاوية، إلى عصر الإمام العسكريّعليه‌السلام.

(٢) ولاية الفقيه للإمام الخمينيّقدس‌سره: ص ٨١، مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني.

المجتمع، وأنّه غير منفصل عن السياسة، ولا يمكن أن يحتمل أحد أنّ الأئمّة نهوا أتباعهم عن الرجوع إلى الطواغيت وقضاتهم، في حين لم يعيّنوا لهم مرجعاً يدير شؤونهم، وقال بعد ذلك:

**نحن على يقين أنّ أصحاب الأئمةعليهم السلام سألوا أئمّتهم أن يرشدوهم إلى أحد في شؤون المجتمع الأساسيّة عندما يتعذّر عليهم الاتّصال بهم، فأجابوهم ونصبوا لهم أشخاصاً يرجعون إليهم. وصفوة القول إنّ تلك الأسئلة والأجوبة سقطت من كتب الحديث التي بأيدينا ولم يصل إلينا منها إلاّ رواية عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة[١].**

إنّ الباحثين المطّلعين على الظروف السياسيّة العصيبة التي رافقت إمامة أوصياء النبيّ ـ بعد صلح الإمام الحسنعليه السلام حتّى غيبة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه ـ يعلمون جيّداً كم كان خطراً نقل هذه الأحاديث التي لا تجرّد الحكومات الجائرة المعاصرة للأئمّة من الشرعيّة فحسب، بل كانت تُرسي دعائم حكومات سرّيّة لا مركزيّة في مقابل تلك الحكومات.

فحذفها من كتب الحديث أمر طبيعيّ قابل للتوجيه تماماً.

وممّا يدعم الروايات المذكورة توقيع صدر عن الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه، في جواب رسالة إسحاق بن يعقوب. فقد روى إسحاق أنّه سأل محمّد بن عثمان العمريّ أن يوصل له كتاباً قد سأل فيه عن مسائل أشكلت عليه، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمانعليه السلام:

**«... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم ...»[٢].**

---

(١) البدر الزاهر (تقريرات درس سماحته): ص ٥٦.

(٢) كمال الدين: ٤٨٤ / ٤.

قال الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه في توضيح هذا التوقيع الشريف:

**«القصد من (الحوادث الواقعة) الحوادث الاجتماعيّة والمشكلات التي كانت تطرأ على المسلمين. وعلى نحوٍ عامّ، سأل: لا سبيل لنا الآن إلى الاتّصال بك، فماذا نفعل في الحوادث الاجتماعيّة؟ وما هو واجبنا؟ أو أنّه ذكر حوادث، وسأل قائلاً: لمن نرجع فيها؟**

**إنّ الذي يبدو هو أنّه سأل بصورة عامّة وأجابه الإمامعليه السلام بما يقتضيه سؤاله أن يرجعوا في الحوادث والمشكلات إلى رواة أحاديثهم ـ أي: الفقهاء ـ فهم حججهعليه السلام على الناس وهو حجّة الله عليهم... (حجّة الله) هو الذي نصبه الله لإنجاز الأعمال. وجميع أقواله وأفعاله حجّة على المسلمين.**

**... فقهاء الإسلام حجّة الله على الناس هذا اليوم، كما كان رسول اللهصلى الله عليه وآله حجّة الله، وفوّضت إليه الأمور كلّها، وكلّ من كان يخالف تُقام عليه الحجّة.**

**والفقهاء حجّة على الناس من قِبل الإمامعليه السلام وقد فوّضت إليهم شؤون المسلمين كافّة. وكلّ من خالف في أمر الحكومة وتمشية أُمور المسلمين. وأخذ العائدات العامّة وصرفها فإنّ الله سبحانه سيحتجّ عليه»**[1].

يضاف إلى جميع ما ذكرناه أنّ كافّة الأحاديث التي عدّت قيادة الجائرين غير شرعيّة وحرّمت طاعتهم وكذلك كلّ الأحاديث التي عرّفت الفقهاء للناس على أنّهم ورثة الأنبياء وخلفاء النبيّصلى الله عليه وآله وأُمناء الله وأنبياؤه، وبيدهم مجاري الأُمور والأحكام[2] تذهب إلى أنّ المسلمين عندما لا يتسنّى لهم أن يدركوا النبيّ وأوصياءه صلوات الله عليهم أجمعين ـ لأيّ سبب كان ـ فإنّهم مكلّفون أن يقرّوا بزعامة الفقهاء

---

(١) ولاية الفقيه للإمام الخمينيّ قدس سره: ص ٦٩.

(٢) انظر شؤون الفقيه للملّا أحمد النراقيّ رحمه الله، ولاية الفقيه للإمام الخمينيّ قدس سره، دراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري.

الحائزين على شروط القيادة، ويرجعوا إليهم في الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

وجملة القول: لو لم يكن دليل إلّا إجماع أتباع أهل البيت عليهم السلام في كافّة العصور على نيابة الفقهاء عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام لكفىٰ به من أجل إثبات ما قلناه.

## نوّاب الإمام المهديّ عجّل الله فرجه بالتخصيص

استبان إلى هنا أنّ نيابة الفقهاء عن أوصياء النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لا تقتصر على عصر غيبة الإمام عليه السلام، بل هي في جميع العصور التي لا تتهيّأ فيها الظروف الاجتماعيّة لحكومة أوصياء النبيّ، وعند حضورهم يكون الفقهاء مراجع لأُمور وأحكام المناضلين والملتزمين بالإسلام بشكلٍ غير رسميّ. بيدَ أنّ إمام العصر عليه السلام اختار أربعة لنيابته الخاصّة، في بداية غيبته، منذ سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩ هـ، وهم:

١ ـ أبو عمر عثمان بن سعيد العمريّ.
٢ ـ أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد.
٣ ـ أبو القاسم الحسين بن روح.
٤ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمريّ.

إنّ أوّل سؤال يتبادر إلى الأذهان بشأن النيابة الخاصّة لإمام العصر عجّل الله فرجه هو: ما هي الحكمة من هذه النيابة؟ والسؤال الآخر: هل تلغى النيابة العامّة للفقهاء في عصر الأئمّة الآخرين مع النيابة الخاصّة لهؤلاء الأربعة؟ والسؤال الأخير: لماذا لم تستمرّ النيابة الخاصّة للإمام عليه السلام وانقطع اتّصال الناس به تماماً في سنة ٣٢٩ هـ؟

## الحكمة من النيابة الخاصّة

وقعت الولادة المباركة لإمام العصر[1] روحي فداه في أصعب الظروف التي مرّت

---

(١) في ضوء الرواية التي ذكرت أنّ الإمام عليه السلام ولد سنة ٢٦٠ هـ تمرّ الآن ١١٥٦ سنة على ولادته. ومن حسن

بها قيادة أوصياء النبيّ ﷺ. إذ ولد عليه السلام في وقتٍ كان الحكّام العبّاسيّون الجائرون يبذلون قصارىٰ جهودهم للحؤول دون ولادة ذلك الموعود الذي كان رسول الله ﷺ قد بشّر به، لبسط العدالة في العالم. لذلك اقتادوا جدّه وأباه إلى معسكر سامرّاء، ليكونا تحت رقابتهم المباشرة. من هنا كانت ولادته ـ كما تنبّأ الإمام الباقر عليه السلام ـ[1] سرّيّة، كولادة موسى عليه السلام، ولم يطّلع عليها إلّا المقرّبون جدّاً من الإمام العسكريّ عليه السلام. غاب عليه السلام عن الأنظار بعد استشهاد أبيه، وله من العمر أربع أو خمس سنين.

ولو قُطع اتّصاله بأتباع أهل البيت عليهم السلام في تلك الظروف تماماً لانفسح المجال لتأثير شكّ الخنّاسين والشياطين في ولادته. من هنا كان اتّصاله بالناس عن طريق نوّابه الخاصّين منذ سنة ٢٦٠ حتّى سنة ٣٢٩ هـ بمقتضى الحكمة وحكم الضرورة.

## انتهاء النيابة الخاصّة

كان آخر نائب للإمام عليه السلام هو عليّ بن محمّد السمريّ، وقد تسلّم رسالةً من الإمام قبل وفاته بستّة أيّام، وفيما يأتي نصّها:

**«بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمريّ، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاءِ الأرض جوراً، وسيأتي (من) شيعتي مَن يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانيّ**

---

⇐ الاتّفاق أنّي أكتب هذه السطور في وقت يحتفل فيه المسلمون الإيرانيّون بذكرى ميلاده (في النصف من شعبان سنة ١٤١٦ هـ) نأمل أن يحظىٰ هذا الكتاب بعنايته ورعايته، ويكون مؤثّراً ببركة دعائه في إعداد الأُمّة الإسلاميّة ذهنيّاً وعمليّاً، من أجل حكومة الإسلام العالميّة بقيادته عليه السلام.

(١) كمال الدين: ٣٢٧ / ٧.

**والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»**[١].

## استمرار النيابة العامّة في الغَيبة الصغرىٰ

لا ريب أنّ نيابة الفقهاء العامّة التي كان أئمّة أهل البيت قد أرسوا دعائمها قبل عصر إمامة الإمام المهديّ عليه السلام لمصالح سياسيّة واجتماعيّة ظلّت قائمة في أيّام النوّاب الأربعة. إذ أنّ الغاية من هذا النوع من النيابة هي الحاجات العلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة لأتباع أهل البيت عليهم السلام، وتعذّر اتّصالهم بأئمّتهم. وكانت هذه الغاية قائمة في فترة الغيبة الصغرىٰ ونيابة النوّاب الأربعة.

بعبارة أُخرى: عندما ينوب الفقهاء عن الإمام المعصوم في القيادة والمرجعيّة وهو حيّ ـ لظروف خاصّة ـ فإنّ نيابتهم ستستمرّ بطريق أولىٰ حين غيبته، إذا لم تتغيّر الظروف الاجتماعيّة.

إنّ نيابة النوّاب الأربعة لا تعني أنّهم كانوا مراجع رسميّين في جميع الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة لأتباع أهل البيت، بل كانت لها حكمتها الخاصّة، كما وضّحنا من قبل. من هنا فهي لا تتنافىٰ مع استمرار النيابة العامّة للفقهاء.

## الحكمة من انقطاع النيابة الخاصّة

يمكن أن يكون لانقطاع النيابة الخاصّة وعدم اتّصال الإمام عجّل الله فرجه بأتباعه بعد وفاة عليّ بن محمّد السمريّ سنة ٣٢٩ هـ حكمتان:

### أ ـ حكمة سياسيّة

مرّ بنا أنّ الأحاديث قد تنبّأت بطول عصر الغيبة الكبرىٰ للإمام عجّل الله فرجه. وفي هذا العصر تسلّط الاستبداد والاستكبار على العالم الإسلاميّ بشكلٍ

---

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٥ / ٣٦٥، كمال الدين: ٥١٦ / ٤٤.

مخيف قروناً من الزمان، وانعدمت حرّيّة الفكر والتعبير عن الرأي، وتقلّص نطاق التبصير ونشاط المتبصّرين كثيراً، وكلّ تحرّك يصبّ في تحكيم الإسلام يُقمَع بشدّة. في مثل هذه الظروف تؤدّي النيابة الخاصّة إلى تقييد قادة تلك الفترة، ومضاعفة الضغوط والمشكلات عليهم، ممّا يفضي إلى محقهم هم وأتباعهم لا محالة. من هنا دام هذا النوع من النيابة لمدّة قصيرة نسبيّاً اقتضتها الضرورة.

### ب ـ حكمة اجتماعيّة

إضافةً إلى الحكمة السياسيّة يمكن القول إنّ مصالح البناء الاجتماعيّ في عصر الغيبة التامّة تنسجم مع النيابة العامّة أكثر من غيرها. وفي المسيرة التكامليّة للتاريخ فإنّ الناس لم يوفّقوا ـ بعد إعراضهم عن حكم الأنبياء وأوصيائهم ـ في تجربتين خاسرتين في نظامي الحكم الاستبداديّ والديمقراطيّ. وعلى نحوٍ طبيعيّ فإنّ الناس بالتدريج بدأوا يُقبلون على الإيمان بالحكومة الإلهيّة والقيادة الربّانيّة.

وقد طوى المجتمع البشريّ في الحقيقة ثلاث مراحل في الحكم حتّى عصر حكم الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه هي: مرحلة الأنبياء وأوصيائهم، ومرحلة الاستبداد، ومرحلة الديمقراطيّة. وتنتهي نيابة الإمام عليه السلام بمرحلة التجربة الديمقراطيّة. ولمّا كان الناس لا يؤدّون دوراً في تعيين القائد أيّام النيابة الخاصّة فإنّ تأثير هذه النيابة سيكون أقلّ لتضاربها مع حاجات العصر. أمّا في النيابة العامّة فللناس دورهم في تعيين القائد بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ. من هنا يمكن أن تكون ـ في المرحلة التاريخيّة للتجربة الديمقراطيّة ـ أكثر فعّاليّة في هداية الناس، وتمهيد الأرض لحكومة الإسلام العالميّة.

## تجربة العصر الديمقراطيّ

ستثبت هذه التجربة للبشريّة أنّها غير قادرة على تحقيق الأهداف الإنسانيّة في

العالم، وعلى رأسها العدالة الاجتماعيّة.

بل إنّ الديمقراطيّة بلا دِين ما هي إلّا استبدادٍ جديد. وفي آخر المطاف ستدرك البشريّة أنّ الطريق الوحيد لسعادة الإنسان وتكامله المادّيّ والمعنويّ هو الرجوع إلى حكم الأنبياء بقيادة وارث الأنبياء والأوصياء جميعهم، وهو المهديّ الموعود عجّل الله فرجه. قال الإمام الباقر عليه السلام في هذا المجال:

**«دولتنا آخر الدُول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلّا يقولوا اذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء»**(١).

وجاء في رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

**«ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلّا وقد ولّوا على الناس حتّى لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل»**(٢).

## دور الناس في تعيين النوّاب العامّين للإمام

إذا تأمّلنا في الروايات التي تدلّ على ولاية الفقهاء ونيابتهم العامّة تبيّن لنا أنّ مدلولها لا يعني أنّ الناس عندما يتعذّر عليهم الاتّصال بأوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّهم يعيّنون جميع فقهاء منطقتهم أو مجتمعهم حكّاماً وقادةً، فتكون لهم ولاية على الناس بلا تعارضٍ بينهم. لأنّ هذا العمل سيؤدّي إلى الفوضى، وسيعني أنّ كلّ فقيه من الفقهاء ـ في الوقت الذي يخضع فيه لولاية فقيه آخر ـ تكون له ولاية عليه أيضاً. فالقصد منها هو أنّ للفقهاء الحائزين على الشروط صلاحيّة الحكومة والولاية، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم.

من هذا المنطلق، ينبغي أن نقول: أُنيط بالناس اختيار الحاكم، كما جاء في

---

(١) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ / ٤٩٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٢ / ٥٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤ / ٥٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٤٤ / ١١٩.

الروايات. أي: يجب عليهم اختيار حاكمهم ووليّهم في إطار الشروط والمواصفات التي وضعها الإسلام. أمّا كيف يحرز الناس الشروط اللازمة في الحاكم وكيف يعيّنونه؟ فهذا ما يتعلّق بهم أنفسهم. ومن البديهيّ أنّهم سيعيّنون قائدهم إمّا مباشرةً إذا استطاعوا، وإمّا عن طريق ممثّليهم. وبناءً على ما جاء في دستور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ـ المستلهم من الآراء المباركة لفقيه العصر والقائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه ـ فإنّ الشعب الإيرانيّ المسلم يستطيع ـ بعد أن اختار قيادة ذلك القائد التاريخيّ العظيم مباشرةً ـ أن ينتخب قائده عن طريق مجلس الخبراء. وفيما يأتي كلام الإمام ﷺ في هذا المجال:

**«إذا صوّت الشعب على الخبراء لينصبوا له مجتهداً عادلاً يقوده وقاموا بذلك فإنّه يحظىٰ برضا الشعب لا محالة، وحينئذٍ يصبح وليّ الشعب المنتخب، وحكمه نافذ»[1].**

من هنا لا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة قبل التصويت وبيعة الشعب أو ممثّليه، كما أنّ أحكامهم غير نافذة قبل ذلك. أمّا بعد التصويت فلهم الولاية على الناس، بما فيهم الفقهاء الحائزون على شروط القيادة. وعندئذٍ فهم نوّاب الإمام عجّل الله فرجه نيابةً عامّةً، ولا يجوز مخالفة أحكامهم الولائيّة. وكلّ مخالفة لهذه الأحكام تعدّ مخالفةً لإمام العصر عجّل الله فرجه، كما لاحظنا في «مقبولة عمر بن حنظلة».

---

(١) صحيفة النور: ٢١ / ١٢٩ في جوابه ﷺ عن رسالة آية الله المشكينيّ حول ملحق الدستور، بتاريخ ٢٢ رمضان سنة ١٤٠٩ هـ.

# الخلاصة

▣ كانت الأرضيّة الاجتماعيّة غير مساعدة لحكم أوصياء النبيّ بعد النبيّ ﷺ. وكانوا ـ على عكس الظروف العصيبة التي عاشتها قيادتهم ـ لم يتوانوا لحظة واحدة عن تبصير الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناضلة الحكّام الجائرين، واستشهدوا جميعهم على هذا الطريق.

▣ جسّدت القيادة اللامركزيّة للعالم الإسلاميّ ـ عبر النيابة العامّة للفقهاء ـ خطّة النضال عند أهل البيت عليهم السلام، في عصورٍ تعذّرت فيها قيادتهم بصورة غير مباشرة.

▣ قام أوصياء النبيّ ﷺ بعملين أساسيّين في حقل التمهيد لحكومة الإسلام العالميّة، هما:

أ ـ تجريد الحكومات الجائرة من الصفة الشرعيّة، وتحريم كلّ نوع من التعاون معهم، بما في ذلك مراجعتهم لأخذ حقّهم.

ب ـ الإعلان عن مرجعيّة الفقهاء العدول وحاكميّتهم.

▣ اختار الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه أربعةً لنيابته الخاصّة، اعتباراً من سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ. وهم بالترتيب: عثمان بن سعيد، ومحمّد بن عثمان، والحسين بن روح، وعليّ بن محمّد السمريّ.

▣ ليست الغاية من النيابة الخاصّة القيادة المركزيّة للعالم الإسلاميّ عن طريق النوّاب الأربعة، بل الغاية هي الوقاية من تأثير وسوسة الخنّاسين وتشكيكهم في الولادة السرّيّة للإمام عليه السلام.

▣ استمرّت النيابة العامّة للفقهاء ـ التي كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد أرسوا دعائمها

قبل عصر الإمام المهديّ‌ؑ لمصالح سياسيّة واجتماعيّة - في عصر النيابة الخاصّة أيضاً.

▣ يمكن أن يكون لانقطاع النيابة الخاصّة حكمتان:

أ - القيود والمشكلات المختلفة التي كانت تولّدها هذه النيابة لقيادة أتباع أهل البيتؑ خلال عصر الغيبة الطويل.

ب - معاكسة استمرار النيابة الخاصّة لحاجات عصر التجربة الديمقراطيّة.

▣ لا تشير أدلّة ولاية الفقيه إلى الولاية الفعليّة لجميع الفقهاء بلا تعارض، لأنّ هذا الأمر يُفضي إلى الفوضىٰ ويستلزم أن تكون لكلّ فقيه ولاية على غيره من الفقهاء، في حين هو خاضع لولاية فقيه آخر أيضاً.

▣ مدلول أدلّة ولاية الفقيه هو أنّ للفقهاء الحائزين الشروط صلاحيّة الحكومة والولاية، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم.

▣ لا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة، ولا نفوذ لأحكامهم قبل تصويت الشعب وبيعة الناس أو ممثّليهم إيّاهم.

▣ إذا بايع الناس الفقيه الجامع لشروط القيادة فله الولاية شرعاً عليهم وعلى سائر الفقهاء الحائزين على الشروط، ولا يجوز مخالفة أحكامه الولائيّة.

# الفهارس

# فهرس الآيات

## سورة الفاتحة



## سورة البقـرة

| الآيـة | رقمها | الصفحـة |
|---|---|---|
| **سورة الأنعـام** | | |
| قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ | ٣٣ | ٢٨١ |
| وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا | ٣٤ | ٢٨١ |
| إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ | ٥٧ | ٣٩ |
| وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ | ١١٦ | ٣٢٩ |
| أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ | ١٢٢ | ١٠٩ |
| **سورة الأعراف** | | |
| قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ | ٣٣ | ١٢٠ |
| **سورة الأنفال** | | |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُم فُرقَاناً | ٢٩ | ٧٥ |
| **سورة التوبة** | | |
| قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ | ٥٢ | ٢٦٨ |
| وَالمُؤمِنونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ | ٧١ | ٣٥٦ ،٥٨ |
| وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمؤمِنُون | ١٠٥ | ٨٤ |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين | ١١٩ | ٢٩٤ |
| **سورة يونس** | | |
| بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ | ٣٩ | ٣٦١ |

| الآيـة | رقمها | الصفحـة |
| --- | --- | --- |

## سورة هـود



## سورة الرعـد



## سورة إبراهيم



## سورة الحِجْر



## سورة النحل

# فهرس الأحاديث

| الحديث | الصفحة |
| --- | --- |

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| إنّما أنا لكم مثل الوالد، أُعلّمكم | ١٠١ |
| إنّما بدءُ وقوع الفتن أهواء تُتّبع وأحكام تُبتدع | ٢٤٣ |
| إنّما عنىٰ بهذا: إذا سَمِعتم الرجل الذي يجحد الحقّ | ٣٦٤ |
| إنّ مِن أسخفِ حالات الولاةِ عند صالح الناس | ٣٥٥ |
| إنّه كان من علماء آل محمّدﷺ غضب لله عزّوجلّ | ١٧١ |
| أنّه لو لم يجعل لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً | ٤٥ |
| إنّه ليس من أحدٍ يدعو الى أن يخرج الدجّال | ١٦١ |
| إنّي أُعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألّفهم | ٢٣٦ |
| إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي | ١٣٦ |
| أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه | ١٨١ |
| إنّي لأُعطي الرجلَ وغيرُه أحبّ إليَّ منه | ٢٣٥ |
| إنّي والله لو لَقِيتُهُم واحداً وهم طِلاع الأرض | ٢٩٣ |
| أُولئك عجّلت لهم طيّباتهم وهي وشيكة الانقطاع | ٢٥٥ |
| أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه | ٣٠٧ |
| إيّاكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ | ٤٠٧ |
| أيمّا والٍ ولي الأمر من بعدي أُقيم على حدّ الصراط | ٢٤٠ |
| إي والّذي بعثني بالنبوّة، إنّهم يستضيؤون بنوره | ٣٩٩ |
| أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ | ١١٣ |
| أيّها الناس، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه | ١٩٣ |
| أيّها الناس، شقُّوا أمواج الفِتَن بِسُفُنِ النجاة | ٢١٨ |

## حرف الباء

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| بالتوسّم والتفرّس، أما سمعت قول الله عزّوجلّ | ٢٢٩ |
| بحُسن التوكّل يُستدلّ على حُسن الإيقان | ٢٨٥ |
| بسم الله الرحمٰن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمري | ٤١٣ |

| الحديث | الصفحة |
|---|---|

حرف الخاء



حرف الدال



حرف الراء



حرف الزاء



حرف السين

| الحديث | الصفحة |
|---|---|

## حرف الشين



## حرف الصاد



## حرف الطاء



## حرف الظاء



## حرف العين

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم | ١٣٨ |
| فما تدرون ما يقول هؤلاء؟ يقولون: لا إمارة | ٤١ |

## حرف القاف

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلّا همّاً | ٣٠٢ |
| قَدْرَ الرّجُلِ على قَدْرِ هِمّته | ٢٧٢ |
| قد رضيت أن تكون لي أُسوة بك | ٣٦٧ |
| قلّما ينصفُ اللسان في نشر قبيحٍ أو إحسان | ٣٦٢ |
| قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ٣٥٧ |
| قوم يزعمون أنّي إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام | ١٥٣ |

## حرف الكاف

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| كان رسول الله ﷺ المتوسّم وأنا من بعده | ٢٢٩ |
| كان عقله لا يُوازَىٰ بِهِ العقول، وربّما شاور الأَسْودَ مِنْ سُودانِهِ | ٣١٨ |
| كان لي فيما مَضَىٰ أخٌ في الله، وكان يُعْظِمُهُ في عيني | ٥٩ |
| كأنّي بقومٍ قد خرجوا بالمشرق يطلُبون الحقّ فلا يُعطَونه | ١٧٢ |
| كذبت، لا والله ما تُحبّني ولا أُحبّك | ٢٢٨ |
| الكرم نتيجة علوّ الهِمّة | ٢٧٢ |
| كُلُّ إمامٍ هادٍ لِكلِّ قومٍ في زمَانِهِم | ١١٥ |
| كُلُّ إمامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهم | ١١٥ |
| كلّا، والذي نفسي بيده لا يموت | ١٦٥ |
| كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت | ١٥٨ |
| كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته | ٣٤٦ |

| الحديث | |
|---|---|

| الحديث | الصفحة |
|---|---|

## حرف النون



## حرف الهاء



## حرف الواو

| الحديث | الصفحة |
| --- | --- |


## حرف الياء

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| [illegible] على يقينٍ مِنْ ولايتنا أهلَ البيت | ١٠٦ |
| يحتاج الإمام إلى قلبٍ عَقول، واسانٍ قَؤول | ٢٠٣ |
| الإمام إلى قلبٍ عَقول، ولسانٍ قَؤول | ٢٩٢ |
| يخرج ناسٌ من المشرق فيوطّئون للمهدي | ١٧٢ |
| يعمل المؤمن، ويملي للفاجر، ويبلّغ الله الأجل | ٤١ |
| علي والنبي ﷺ والأئمة من بعده هم الأصل الثابت | ١١٩ |
| اليقين يثمر الزهد | ٢٩٠ |
| يكون بعدي اثنا عشر أميراً | ٣٩٢ |
| يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي | ١٤١ |

# فهرس الأعلام

# فهرس الجماعات والقبائل

# فهرس الأماكن والبلدان

# فهرس الفرق والمذاهب

# فهرس الغزوات والوقائع والأيّام

# فهرس المنابع والمآخذ




١ ـ **إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين**، لأبي الفيض محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ. ق)، دار الفكر ـ بيروت.

٢ ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**. لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (ت ٦٢٠ هـ. ق) تحقيق: إبراهيم البهادري ومحمّد هادي به، دار الأُسوة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٤١٣ هـ. ق.

٣ ـ **الاختصاص**. المنسوب إلى أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ. ق.

٤ ـ **اخلاق مديريت دراسلام**، للمؤلّف، منشورات دارالحديث الثقافيّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٧٥ هـ. ش.

٥ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**. لأبي عبدالله محمّدبن محمّدبن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٣ هـ. ق.

٦ ـ **إرشاد القلوب**، أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي (ت ٧١١ هـ. ق)، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٣ هـ. ق.

٧ ـ **اسلام شناسى**، للدكتور علي شريعتي (معاصر)، مطبعة طوس ـ مشهد.

٨ ـ **اصطلاحات الأُصول**، آية الله المشكيني (معاصر)، منشورات الهادي ـ قم.

٩ ـ **أعلام الدين في صفات المؤمنين**، لأبي محمّد الحسن بن أبي الحسن الديلميّ (ت ٧١١ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الثانيّة ١٤١٤ هـ. ق.

١٠ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى**، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، دارالمعرفة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٩ هـ. ق.

١١ ـ **أمالي الصدوق**. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ ق.

١٢ ـ **أمالي الطوسي**. لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ. ق)، تحقيق: مؤسّسة البعثة، دار الثقافة ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ ق.

١٣ ـ **أمالي المفيد**، لأبي عبدالله محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ. ق)، تحقيق: حسين أُستاد وليّ وعلي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قمّ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ. ق.

١٤ ـ **امامت ورهبرى**، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨ هـ. ش)، منشورات صدرا ـ قم، الطبعة العاشرة ١٣٧٢ هـ. ش.

١٥ ـ **الإمامة والتبصرة من الحيرة**، لأبي الحسن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (ت ٣٢٩ هـ. ق)، تحقيق: محمّد رضا الحسينيّ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧ هـ. ق.

١٦ ـ **امت وامامت**

١٧ ـ **أهل البيت في الكتاب والسنّة**، للمؤلّف، منشورات دار الحديث الثقافيّة ـ طهران، الطبعة الأُولىٰ ١٣٧٥ هـ. ش.

## حرف الباء

١٨ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام**. للعلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (ت ١١١٠ هـ. ق)، مؤسّسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ. ق.

١٩ ـ **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ. ق)، تحقيق ونشر: مكتبة المعارف ـ بيروت.

٢٠ ـ **البدر الزاهر**

٢١ ـ **برگزيده افكار راسل**

٢٢ ـ **بصائر الدرجات**. لأبي جعفر محمّد بن الحسن الصفّار القمّي المعروف بابن فروخ (ت ٢٩٠هـ. ق)، مكتبة آية الله المرعشي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٤هـ. ق.

٢٣ ـ **البلد الأمين**، لتقيّ الدين إبراهيم بن زين الدين الحارثيّ الهمدانيّ المعروف بالكفعميّ (ت ٩٠٥هـ. ق).

## حرف التاء

٢٤ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**. للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ. ق)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ. ق.

□ **تاريخ الأُمم والملوك** = تاريخ الطبريّ.

٢٥ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ. ق)، المكتبة السلفيّة ـ المدينة المنوّرة.

٢٦ ـ **تاريخ دمشق** (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام)، لأبي القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ. ق)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة المحمودي ـ بيروت.

٢٧ ـ **تاريخ دمشق** (ترجمة الإمام علي عليه السلام)، لأبي القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ. ق)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، دار التعارف ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٥هـ. ق.

٢٨ ـ **تاريخ الطبريّ**، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ. ق)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ بيروت.

٢٩ ـ **تاريخ المدينة المنوّرة**، لأبي زيد عمر بن شبّه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ. ق)، تحقيق: فهيم محمّد شلتوت، دار التراث ـ بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٠هـق.

٣٠ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**ﷺ. لأبي محمّد الحسن بن عليّ الحرّاني المعروف بابن شعبة(ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسةالنشر الإسلامي ـ قم، الطبعةالثانية ١٤٠٤هـ. ق.

٣١ ـ **تذكرة الخواصّ** (تذكرة خواصّ الأُمّة) ، ليوسف بن قُرغليّ بن عبدالله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ. ق) ، تقديم : السيّد محمّد صادق بحر العلوم ، مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران .

٣٢ ـ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**. لعبدالعظيم بن عبد القوي المنذري الشامي (ت ٦٥٦ هـق)، تحقيق: مصطفى محمّد عمارة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ. ق.

٣٣ ـ **تعميم امامت** ، بني صدر ، معاصر .

٣٤ ـ **تفسير ابن كثير** ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصرويّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ. ق) ، تحقيق : عبدالعظيم غنيم ومحمّد أحمد عاشور ومحمّد إبراهيم البنّا، دار الشعب ـ القاهرة .

٣٥ ـ **تفسير الطبريّ** (جامع البيان في تفسير القرآن) ، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ ق)، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ. ق.

٣٦ ـ **تفسير العيّاشي**. لأبي النضر محمّدبن مسعود السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي (ت ٣٢٠ هـ. ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٨٠ هـ ق.

٣٧ ـ **تفسير الفخر الرازيّ** (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ، لأبي عبدالله محمّد بن عمر المعروف بفخر الرازيّ (ت ٦٠٤ هـق) ، دارالفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ. ق .

□ **تفسير القرآن العظيم** = تفسير ابن كثير .

٣٨ ـ **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول** (تفسير ابن أبي حاتم الرازي) ، لعبدالرحمن بن محمّد بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ. ق)، تحقيق: أحمد عبدالله عمّار زهراني، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة.

٣٩ ـ **تفسير القرآن الكريم** ، للسيّد مصطفى الخميني ، (ت ١٣٥٦ هـ. ش) ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلاميّة ـ طهران.

٤٠ ـ **تفسير القمّي**. لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي (ت ٣٠٧هـ ق)، إعداد: السيّد الطيّب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف.

٤١ ـ **تفسير الكشاف** (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ. ق)، دار الكتاب العربي ـ بيروت

٤٢ ـ **تفسير كنزالدقائق وبحر الغرائب**، لمحمّد بن محمّد رضا المشهدي(ت ١١٢٥هـ. ق)، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، مؤسّسةالنشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧هـ. ق.

٤٣ ـ **تفسير مجمع البيان**. لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ. ق.

٤٤ ـ **تفسير نورالثقلين**. للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المطبعة العلمية ـ قم.

٤٥ ـ **تفسير نمونه**، جمع من العلماء تحت إشراف آية الله مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلامية ـ قم.

٤٦ ـ **التهذيب** (تهذيب الأحكام في شرح المقنعة)، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ ق)، دارالتعارف ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠١هـ. ق.

حرف الجيم

٤٧ ـ **جاذبه ودافعه علي**ؑ، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨هـ. ش)، منشورات صدرا ـ قم.

٤٨ ـ **جامع الأحاديث**. لأبي محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ القمّي المعروف بابن الرازي (القرن الرابع هـ ق)، تحقيق: السيّد محمّد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ. ق.

٤٩ ـ **جامع الأخبار أو معارج اليقين في أُصول الدين**، لمحمّد بن محمّد الشعيريّ السبزواريّ (القرن السابع هـ. ق) تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيتؑ ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ. ق.

٥٠ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١ هـ. ق)، دارالفكر ـ بيروت.

٥١ ـ **الجراميزالقوائم**

٥٢ ـ **الجعفريّات أو الأشعثيّات**. لأبي الحسن محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي (القرن الرابع هـ. ق)، مكتبة نينوى ـ طهران، طُبع في ضمن قرب الإسناد.

٥٣ ـ **جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام**، للشيخ محمّد حسن النجفي(ت ١٢٦٦ هـ. ق)، مؤسّسةالمرتضى العالميّة ـ بيروت، الطبعةالأُولى ١٤١٢ هـ.ق.

حرف الحاء

٥٤ ـ **حكومت در اسلام**

٥٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نُعيم أحمد بن عبدالله الإصبهانيّ(ت ٤٣٠ هـ.ق)، دارالكتاب العربيّ ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

حرف الخاء

٥٦ ـ **الخرائج والجرائح**. لأبي الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي(ت ٥٧٣ هـ ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة الإمام المهديّ‏ـ قم، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٩ هـ. ق.

٥٧ ـ **خصائص الأئمّة**. لأبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ. ق)، تحقيق: محمّد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٦ هـ. ق.

٥٨ ـ **خصائص الإمام أميرالمؤمنين**، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ (ت ٣٠٣ هـ. ق)، إعداد: محمّد باقر المحموديّ، الطبعة الأُولى ١٤٠٣ هـ. ق.

٥٩ ـ **الخصال**. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق(ت ٣٨١ هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هـ ق.

٦٠ ـ **خلافت وولايت از نظر قرآن وسنّت**، محمّد تقي الشريعتي (ت ١٣٦٦هـ. ش)، حسينية الإرشاد ـ طهران، الطبعة الثانيّة ١٣٥١هـ. ش.

٦١ ـ **الخلافة والامامة**،

٦٢ ـ **خمسون ومائة صحابي مختلق**، للعلامّة السيّد مرتضى العسكري، معاصر، دار الزهراء ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٢هـ. ق.

## حرف الدال

٦٣ ـ **دراسات في ولاية الفقيه**، للشيخ محمّد المنتظري، معاصر، المركز العالمي للدراسات الإسلاميّة.

٦٤ ـ **الدُرّ المنثور في التفسير المأثور**. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ. ق)، دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ ق.

٦٥ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام**. لأبي حنيفة النعمان ابن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ ق)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دارالمعارف ـ مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ ق.

٦٦ ـ **دلائل الصدق**، للشيخ محمّد حسن المظفّر (ت ١٣٠١هـ. ق)، دارالعلم ـ القاهرة، الطبعة الأُولىٰ ١٣٩٦هـ. ق.

٦٧ ـ **ديوان الإمام علي**ﷺ، المنسوب إلى الإمام عليّﷺ، تحقيق: محمّد بن الحسين الكيدري (ت القرن السادس هـ. ق)، منشورات الأُسوة ـ طهران، الطبعة الأُولىٰ ١٣٧٣هـ. ش.

## حرف الراء

٦٨ ـ **روضة الواعظين**، لمحمّد بن الحسن بن عليّ الفتّال النيسابوريّ (ت ٥٠٨هـ. ق)، تحقيق: حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٦هـ. ق.

## حرف السين

٦٩ ـ **سعد السعود**، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحلّي (ت ٦٦٤هـ. ق)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأُولىٰ ١٣٦٣ ش.

٧٠ ـ **سفينة البحار**، للشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٩هـ. ق)، دار المرتضى ـ بيروت.

٧١ ـ **سنن ابن ماجة**. لأبي عبدالله محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت ٢٧٥ هـ ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، دارإحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٥ هـ ق.

٧٢ ـ **سنن أبي داود**. لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ ق)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنّة النبويّة.

٧٣ ـ **سنن الترمذي** (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (ت ٢٧٩هـ. ق)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٤ ـ **السنن الكبرى**. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ ق)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ ق.

٧٥ ـ **سنن النسائي** (بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي)، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ ق)، دارالمعرفة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ق.

٧٦ ـ **سيرة ابن هشام** (السيرة النبويّة)، لأبي محمّد عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري (ت ٢١٨هـ. ق)، تحقيق: مصطفى السقّا وإبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى ـ قم، الطبعة الأُولى ١٣٥٥هـ ق.

٧٧ ـ **السيرة الحلبية**، لعليّ بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤هـ. ق)، شرح: السيّد أحمد زيني دحلان، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٨ ـ **سيرى درنهج البلاغه**، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨هـ. ش)، منشورات صدرا ـ قم، الطبعة التاسعة ١٣٧٢ هـ. ش.

## حرف الشين

٧٩ ـ **شرح المقاصد**، لسعد الدين مسعودبن عمر التفتازاني(ت ٦٩٢هـ. ق)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأُولىٰ ١٣٧٠هـ. ش.

٨٠ ـ **شرح نهج البلاغة**. لعزّ الدين عبدالحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ ق)، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دارإحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

٨١ ـ **شرح نهج البلاغة**، لكمال الدّين ميثم بن عليّ البحرانيّ المعروف بابن ميثم(ت ٦٧٩هـ. ق)، تصحيح: عدّة من الفضلاء، دارالعلم الإسلاميّ ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ. ق .

٨٢ ـ **شعب الإيمان**. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ ق)، تحقيق: أبوهاجر محمّد السعيد ابن بسيوني زغلول، دارالكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ ق.

٨٣ ـ **شهداء أهل البيت**

٨٤ ـ **شيعه در اسلام** ، للعلامّة محمّد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠هـ. ش) ، مجمع العلامّة الطباطبائي العلمي ـ قم ، الطبعة الثامنة ١٣٦٠هـ. ش.

٨٥ ـ **الشيعة في الإسلام**

٨٦ ـ **شؤون فقهيه** ،

حرف الصاد

٨٧ ـ **صحيح البخاري**. لأبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ ق)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ـ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ ق.

٨٨ ـ **صحيح مسلم**. لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، دارالحديث ـ القاهرة، الطبعة الأُولى ١٤١٢هـ ق.

٨٩ ـ **صحيفهٔ نور** ، مجموعة كلمات الإمام الخميني﵀ (ت ١٣٦٨هـ. ش) ، منشورات آثار الإمام الخميني﵀ .

٩٠ ـ **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم** ، لأبي محمّد عليّ بن محمّد النباطي البياضي ، (ت ٨٧٧هـ. ق) ، تحقيق : محمّد باقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية ـ طهران.

٩١ ـ **صفات الشيعة** ، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ. ق) ، تحقيق و نشر : مؤسّسة الإمام المهديّ﵇ ـ قمّ، الطبعة الأُولى ١٣١٠هـ. ق .

حرف الطاء

٩٢ ـ **الطبقات الكبرىٰ**. لمحمّد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ ق)، دارصادر ـ بيروت.

٩٣ ـ **الطبّ**، لابنا بسطام النيسابوريين(معاصر)، مطبعة محمّد علي فردين ـ طهران.

٩٤ ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحلّي، (ت ٦٦٤هـ. ق)، مطبعة خيّام ـ قم.

حرف العين

٩٥ ـ **عدل در جهان بينى توحيدى**، للمؤلّف، مركز الإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الحادية عشر ١٣٧٤هـ. ش.

٩٦ ـ **علل الشرايع**، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ. ق)، دارإحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ. ق.

٩٧ ـ **عيون أخبار الرضا**عليه السلام. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ ق)، تحقيق: السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، منشورات جهان ـ طهران.

حرف الغين

٩٨ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**، للعلّامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأمينيّ (ت ١٣٩٠هـ. ق)، دار الكتاب العربيّ ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ. ق.

٩٩ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**، لعبدالواحد الآمديّ التميميّ (ت ٥٥٠هـ. ق)، تحقيق: مير سيّد جلال الدين المحدّث الأرمويّ، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠هـش.

١٠٠ ـ **الغيبة**. لأبي جعفر محمّدبن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـق)، تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، مؤسّسة المعارف الإسلامية ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ ق.

١٠١ ـ **الغيبة**. لأبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني (ت ٣٥٠هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مكتبة الصدوق ـ طهران.

حرف الفاء

١٠٢ ـ **فتح الأبواب**، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحلّي (ت ٦٦٤هـ. ق)، تحقيق: حامدالخفّاف، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٩هـ. ق.

١٠٣ ـ **فرهنگ معين**، للدكتور محمّد معين (معاصر)، مؤسّسة أمير كبير ـ طهران، الطبعة الثامنة ١٣٧١ هـ. ش.

١٠٤ ـ **فضائل الصحابة**، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ. ق)، تحقيق: فاروق حمّادة، دار الثقافة ـ بيروت.

١٠٥ ـ **فضائل الصحابة من فتح الباري**، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ. ق)، دار الكتاب العالمي ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٩٩٠ م.

١٠٦ ـ **الفقيه** (من لايحضره الفقيه)، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم.

١٠٧ ـ **فلسفة الوحي والنبوّة**، للمؤلّف، منشورات دارالحديث الثقافيّة ـ طهران، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٨ هـ. ق.

## حرف القاف

١٠٨ ـ **قصص الأنبياء**. لأبي الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ. ق)، تحقيق: غلامرضا عرفانيان، الحضرة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ. ق.

## حرف الكاف

١٠٩ ـ **الكافي**، لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، دارالكتب الإسلامية ـ طهران، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ. ق.

١١٠ ـ **الكامل في التاريخ**. لأبي الحسن عليّ بن محمّد الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ. ق)، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ هـ. ق.

١١١ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**. لعليّ بن عيسى الإربلي (ت ٦٨٧هـ ق)، تصحيح: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، دارالكتاب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠١هـ ق.

١١٢ ـ **كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين**عليه السلام ، لأبي منصور الحسن بن يوسف الحليّ، (ت ٧٢٦ هـ. ق)، تحقيق : حسين الدرگاهي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ. ق.

١١٣ ـ **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**عليه السلام ، لأبي عبدالله محمّد بن يوسف الكُنجي (ت ٦٥٨ ، هـ. ق)، تحقيق : محمّد هادي الأميني، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ. ق.

١١٤ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٥هـ. ق.

١١٥ ـ **كنزالعمّال في سنن الأقوال والأفعال**. لعلاء الدين عليّ المتّقي ابن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ. ق)، تصحيح: صفوة السقّا، مكتبةالتراث الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٧هـ ق.

١١٦ ـ **كنز الفوائد**. لأبي الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي الطرابلسي(ت ٤٤٩ هـ. ق)، إعداد: عبدالله نعمة، دارالذخائر ـ قم، الطبعةالأُولى ١٤١٠هـ. ق.

## حرف اللام

١١٧ ـ **لسان العرب**. لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ ق)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ ق.

١١٨ ـ **لغتنامه دهخدا**

## حرف الميم

١١٩ ـ **مبانى خدا شناسى**، للمؤلّف، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٣٦٩هـ. ش.

١٢٠ ـ **مباني شناخت**، للمؤلّف، مركزالإعلام الإسلامي ـ قم، الطبعةالرابعة ١٣٧٢هـ.ش.

١٢١ ـ **مجمع البحرين**، لفخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ ق)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ـ طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.

١٢٢ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ ق)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.

١٢٣ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ ق)، تحقيق: عبدالله محمّد درويش، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٢هـ ق.

١٢٤ ـ **المحاسن**. لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠ هـ ق)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ ق.

١٢٥ ـ **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**، للمولى محسن بن المرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ. ق)، تصحيح: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم.

١٢٦ ـ **مختصر بصائر الدرجات**، للحسن بن سليمان الحلّيّ (القرن التاسع)، انتشارات الرسول المصطفى ـ قم.

١٢٧ ـ **المذاهب الإسلامية**

١٢٨ ـ **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ. ق)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ. ق.

١٢٩ ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، للحسين بن محمّد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ.ق)، تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٨هـ.ق.

□ **مستطرفات السرائر** = النوادر.

١٣٠ ـ **مستطرفات السرائر**، لأبي جعفر محمد بن منصور الحلّي (ت ٥٩٨ هـ. ق).

١٣١ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**. لسليمان بن داود الجارود البصري المعروف بأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ ق)، دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٢ ـ **مسند أحمد**. لأحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ ق)، تحقيق: عبدالله محمّد الدرويش، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ق.

١٣٣ ـ **مسند فردوس الأخبار**، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩ هـ. ق)، تحقيق: نواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٧ هـ. ق.

١٣٤ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، لأبي الفضل عليّ بن الحسن الطبرسي (القرن السابع هـ.ق)، دار الكتب الإسلامي ـ طهران.

١٣٥ ـ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**. لعبدالزهراء الحسيني الخطيب (ت ١٣٨٦ هـ. ق)، دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ. ق.

١٣٦ ـ **مصباح الكفعمي**، لتقي الدين إبراهيم بن زين الدين الحارثي المعروف بالكفعمي (ت ٩٠٥ هـ. ق)، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

١٣٧ ـ **مصباح المتهجّد**. لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ.ق)، تحقيق: علي أصغر مرواريد، مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١ هـ ق.

١٣٨ ـ **المصنّف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة العبسيّ الكوفيّ (ت ٢٣٥ هـ. ق)، تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دار الفكر ـ بيروت.

١٣٩ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**. لكمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٤ هـ. ق)، النسخة المخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي ـ قم.

١٤٠ ـ **معاني الأخبار**. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٣٦١ هـ ش.

١٤١ ـ **المعجم الأوسط**. لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ ق)، تحقيق: أبو معاذ وإبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ الرياض، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هـ ق.

١٤٢ ـ **المعجم الكبير**. لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ ق)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ. ق.

١٤٣ ـ **المغازي للواقدي**، لمحمّد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ. ق)، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ. ق.

١٤٤ ـ **مفاتيح الجنان**، للشيخ عباس القميّ (ت ١٣٥٩ هـ. ق)، منشورات الأُسوة ـ طهران.

١٤٥ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ.ق)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ. ق.

١٤٦ ـ **مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين**

١٤٧ ـ **مكارم الأخلاق**. لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ ق)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ ق.

١٤٨ ـ **مكتب تشيّع**

١٤٩ ـ **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر**عليه السلام، لأبي القاسم عليّ بن طاووس الحلّي (ت ٦٦٤ هـ. ق)، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ. ق.

١٥٠ ـ **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ. ق)، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأُولىٰ ١٤٠٦ هـ. ق.

١٥١ ـ **الملل والنحل**، للشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، مركز مديرية الحوزة العلميّة ـ قم، الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ. ش.

١٥٢ ـ **مناقب آل أبي طالب** (مناقب ابن شهرآشوب)، لأبي جعفر رشيد الدين محمّد ابن عليّ بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ. ق)، المطبعة العلمية ـ قم.

١٥٣ ـ **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ. ق)، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ. ق.

١٥٤ ـ **مناقب الإمام علي**عليه السلام، لأبي الحسن عليّ بن محمّد الجلالي المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ. ق)، تحقيق: محمّد جواد المرعشي النجفي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم.

١٥٥ ـ **المناقب لابن المغازليّ**، لأبي الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد الواسطيّ الشافعيّ المعروف بابن المغازليّ (ت ٤٨٣ هـ. ق)، إعداد: محمّد باقر البهبوديّ، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ. ق.

١٥٦ ـ **المناقب للخوارزمي**، لأبي المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ.ق)، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ. ق.

١٥٧ ـ **موسوعة الفِرق الإسلاميّة**

١٥٨ ـ **مهج الدعوات و منهج العبادات**. لأبي القاسم عليّ بن موسى الحلّي المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ. ق)، دار الذخائر ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١١ هـ. ق.

١٥٩ ـ **ميزان الحكمة**، للمؤلّف، منشورات دار الحديث الثقافيّة ـ طهران.

١٦٠ ـ **الميزان في تفسير القرآن**. للعلّامة محمّد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ. ق)، إسماعيليان ـ قم، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ق.

## حرف النون

١٦١ ـ **نزهة الناظر وتنبيه الخواطر**، للحسين بن محمّد الحلواني (القرن الخامس هـ ق)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٨ هـ. ق.

١٦٢ ـ **نوادر الراونديّ**، لفضل الله بن عليّ الحسينيّ الراونديّ (ت ٥٧٣ هـ. ق)، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى ١٣٧٠ هـ. ق.

١٦٣ ـ **نهج البلاغة**، ما اختاره أبو الحسن الشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ت ٤٠٦ هـ ق)، تحقيق: السيّد كاظم المحمّدي ومحمّد الدشتي، انتشارات الإمام علي عليه السلام ـ قم، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ. ش.

١٦٤ ـ **نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة**، لمحمّد باقر المحمودي، معاصر، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

## حرف الواو

١٦٥ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هـ ق.

١٦٦ ـ **ولاية الفقيه**

## حرف الياء

١٦٧ ـ **ينابيع المودّة**، لسليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي (ت ١٢٩٤ هـ. ق)، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.